



تفسير القرآن

في سيرة ابن هشام

الأستاذ المشارك

مراد قايا





اسطنبول ۲۰۲۱م/ ۱۴۴۲ھ

إسطنبول: ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

مراجعة وتصحيح وتدقيق: الأستاذ المشارك مراد قايّا

تصميم وتنضيد: حسام يوسف

ISBN: 978-625-440-085-8

طباعة وتغليف: مطبعة دار الأرقم

Language : Arabic



العنوان:

► Address : İkitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60/3-C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY

Phone : +90 212 671 07 00 (Pbx)

Fax : +90 212 671 07 48

E-mail : info@islamicpublishing.org

Web site : www.islamicpublishing.org

تفسير القرآن في سيرة ابن هشام

الأستاذ المشارك
مروفايا

عضو الهيئة التعليمية، وأستاذ التفسير في جامعة استانبول صباح الدين زعيم



ابن هشام ومكانته في علم التفسير

قبل أن نلج في الحديث عن تهذيب ابن هشام لكتاب ابن اسحاق وما حذفه أو أضافه إلى الكتاب لا بد لنا من وقفة عجل على عند ابن اسحاق:

ابن اسحاق وحياته العلمية

محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، وقيل: ابن يسار بن كوتان^١ المدني، مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف، ويكنى أبا عبد الله^٢ وأبا بكر^٣. ولد ابن اسحاق في المدينة المنورة عام (٦٩٩م / ٨٠هـ)، وقد بدأ يطلب العلم منذ نعومة أظفاره على أبيه وأعمامه، ثم أتم تحصيله العلمي على يد شيوخ كثيرين في علوم الحديث والمغازي والشعر وأيام العرب وأنسابها، ومن أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم عاصم بن عمر بن قتادة، وقاسم بن محمد بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، ومحمد بن إبراهيم التيمي، وأبان بن عثمان بن عفان، ومحمد الباقر، وأبو سلمة بن

١ ويُقال: «بن كوثان» (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المحقق: د. بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ج. ٢٤، ص. ٤٠٦.
٢ أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، طبقات خليفة بن خياط، المحقق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م، ص. ٤٧٢.

٣ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، حيدر آباد الدكن: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م، ج. ٧، ص. ١٩١؛ محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، الثقات، طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣، ص. ٧، ص. ٣٨٠.

عبد الرحمن بن عوف، ونافع مولى عبد الله بن عمر، وعطاء بن يسار، وعبد الرحمن بن الأسود، وسالم بن عبد الرحمن بن عمر وابن شهاب الزهري،^٤ حتى نُقل أن ابن اسحاق روى الحديث عن أكثر من ١٠٠ من أهل المدينة معظمهم من أولاد الصحابة، بل إنه أدرك بعض الصحابة وكبار التابعين، فلا يخفى أنه رأى أنس بن مالك رضي الله عنه (ت ٧١١م/٩٣هـ)، وسالم بن عبد الله بن عمر وصحب سعيد بن المسيب.^٥

وكان محمد ثقة، وقد روى الناس عنه، روى عنه الثوري وشعبة وسفيان بن عيينة ويزيد بن زريع وإبراهيم بن سعد وإسماعيل ابن علية ويزيد بن هارون ويعلى ومحمد ابنا عبيد وعبد الله بن نمير وغيرهم، ومن الناس من تكلم فيه.^٦

وقد أثنى عليه كثير من أعلام الإسلام، فروى أن ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) أستاذه في الحديث والمغازي كثيرا ما كان يقول:

«من أراد علم المغازي فعليه بابن إسحاق»، وكان ينبه على غزارة علمه فيقول:

٤ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد وذيوله، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، ج. ١، ص. ٢٣١؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤٠٦؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج. ٧، ص. ٣٤.

٥ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١، ٢١٤-٢١٨؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤٠٦-٤١٠.

٦ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٧، ١٩١؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١، ٢٣١-٢٣٣؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤٠٦، ٤١١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٤.

٧ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨، ج. ٧، ص. ٣٢١-٣٢٢.

«لا يزال بالمدينة علم جم ما دام فيها ابن اسحاق»^٨، بل إن الشافعي (ت ٢٠٤هـ) وصف مكانته في علم المغازي فقال: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد ابن إسحاق»^٩.

وقد عده الزهري أعلم الناس بالمغازي والسير^{١٠}، بل إنه كان يرجع إليه أحيانا في بعض أخبار المغازي تقديرا لما جمعه ابن اسحاق من أخبار كثيرة في هذا المجال، وهذا ما جعل طلاب الزهري بعد وفاته يرجعون إلى ابن اسحاق في كثير من الأحاديث، ولما رحل ابن إسحاق إلى الكوفة أخذ عنه خلق كثير من أهلها في مقدمتهم أبو يوسف^{١١}.

وفي ذلك يقول علي بن المديني (ت ٢٣٤هـ):

«مدار حديث رسول الله ﷺ ستة...» فذكرهم، ثم قال: «فصار علم الستة عند اثني عشر: أحدهم محمد بن إسحاق»^{١٢}.

وقال أحمد بن أبي خيثمة: حدثنا هارون بن معروف، قال: سمعت أبا معاوية يقول: «كان ابن إسحاق من أحفظ الناس فكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق. قال: احفظها علي فإن نسيتهما كنت قد حفظتها علي»^{١٣}.

٨ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٧، ١٩١؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٦.

٩ المزني، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٦.

١٠ المزني، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤١٢-٤١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٧.

١١ مصطفى فايدة، مادة ابن إسحاق، في موسوعة شؤون الديانة التركية، على الرابط -/is/ https:

lamansiklopedisi.org.tr /ibn-ishak (٢٥، ٢٠٢٠).

١٢ المزني، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤١٢؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٦.

١٣ المزني، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤١٣.

يقول الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ):

«لم أر في جملة المحمدين الذين كانوا في مدينة السلام من أهلها الواردين إليها أكبر سناً أو أعلى إسناداً وأقدم موتاً منه، ولهذه الأسباب المجتمعة فيه افتتحت كتابي بتسميته، وأتبعته بمن لحق به من أهل ترجمته، ولولا ذلك لكان أولى الأشياء تقديم ترجمة محمد بن أحمد على ما عداها من الأسماء، اقتداء بما رسمه أئمة شيوخوا».^{١٤}

قال السهيلي (ت ٥٨١ هـ):

«ومحمد بن إسحاق هذا - رحمه الله - ثبت في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير، فلا تجهل إمامته فيها».^{١٥}

وقال فيه الإمام الذهبي (ت ٧٤٨ هـ):

«أنه أول من دون العلم بالمدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرا عجاجاً».^{١٦}

ولمكانته في علم الحديث استشهد به البخاري، وروى له مسلم في المتابعات، وأخرج له أرباب السنن.^{١٧}

وقد كان ابن إسحاق يتثبت في رواية الحديث، ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك ما جاء في كتابه من أن يزيد بن أبي حبيب المصري قد حدثه أنه وجد كتاباً فيه ذكر

١٤ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج. ١، ص. ٢٣٠.

١٥ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١ هـ)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، المحقق: عبد الرحمن الوكيل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ، ج. ١، ص. ٣٧.

١٦ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٣٥.

١٧ انظر: السهيلي، الروض الأنف، ١، ٣٨-٣٩؛ المزي، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤٢٩؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٧، ٥٥.

من بعث رسول الله ﷺ إلى البلدان وملوك العرب والعجم، وما قال لأصحابه حين بعثهم، فأرسل ابن اسحاق الكتاب إلى ابن شهاب الزهري يثبت منه، فعرفه ابن شهاب.^{١٨}

وكان محمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها، وكان كثير الحديث، وقد كتبت عنه العلماء.^{١٩} يقول عبيد بن يعيش سمعت يونس بن بكير يقول سمعت محمد بن اسحاق يقول:

«حفظت المغازي بمكة مرة ثم تفلت مني ثم عدت فيها فحفظتها».^{٢٠}

وفي عام ٧٦٣م/١٤٦هـ، انتقل ابن إسحاق إلى بغداد ليأخذ مكانه إلى جانب الخليفة، وبقي فيها مشغولاً بالتحديث وإقراء سيرته المشهورة، وبقي ابن إسحاق في بغداد إلى وفاته على خلاف في تاريخها ١٥١/٧٦٨ أو ١٥٠/٧٦٧ أو ١٥٣/٧٧٠ أو ١٥٤/٧٧١ ودفن في مقبرة الخيزان أم الرشيد، إلى جانب قبر الإمام أبي حنيفة.^{٢١}

١٨ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، المحققون: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م، ج. ٢، ص. ٦٠٧.

١٩ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، المحقق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٨، ص. ٤٠٠-٤٠٣؛ المزني، تهذيب الكمال، ج. ٢٤، ص. ٤١٠-٤١١، ٤٢٦.

٢٠ ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٧، ١٩٢.

٢١ خليفة بن خياط بن خليفة، طبقات خليفة بن خياط، ص. ٤٧٢؛ لمزي، تهذيب الكمال، ٢٤، ٤٢٧-٤٢٨؛ مصطفى فايدة، مادة ابن إسحق، في موسوعة شؤون الديانة التركية، على الرابط <https://islamansiklopedisi.org.tr/ibn-ishak> (٢٥/٥/٢٠٢٠).

ابن هشام وكتابه «السيرة النبوية»

أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري،^{٢٢} ولد في البصرة، وبعد أن طلب العلم فيها رحل إلى مصر وعاش فيها حتى وفاته في مدينة الفسطاط في ١٣ من ربيع الآخر سنة ٢١٨ للهجرة، الموافق ل ٨ أيار سنة ٨٨٣ للميلاد، وليس لدينا من الأخبار ما يسعفنا لمعرفة سبب هجرته من البصرة إلى الفسطاط، ولا أي إضاءة عما إن كان قد رحل إلى غير مصر من مراكز العلم في عصره، إلا أن سماعه لكتاب ابن اسحاق من تلميذه زيد بن عبد الله البكائي يوحى لنا أنه رحل إلى الكوفة أو بغداد. وكان ابن هشام مؤرخاً ونسابةً أعني عالماً بالأنساب ونحوياً،^{٢٣} وله أنساب حمير وملوكها وشرح ما وقع في أشعار السيرة من الغريب،^{٢٤}

قال السهيلي:

«وأما عبد الملك بن هشام، فمشهور بحمل العلم، متقدم في علم النسب والنحو»،^{٢٥}

٢٢ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٠٠، ج. ٣، ص. ١٧٧.

٢٣ السهيلي، الروض الأنف، ١، ٣٣؛ الدكتور فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ج. ٢، ص. ١٠٦.

٢٤ صلاح الدين خليل بن أليك بن عبد الله الصنفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ج. ١٩، ص. ١٤٣؛ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م، ج. ٤، ص. ١٦٦.

٢٥ السهيلي، الروض الأنف، ١، ٤٣.



ووصفه الإمام النووي (ت ٦٧٦هـ):

«صاحب النحو والمغازي، وكان علامة مصر في العربية والشعر والمغازي»^{٢٦}،

وقال الذهبي:

«العلامة، النحوي، الأخباري^{٢٧} وكان علامة أهل مصر بالعربية والشعر»^{٢٨} أديباً
فاضلاً، رحمه الله^{٢٩}».

وصفه السيوطي (ت ٩١١هـ):

«النحوي نزيل مصر، مهذب السيرة النبوية؛ سمعها من زياد البكائي صاحب ابن
إسحاق، ونقحها، وحذف من أشعارها جملة. وثقه أبو سعيد بن يونس»^{٣٠}.

وقد قام ابن هشام بتهذيب وإعادة ترتيب كتاب المبتدأ والمبعث والمغازي،
والمعروف بالسير والمغازي أو بسيرة ابن إسحاق، حيث اعتمد عند التهذيب نسخة
واحد من أشهر رواة سيرة ابن إسحاق، ألا وهو زياد بن عبد الله البكائي الكوفي
البغدادي، وأضاف إلى التهذيب إضافات ليست في النسخة الأصل، وخدم الكتاب

٢٦ أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، عنيت
بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية،
بدون تاريخ، ج. ٢، ص. ٣٠٢.

٢٧ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج. ١٠، ص. ٤٢٨.

٢٨ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج. ١٠، ص. ٤٢٩.

٢٩ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تاريخ
الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي،
الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م، ج. ٥، ص. ٣٨٧.

٣٠ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة،

المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان / صيدا: المكتبة العصرية، بدون تاريخ، ج. ٢، ص. ١١٥.



خدمة جليلة حتى طغى ذكره على الكتاب فصارت تعرف بسيرة ابن هشام، وانتشر ذكر الكتاب في الآفاق حتى عده كثير من مؤرخي الإسلام كالقفطي والذهبي وابن كثير وابن العماد وابن خلكان والسخاوي أوثق كتب السيرة النبوية وأصحها.

وقد اعتمد ابن هشام أثناء تهذيب سيرته على القرآن الكريم أساسا في كثير من المواطن، حيث كان كثيرا ما يذكر أسباب نزول بعض الآيات أو يتعرض للأحداث التاريخية التي نزل فيها آيات من القرآن الكريم، أو يذكر من الأحداث ما يفسر بعض الآيات أو يضيء شيئا من أحوال نزولها، ولم يعتد في مواضع كثيرة بما ساقه زياد البكائي من أخبار لم تصح عنده، مما لا علاقة لها بتفسير القرآن الكريم أو حياة النبي ﷺ، أو ما ذكره من أشعار لشعراء مغمورين، أو ما ساقه من تعبيرات خارجة عن المؤلف، وفي ذلك يقول ابن هشام مبينا جانبنا من منهجه في الاختصار:^{٣١}

«وَتَارِكُ بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِمَّا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ ذِكْرٌ، وَلَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَيْسَ سَبَبًا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَفْسِيرًا لَهُ، وَلَا شَاهِدًا عَلَيْهِ لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ».

ومما يدلنا على مكانة ابن هشام وتمكنه في العربية ما يطالعنا في كتابه كثيرا من تعليقاته وشرحه لمعاني غريب كلمات بعض الآيات أو الأحاديث أو الأشعار، واستشهاده بشعر العرب عليها، ونقف في بيانه لغريب القرآن والشعر والحديث على معاني لا نكاد نجدها فيما بين أيدينا من مصادر^{٣٢}، فقد كان ينقل عن أعلام اللغة من أمثال أبي عبيدة معمر بن المثنى في كتابه مجاز القرآن، ويونس بن حبيب،

٣١ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤.

٣٢ إسماعيل جراح أوغلو، «ابن هشام وغريب القرآن في سيرته»، مجلة العلوم الإسلامية في كلية الإلهيات في جامعة أنقرة، مجلد ٣، ١٩٧٧، ص. ٥-٦.

وخلف الأحمر، وأبي زيد الانصاري، والحسن البصري، وغيرهم كثير^{٣٣}، وقد اختار اسماعيل جراح أوغلو سابقا ما ذكره ابن هشام في سيرته من شرح لغريب القرآن الكريم، ونشرها بحسب السور، إلا أنه اقتصر في عمله ذاك على اختيار شرح غريب كلمات القرآن،^{٣٤} أما نحن في عملنا هذا فقد جمعنا كل ما ذكره ابن هشام في سيرته مما له علاقة بتفسير القرآن الكريم.

وعندما كان ابن هشام يعرض لأحداث السيرة فإنه كان يولي عناية خاصة بما نزل فيها من آيات، فيذكر أسباب نزول الآيات ويشرح غريبها، وهذا ما نفهمه مما ذكره عند الحديث عن منهجه في مقدمة الكتاب، وقد كان كثير الاستشهاد بالشعر على ما يذهب إليه من معاني غريب القرآن، وهذا مما يعدُّ أحد أهم أسس التفسير، وخاصة أن معرفة واقع الأحداث النبوية عنصر لا غنى عنه لسبر غور أسباب نزول آيات القرآن الكريم، فمعرفة دقائق الأحداث التاريخية والغوص في أعماق السيرة النبوية مما يساعد على فهم أعمق لآيات القرآن الكريم، وهذا ما يدفعنا إلى القول أن حياة النبي ﷺ تجلٍ واقعي وتفسير عملي للقرآن الكريم، وأن السيرة النبوية من أهم المصادر التي تساعدنا على فهم مرامي القرآن الكريم، ولكل ما ذكرناه أنفا نرى أن سيرة ابن هشام، فضلا عن كونها من أقدم مصادر التراث الإسلامي، تحتل مكانة مهمة في علم التفسير.

ومما يؤيد علو كعب ابن هشام في المغازي تحرزه الشديد وتثبته عند رواية الأخبار، واحتياطه في الحديث، حيث كان كثيرا ما يختم كلامه بعد ذكر كل خبر بقوله: الله أعلم، أو الله أعلم أي ذلك كان،

٣٣ مصطفى فايدة، مادة ابن إسحق، في موسوعة شؤون الديانة التركية، على الرابط <https://isla-mansiklopedisi.org.tr/ibn-hisam> (٢٥,٠٥,٢٠٢٠).

٣٤ إسماعيل جراح أوغلو، «ابن هشام وغريب القرآن في سيرته»، مجلة العلوم الإسلامية في كلية الإلهيات في جامعة أنقرة، مجلد ٣، ١٩٧٧، ص. ١-٢٨.

عملنا في هذا الكتاب

فإننا في عملنا هذا قد جمعنا كل ما مرَّ في سيرة ابن هشام من أخبار وإيضاحات تتعلق بعلم التفسير، ولم ندع من ذلك شيئاً، على مستوى الآية ومستوى الكلمة في القرآن، وبهذا نكون قد تعقبنا تفسير القرآن وفق الترتيب التاريخي لحياة النبي ﷺ، مما يعني أننا قد رتبنا تفسير القرآن الكريم بحسب النزول.

وقد اعتمدنا في عملنا هذا على كتاب السيرة النبوية الذي نشره الأساتذة مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي في القاهرة عام ١٩٥٥-١٣٧٥، والذي يقع في أربع مجلدات، وقد استفدنا من تعليقات المحققين ما رأينا فيه ضرورة من شرح مفردة أو بيان عبارة، وكذلك أفدنا من بعض العناوين التي أضافها المحققون بين قوسين لإضاءة النص، فضلاً عما أضفناه نحن من عناوين.

وقد عزونا في الحواشي كل ما اقتبسناه إلى موضعه من النسخة المطبوعة، وميزنا الآيات والكلمات القرآنية بلون مغاير لإبرازها، وختاماً فإني أبتهل إلى مولانا جل وعلا أن ينفع بهذا العمل، وأن يساهم في خدمة القرآن الكريم وما توفيقني إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الأستاذ المشارك مراد قايا

اسطنبول/ ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

{وَبِهِ نَسْتَعِينُ}

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ أَجْمَعِينَ

ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزَّكِّيِّ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
(نَهْجُ ابْنِ هِشَامٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مُبْتَدِئُ هَذَا الْكِتَابِ بِذِكْرِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ وَلَدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَلَدِهِ، وَأَوْلَادِهِمْ لِأَصْلَابِهِمْ، الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، مِنْ إِسْمَاعِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَا يَعْرِضُ مِنْ حَدِيثِهِمْ، وَتَارِكُ ذِكْرَ غَيْرِهِمْ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، عَلَى هَذِهِ الْجَهَةِ لِإِخْتِصَارٍ إِلَى حَدِيثِ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَارِكُ بَعْضَ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِمَّا لَيْسَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِ ذِكْرٌ، وَلَا نَزَلَ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، وَلَيْسَ سَبَبًا لَشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَفْسِيرًا لَهُ، وَلَا شَاهِدًا عَلَيْهِ لِمَا ذَكَرْتُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ، وَأَشْعَارًا ذَكَرَهَا لَمْ أَرَأَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَعْرِفُهَا، وَأَشْيَاءَ بَعْضُهَا يَشْنَعُ الْحَدِيثُ بِهِ، وَبَعْضُ يَسُوءُ بَعْضُ النَّاسِ ذِكْرَهُ، وَبَعْضٌ لَمْ يَقْرَأْ لَنَا الْبُكَائِيُّ بِرِوَايَتِهِ، وَمُسْتَقْصِصٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ بِمَبْلَغِ الرِّوَايَةِ لَهُ، وَالْعِلْمُ بِهِ. ٣٥

٣٥ عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، السيرة النبوية، المحققون: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ج. ١، ص. ٤.

أَمْرُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ وَقِصَّةُ سَدِّ مَأْرِبَ^{٣٦}

وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الْيَمَنِ - فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ - أَنَّهُ رَأَى جُرْدًا^{٣٧} يَحْفَرُ فِي سَدِّ مَأْرِبَ، الَّذِي كَانَ يَحْبِسُ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ، فَيَصْرِفُونَهُ حَيْثُ شَاءُوا مِنْ أَرْضِهِمْ، فَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بَقَاءَ لِلْسَدِّ عَلَى ذَلِكَ، فَاعْتَزَمَ عَلَى الثَّقَلَةِ مِنَ الْيَمَنِ، فَكَادَ قَوْمُهُ، فَأَمَرَ أَصْغَرَ وَلَدِهِ إِذَا أَغْلَظَ لَهُ وَلَطَمَهُ أَنْ يَقُومَ إِلَيْهِ فَيَلْطِمَهُ، فَفَعَلَ ابْنُهُ مَا أَمَرَهُ بِهِ، فَقَالَ عَمْرُو: لَا أَقِيمُ بَيْلَدَ لَطَمَ وَجْهِي فِيهِ أَصْغَرُ وَلَدِي، وَعَرَضَ أَمْوَالُهُ. فَقَالَ أَشْرَافُ مِنَ أَشْرَافِ الْيَمَنِ: اغْتَنِمُوا غَضَبَةَ عَمْرٍو، فَاشْتَرَوْا مِنْهُ أَمْوَالَهُ. وَانْتَقَلَ فِي وَلَدِهِ وَوَلَدِ وَلَدِهِ. وَقَالَتْ الْأَزْدُ: لَا نَتَخَلَّفُ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ، فَبَاعُوا أَمْوَالَهُمْ، وَخَرَجُوا مَعَهُ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِلَادَ عَكٍّ مُجْتَازِينَ يَرْتَادُونَ الْبُلْدَانَ، فَحَارَبَتْهُمْ عَكٌّ، فَكَانَتْ حَرْبُهُمْ سَعَالًا^{٣٨}. فَفِي ذَلِكَ قَالَ عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ الْبَيْتَ الَّذِي كَتَبْنَا^{٣٩}. ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهُمْ فَتَفَرَّقُوا فِي الْبُلْدَانَ، فَنَزَلَ آلُ جَفْنَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ الشَّامَ، وَنَزَلَتْ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ يَثْرِبَ، وَنَزَلَتْ خُزَاعَةُ مَرَّ^{٤٠}، وَنَزَلَتْ أَزْدُ السَّرَاةِ^{٤١}، وَنَزَلَتْ

٣٦ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٩، ١٢-١٣.

٣٧ الجرذ: الذكر من الفئران.

٣٨ السجال: أن يغلب هؤلاء مرة وهؤلاء مرة. وأصله من المساجلة في الاستقاء، وهو أن يخرج المستقى من الماء مثل ما يخرج صاحبه.

٣٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٩.

٤٠ مر: هو الذي يُقال له مر الظهران، ومر ظهران، وهو موضع على مرحلة من مكة.

٤١ قَالَ الْأَضْمَعِيُّ: الطود: جبل مشرف على عَرَفَةَ يَنْقَادُ إِلَى صَنْعَاءَ يُقَالُ لَهُ السَّرَاةُ، وَإِنَّمَا سُمِيَ بِذَلِكَ لَعَلُّهُ، يُقَالُ لَهُ سَرَاةٌ تَقِيفُ، ثُمَّ سَرَاةٌ فَهَمَّ وَعَدَوَانِ، ثُمَّ سَرَاةُ الْأَزْدِ. (راجع مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ).



أَزْدُ عَمَانَ عُمَانَ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى السَّدِّ السَّيْلَ فَهَدَمَهُ، فَفِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ، فَأَعْرَضُوا، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ (سبأ ١٥-١٦) ٤٢
وَالْعَرِمُ: السَّدُّ، وَاحِدَتُهُ: عَرِمَةٌ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ. قَالَ الْأَعَشَى: أَعْشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلِ بْنِ هَنْبِ بْنِ أَفْصَى بْنِ جَدِيلَةَ بْنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدٍّ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: أَفْصَى بْنُ دُعْمِيِّ بْنِ جَدِيلَةَ، وَاسْمُ الْأَعَشَى، مِثْمُونُ بْنُ قَيْسِ بْنِ جَنْدَلِ بْنِ شَرَّاحِيلِ بْنِ عَوْفِ بْنِ سَعْدِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

وَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسُوءَةٌ ٤٣ ... وَمَارِبُ عَفَى ٤٤ عَلَيْهَا الْعَرِمُ
رُحَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمِيرٌ ... إِذَا جَاءَ مَوَارِئُهُ ٤٥ لَمْ يَرِمِ
فَأَرَوَى الزُّرُوعَ وَأَعْنَابَهَا ... عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إِذْ قُسِمَ
فَصَارُوا أَيَادِي ٤٦ مَا يَقْدُرُونَ ... مِنْهُ عَلَى شُرْبِ ٤٧ طِفْلٍ فُطِمَ.
وَهَذِهِ الْأَيَّاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

٤٢ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٣.

٤٣ المؤتسى: المقتدى. والإسوة (بِالْكَسْرِ وَالضَّم): الإِفْتِدَاء.

٤٤ ويروى: «نفى» وَمَعْنَاهَا: نحى.

٤٥ موارء (بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا): تلاطم مائه وتموجه.

٤٦ أيادي: مُتَفَرِّقِينَ.

٤٧ الشُّرْب (بِالضَّم): المَصْدَر. و(بِالْكَسْرِ): الحُظ والنصيب من الماء.



وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ التَّقْفِيُّ وَاسْمُ تَقْفِيٍّ قَسِيٌّ بْنُ مُنْبِهِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ بْنِ
مَنْصُورِ بْنِ عَكْرِمَةَ بْنِ خَصْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍّ بْنِ عَدْنَانَ:

مِنْ سَبَا الْحَاضِرِينَ مَأْرَبَ إِذْ... يَبْنُونَ مِنْ دُونِ سَيْلِهِ الْعَرِمَا^{٤٨}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَتُرْوَى لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ، وَاسْمُهُ قَيْسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَحَدُ
بَنِي جَعْدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ. وَهُوَ
حَدِيثٌ طَوِيلٌ، مَنَعَنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ^{٤٩}.

أَمْرُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرِ مَلِكِ الْيَمَنِ وَقِصَّةُ شِقِّ وَسَطِيحِ الْكَاهِنِينَ مَعَهُ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَبِيعَةُ بْنُ نَصْرِ مَلِكُ الْيَمَنِ بَيْنَ أَضْعَافِ مُلُوكِ التَّبَابِغَةِ، فَرَأَى
رُؤْيَا هَالِكَةً، وَفَطَعَ بِهَا فَلَمْ يَدْعُ كَاهِنًا، وَلَا سَاحِرًا، وَلَا عَافًا^{٥٠} وَلَا مُنْجِمًا مِنْ أَهْلِ
مَمْلَكَتِهِ إِلَّا جَمَعَهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رُؤْيَا هَالِكَتْنِي، وَفَطَعْتُ بِهَا، فَأَخْبِرُونِي
بِهَا وَبِتَأْوِيلِهَا، قَالُوا لَهُ: أَقْصَصْهَا عَلَيْنَا نُخْبِرَكَ بِتَأْوِيلِهَا، قَالَ: إِنِّي إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ بِهَا لَمْ
أُطْمِئِنَّ إِلَى خَبَرِكُمْ عَنْ تَأْوِيلِهَا، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ تَأْوِيلَهَا إِلَّا مَنْ عَرَفَهَا قَبْلَ أَنْ أُخْبِرَ بِهَا.
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ يُرِيدُ هَذَا فَلْيُبْعَثْ إِلَى سَطِيحٍ وَشِقِّ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ
أَعْلَمَ مِنْهُمَا، فَهَمَّا يُخْبِرَانِهِ بِمَا سَأَلَ عَنْهُ...

...قَالَ (الملك): أَفِيدُومُ ذَلِكَ مِنْ سُلْطَانِهِ، أَمْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ (سَطِيحٌ): لَا، بَلْ يَنْقَطِعُ،
قَالَ: وَمَنْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ: نَبِيُّ زَكِيٍّ، يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنْ قِبَلِ الْعَلِيِّ، قَالَ: وَمِمَّنْ هَذَا النَّبِيُّ؟

٤٨ فِي هَذَا الْبَيْتِ شَاهِدٌ عَلَى أَنَّ الْعَرِمَ هُوَ السَّد.

٤٩ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ، ١، ١٤.

٥٠ الْعَائِفُ: الَّذِي يَزْجُرُ الطَّيْرَ.

قَالَ: رَجُلٌ مِنْ وَلَدِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ، يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ، قَالَ: وَهَلْ لِلدَّهْرِ مِنْ آخِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، يَوْمٌ يُجْمَعُ فِيهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ، يَسْعَدُ فِيهِ الْمُحْسِنُونَ، وَيَشْقَى فِيهِ الْمُسِيئُونَ قَالَ: أَحَقُّ مَا تُخْبِرُنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالشَّقُّ وَالْغَسَقُ، وَالْفَلَقُ إِذَا أَسَقَ، إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌّ.

... قَالَ (الملك): أَفِيدُومُ سُلْطَانُهُ، أَمْ يَنْقَطِعُ؟ قَالَ (شَقٌّ): بَلْ يَنْقَطِعُ بِرَسُولٍ مُرْسَلٍ يَأْتِي بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، بَيْنَ أَهْلِ الدِّينِ وَالْفَضْلِ، يَكُونُ الْمُلْكُ فِي قَوْمِهِ إِلَى يَوْمِ الْفَضْلِ، قَالَ: وَمَا يَوْمُ الْفَضْلِ؟ قَالَ: يَوْمٌ تُجْزَى فِيهِ الْوَلَاةُ، وَيُدْعَى فِيهِ مِنَ السَّمَاءِ بِدَعَوَاتٍ، يَسْمَعُ مِنْهَا الْأَحْيَاءُ وَالْأَمْوَاتُ، وَيُجْمَعُ فِيهِ بَيْنَ النَّاسِ لِلْمِيقَاتِ، يَكُونُ فِيهِ لِمَنْ اتَّقَى الْفُوزَ وَالْخَيْرَاتُ، قَالَ: أَحَقُّ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: إِي وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ رَفِعٍ وَخَفَضٍ، إِنَّ مَا أَنْبَأْتُكَ بِهِ لَحَقٌّ مَا فِيهِ أَمُضٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَمُضٍ: يَعْنِي شَكًّا، هَذَا بِلُغَةِ حَمِيرٍ، وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: أَمُضٍ أَيُّ بَاطِلٌ.^{٥١}

مُلْكُ ذِي نُوَاسٍ

فَمَلَكُوهُ، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ حَمِيرٌ وَقَبَائِلُ الْيَمَنِ، فَكَانَ آخِرَ مُلُوكِ حَمِيرٍ، وَهُوَ صَاحِبُ الْأُخْدُودِ^{٥٢}، وَتَسَمَّى يُوسُفَ، فَأَقَامَ فِي مُلْكِهِ زَمَانًا. وَبَنَجَرَانِ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ دِينَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام عَلَى الْإِنْجِيلِ، أَهْلُ فَضْلِ، وَاسْتِقَامَةٍ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ، لَهُمْ رَأْسٌ يُقَالُ لَهُ

٥١ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٥-١٨.

٥٢ وَيُقَالُ: إِنَّ الَّذِينَ خَدَدُوا الْأُخْدُودَ ثَلَاثَةً: تَبَعَ صَاحِبُ الْيَمَنِ، وَقُسْطَنْطِينَ بْنَ هِلَانِي (وهلاني أمه) حِينَ صَرَفَ النَّصَارَى عَنِ التَّوْحِيدِ إِلَى عِبَادَةِ الصَّلِيبِ، وَبَخَتَ نَصْرًا مِنْ أَهْلِ بَابِلَ، حِينَ أَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَسْجُدُوا لَهُ، فَامْتَنَعَ دَانِيَالُ وَأَصْحَابُهُ، فَأَلْقَاهُمْ فِي النَّارِ.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ، وَكَانَ مَوْقِعُ أَصْلِهِ ذَلِكَ الدِّينَ بَنَجْرَانَ، وَهِيَ بِأَوْسَطِ أَرْضِ الْعَرَبِ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ، وَأَهْلُهَا وَسَائِرُ الْعَرَبِ كُلُّهَا أَهْلُ أَوْثَانٍ يَعْبُدُونَهَا، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَقَايَا أَهْلِ ذَلِكَ الدِّينِ يُقَالُ لَهُ فَيْمِيُونُ وَقَعَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَحَمَلَهُمْ عَلَيْهِ، فَدَاؤُوا بِهِ...

أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، وَحَدَّثَنِي أَيْضًا بَعْضُ أَهْلِ نَجْرَانَ عَنْ أَهْلِهَا: أَنَّ أَهْلَ نَجْرَانَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، وَكَانَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ قُرَاهَا قَرْيَاً مِنْ نَجْرَانَ - وَنَجْرَانُ: الْقَرْيَةُ الْعُظْمَى الَّتِي إِلَيْهَا جَمَاعُ أَهْلِ تِلْكَ الْبِلَادِ - سَاحِرٌ يُعَلِّمُ غِلْمَانَ أَهْلِ نَجْرَانَ السَّحَرَ، فَلَمَّا نَزَلَهَا فَيْمِيُونُ - وَلَمْ يُسَمِّهِ لِي بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ وَهَبُ بْنُ مُبَيَّهٍ، قَالُوا: رَجُلٌ نَزَلَهَا - ابْنَتِي خِيَمَةٌ بَيْنَ نَجْرَانَ وَبَيْنَ تِلْكَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بِهَا السَّاحِرُ، فَجَعَلَ أَهْلُ نَجْرَانَ يُرْسِلُونَ غِلْمَانَهُمْ إِلَى ذَلِكَ السَّاحِرِ يُعَلِّمُهُمُ السَّحَرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ الثَّامِرُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، مَعَ غِلْمَانِ أَهْلِ نَجْرَانَ فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِصَاحِبِ الْخِيَمَةِ أَعْجَبَهُ مَا يَرَى مِنْهُ مِنْ صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَجَعَلَ يَجْلِسُ إِلَيْهِ، وَيَسْمَعُ مِنْهُ، حَتَّى أَسْلَمَ، فَوَحَّدَ اللَّهُ وَعَبَدَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، حَتَّى إِذَا فَقَهُ فِيهِ جَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ، وَكَانَ يَعْلَمُهُ، فَكَتَمَهُ إِيَّاهُ، وَقَالَ لَهُ:

يَا بَنَ أَخِي، إِنَّكَ لَنْ تَحْمِلَهُ، أَخْشَى عَلَيْكَ ضَعْفَكَ عَنْهُ. وَالثَّامِرُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ لَا يَظُنُّ إِلَّا أَنَّ ابْنَهُ يَخْتَلِفُ إِلَى السَّاحِرِ كَمَا يَخْتَلِفُ الْغِلْمَانُ، فَلَمَّا رَأَى عَبْدَ اللَّهِ أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ ضَنَّ بِهِ عَنْهُ. وَتَخَوَّفَ ضَعْفَهُ فِيهِ، عَمَدَ إِلَى أَقْدَاحٍ فَجَمَعَهَا، ثُمَّ لَمْ يُبَيِّنْ لِلَّهِ اسْمًا يَعْلَمُهُ إِلَّا كَتَبَهُ فِي قِدَحٍ^{٥٣}، وَلِكُلِّ اسْمٍ قِدَحٌ، حَتَّى إِذَا أَحْصَاهَا أَوْقَدَ لَهَا نَارًا، ثُمَّ جَعَلَ يَقْذِفُهَا فِيهَا

قَدْحًا قَدْحًا، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِالْإِسْمِ الْأَعْظَمِ قَذَفَ فِيهَا بِقَدْحِهِ، فَوَثَبَ الْقَدْحُ حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا لَمْ تَضُرَّهُ شَيْئًا، فَأَخَذَهُ ثُمَّ أَتَى صَاحِبَهُ فَأَخْبَرَهُ بِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ الْإِسْمَ الَّذِي كَتَمَهُ، فَقَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: هُوَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: وَكَيْفَ عَلِمْتَهُ؟ فَأَخْبَرَهُ بِمَا صَنَعَ، قَالَ: أَيُّ ابْنِ أَخِي، قَدْ أَصَبْتَهُ فَأَمْسِكْ عَلَى نَفْسِكَ، وَمَا أَظُنُّ أَنْ تَفْعَلَ.

(ابن الثَّامِرِ وَدَعَوْتُهُ إِلَى النَّصْرَانِيَّةِ بِنَجْرَانَ):

فَجَعَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ إِذَا دَخَلَ نَجْرَانَ لَمْ يَلْقَ أَحَدًا بِهِ ضُرٌّ إِلَّا قَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّوَحَّدَ اللَّهُ وَتَدَخَّلْ فِي دِينِي وَأَدْعُو اللَّهَ فَيُعَافِيكَ مِمَّا أَنْتَ فِيهِ مِنَ الْبَلَاءِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَوْحِدُ اللَّهَ وَيُسَلِّمُ، وَيَدْعُو لَهُ فَيُشْفَى. حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِنَجْرَانَ أَحَدٌ بِهِ ضُرٌّ إِلَّا أَنَاهُ فَاتَّبَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَدَعَا لَهُ فَعُوفِيَ حَتَّى رُفِعَ شَأْنُهُ إِلَى مَلِكِ نَجْرَانَ، فَدَعَا فَقَالَ لَهُ: أَفَسَدْتَ عَلَيَّ أَهْلَ قَرْيَتِي، وَخَالَفْتَ دِينِي وَدِينَ آبَائِي، لَأُمَثِّلَنَّ بِكَ، قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ: فَجَعَلَ يُرْسِلُ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ الطَّوِيلِ فَيَطْرَحُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَقَعُ إِلَى الْأَرْضِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، وَجَعَلَ يَبْعَثُ بِهِ إِلَى مِيَاهِ نَجْرَانَ، بُحُورٍ لَا يَقَعُ فِيهَا شَيْءٌ إِلَّا هَلَكَ، فَيُلْقَى فِيهَا فَيَخْرُجُ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. فَلَمَّا غَلَبَهُ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الثَّامِرِ: إِنَّكَ وَاللَّهِ لَنْ تَقْدِرَ عَلَى قَتْلِي حَتَّى تُوَحِّدَ اللَّهَ فَتَتَّوَمَّنَ بِمَا آمَنْتُ بِهِ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ سُلِّطْتُ عَلَيَّ فَتَقْتُلَنِي. قَالَ: فَوَحَّدَ اللَّهَ تَعَالَى ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِعَصَا فِي يَدِهِ فَشَجَّهَ شَجَّةً غَيْرَ كَبِيرَةٍ، فَقَتَلَهُ، ثُمَّ هَلَكَ الْمَلِكُ مَكَانَهُ، وَاسْتَجَمَعَ أَهْلُ نَجْرَانَ عَلَى دِينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، وَكَانَ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ مِنَ الْإِنْجِيلِ وَحُكْمِهِ، ثُمَّ أَصَابَهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ أَهْلَ دِينِهِمْ مِنَ الْأَحْدَاثِ، فَمِنْ هُنَالِكَ كَانَ أَصْلُ النَّصْرَانِيَّةِ بِنَجْرَانَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَهَذَا حَدِيثُ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرْظِيِّ، وَبَعْضِ أَهْلِ نَجْرَانَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.

(ذُو نُوَاسٍ وَخَدُّ الْأُخْدُودِ):

فَسَارَ إِلَيْهِمْ ذُو نُوَاسٍ بِجُنُودِهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، وَخَيَّرَهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ وَالْقَتْلِ، فَاخْتَارُوا الْقَتْلَ، فَخَدَّ لَهُمُ الْأُخْدُودَ، فَحَرَقَ مَنْ حَرَقَ بِالنَّارِ، وَقَتَلَ بِالسَّيْفِ وَمِثْلَ بِهِ حَتَّى قَتَلَ مِنْهُمْ قَرِيبًا مِنْ عَشْرِينَ أَلْفًا، فِي ذِي نُوَاسٍ وَجُنْدِهِ تِلْكَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿قَتَلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، النَّارِ ذَاتِ الْوُفُودِ، إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُودٌ، وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (البروج ٨٥ / ٤-٨)

(الْأُخْدُودُ لُغَةً):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأُخْدُودُ: الْحَفْرُ الْمُسْتَطِيلُ فِي الْأَرْضِ، كَالْخَنْدَقِ وَالْجَدُولِ وَنَحْوِهِ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ، وَاسْمُهُ غَيْلَانُ بْنُ عُقْبَةَ، أَحَدُ بَنِي عَدِيِّ ابْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ آدَ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ:

مِنْ الْعِرَاقِيَّةِ اللَّاتِي يُحِيلُ لَهَا... بَيْنَ الْفَلَاةِ وَبَيْنَ النَّخْلِ أُخْدُودُ

يَعْنِي جَدُولًا. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. قَالَ: وَيُقَالُ لِأَثَرِ السَّيْفِ وَالسَّكِّينِ فِي الْجِلْدِ وَآثَرِ السَّوْطِ وَنَحْوِهِ: أُخْدُودٌ، وَجَمْعُهُ أَخَادِيدُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيُقَالُ: كَانَ فَيَمَنْ قَتَلَ ذُو نُوَاسٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الثَّامِرِ، رَأْسُهُمْ وَإِمَامُهُمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ كَانَ فِي زَمَانِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه حَفَرَ خَرِبَةً مِنْ خَرِبِ نَجْرَانَ لِيَعُضَ حَاجَتِهِ، فَوَجَدُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الثَّامِرِ تَحْتَ دَفْنٍ مِنْهَا قَاعِدًا، وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى ضَرْبَةٍ فِي رَأْسِهِ، مُمَسِّكًا بِيَدِهِ عَلَيْهَا، فَإِذَا أُخْرِتْ يَدُهُ عَنْهَا تَبَعَتْ دَمًا، وَإِذَا أُرْسِلَتْ يَدُهُ رَدَّهَا عَلَيْهَا، فَأَمْسَكَتْ دَمَهَا، وَفِي يَدِهِ خَاتَمٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ: «رَبِّي اللَّهُ» فَكُتِبَ فِيهِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يُخَبِّرُ بِأَمْرِهِ، فَكُتِبَ إِلَيْهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه: أَنْ أَقْرِؤْهُ عَلَى حَالِهِ، وَرُدُّوا عَلَيْهِ الدَّفْنَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ، فَفَعَلُوا.^{٥٥}

أَمْرُ الْفِيلِ وَقِصَّةُ النِّسَاءِ

ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ بَنَى الْفُلَيْسَ بِصَنْعَاءَ، فَبَنَى كَنِيسَةً لَمْ يَرِ مِثْلُهَا فِي زَمَانِهَا بِشَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى النَّجَاشِيِّ: إِنِّي قَدْ بَنَيْتُ لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ كَنِيسَةً لَمْ يُبْنَ مِثْلُهَا لِمَلِكٍ كَانَ قَبْلَكَ، وَلَسْتُ بِمُتِّهِ حَتَّى أَصْرِفَ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ، فَلَمَّا تَحَدَّثْتُ الْعَرَبَ بِكِتَابِ أَبْرَهَةَ ذَلِكَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، غَضِبَ رَجُلٌ مِنَ النِّسَاءِ، أَحَدُ بَنِي فُقَيْمٍ ابْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَامِرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسَ مِنْ مُضَرَ.

٥٥ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يَرَوَى مِنْ أَنَّ حُمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ رضي الله عنه وَجَدَهُ مُعَاوِيَةَ حِينَ حَفَرَ الْعَيْنَ صَاحِبِهَا لَمْ يَتَغَيَّرْ، وَأَنَّ الْفَأْسَ أَصَابَتْ إِبْصَعَهُ فَدَمِيَتْ، وَكَذَلِكَ مَا يَرَوَى عَنْ أَبِي جَابِرٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ، وَعَمَرُو ابْنِ الْجُمُوحِ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، وَقَدْ أَفَاضَ الْمُفْسَّرُونَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا»... الْآيَةَ. (آل عمران ٣/ ١٦٩). السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٣١-٣٧.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ):

وَالنِّسَاءُ: الَّذِينَ كَانُوا يَنْسُبُونَ الشُّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَيُحِلُّونَ الشَّهْرَ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرِّمِ، وَيُحَرِّمُونَ مَكَانَهُ الشَّهْرَ مِنْ أَشْهُرِ الْحِلِّ، وَيُؤَخَّرُونَ ذَلِكَ الشَّهْرَ فِيهِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحِلُّونَهُ عَامًا، وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا، لِيُطَاوُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (التوبة ٣٧/٩)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: لِيُطَاوُوا: لِيُؤَافِقُوا. وَالْمُوَاطَأَةُ: الْمُوَافَقَةُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: وَاطَأْتُكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ، أَيْ وَافَقْتُكَ عَلَيْهِ. وَالْإِيطَاءُ فِي الشَّعْرِ الْمُوَافَقَةُ، وَهُوَ اتِّفَاقُ الْقَافِيَتَيْنِ مِنْ لَفْظٍ وَاحِدٍ، وَجَنَسٍ وَاحِدٍ، نَحْوَ قَوْلِ الْعَجَّاجِ -وَأَسْمُ الْعَجَّاجِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رُؤَبَةَ- أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ أَدَّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نَزَارٍ: فِي أَثْعَبَانَ الْمَنْجُنُونَ الْمُرْسَلِ.^{٥٦} ثُمَّ قَالَ: مُدُّ الْخَلِيجِ^{٥٧} فِي الْخَلِيجِ الْمُرْسَلِ. وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

(تَارِيخُ النِّسَاءِ عِنْدَ الْعَرَبِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَسَأَ الشُّهُورَ عَلَى الْعَرَبِ، فَأَحَلَّتْ مِنْهَا مَا أُحِلَّ، وَحَرَّمَتْ مِنْهَا مَا حَرَّمَ الْقَلَمْسُ،^{٥٨} وَهُوَ حَدِيقَةُ بْنُ عَبْدِ بْنِ فُقَيْمٍ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَامِرِ بْنِ

٥٦ أَثْعَبَانَ الْمَنْجُنُونَ: مَا يَنْدَفَعُ مِنَ الْمَاءِ مِنْ شَعْبِهِ. وَالْمَنْجُنُونَ: أَدَاةُ السَّانِيَةِ.

٥٧ الْخَلِيجُ: الْجَبَلُ، وَهُوَ أَيْضًا خَلِيجُ الْمَاءِ.

٥٨ وَاسْمُ الْقَلَمْسِ لُجُودُهُ، إِذْ الْقَلَمْسُ مِنْ أَسْمَاءِ الْبَحْرِ.

ثُعْلَبَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ حُزَيْمَةَ. ثُمَّ قَامَ بَعْدَهُ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ (عَبَادُ) بْنُ حُدَيْفَةَ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ عَبَادٍ: قَلْعُ بْنُ عَبَادٍ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ قَلْعٍ: أُمَيَّةُ بْنُ قَلْعٍ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ أُمَيَّةَ: عَوْفُ بْنُ أُمَيَّةَ، ثُمَّ قَامَ بَعْدَ عَوْفٍ أَبُو ثُمَامَةَ جُنَادَةُ بْنُ عَوْفٍ، وَكَانَ آخِرَهُمْ، وَعَلَيْهِ قَامَ الْإِسْلَامُ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِذَا فَرَعَتْ مِنْ حَجَّهَا اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ، فَحَرَّمَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ الْأَرْبَعَةَ: رَجَبًا، وَذَا الْقَعْدَةَ، وَذَا الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمَ. فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُحِلَّ مِنْهَا شَيْئًا أَحَلَّ الْمُحَرَّمَ فَأَحْلَوْهُ، وَحَرَّمَ مَكَانَهُ صَفَرَ فَحَرَّمُوهُ، لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ الْحُرْمِ. فَإِذَا أَرَادُوا الصَّدَرَ^{٥٩} قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ:

«اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ أَحْلَلْتُ لَكَ أَحَدَ الصَّفَرَيْنِ، الصَّفَرَ الْأَوَّلَ، وَنَسَأْتُ الْآخَرَ لِلْعَامِ الْمُقْبِلِ». ^{٦٠} فَقَالَ فِي ذَلِكَ عُمَيْرُ بْنُ قَيْسٍ «جِذْلُ^{٦١} الطَّعَانِ» أَحَدُ بَنِي فِرَاسٍ بْنِ غُنَمٍ بْنِ ثُعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، يَفْخَرُ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْعَرَبِ:

٥٩ الصَّدْر: الرَّجُوعُ مِنْ مَكَّةَ.

٦٠ كَانَ النِّسَاءُ عِنْدَهُمْ عَلَى ضَرِيْنٍ: أَحَدُهُمَا مَا ذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ مِنْ تَأْخِيرِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ إِلَى صَفَرٍ لِحَاجَتِهِمْ إِلَى شَنِ الْغَارَاتِ وَطَلَبِ الثَّارَاتِ. وَالثَّانِي: تَأْخِيرُهُمُ الْحَجَّ عَنْ وَقْتِهِ تَحْرِيمًا مِنْهُمْ لِلْسَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، فَكَانُوا يُؤَخِّرُونَهُ فِي كُلِّ عَامٍ أَحَدَ عَشَرَ يَوْمًا أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا حَتَّى يَدُورَ الدَّوْرُ إِلَى ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، فَيَعُودُ إِلَى وَقْتِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ». وَكَانَتْ حِجَّةُ الْوَدَاعِ فِي السَّنَةِ الَّتِي عَادَ فِيهَا الْحَجَّ إِلَى وَقْتِهِ، وَلَمْ يَحِجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ غَيْرَ تِلْكَ الْحِجَّةِ، وَذَلِكَ لِإِخْرَاجِ الْكُفَّارِ الْحُجَّ عَنْ وَقْتِهِ، وَلِطَوَافِهِمْ بِالْبَيْتِ عُرَاةَ. (الرَّوْضُ الْأَنْفُ).

٦١ سَمِيَ عُمَيْرٌ كَذَلِكَ لِشَبَابِهِ فِي الْحَرْبِ كَأَنَّهُ جَذَلَ شَجَرَةً وَقِفَ وَقِيلَ لَأَنَّهُ كَانَ يَسْتَشْفَى بِرَأْيِهِ. وَيَسْتَرَاخُ إِلَيْهِ كَمَا تَسْتَرِيحُ الْبَهِيمَةُ الْجَرْبَاءُ إِلَى الْجَذَلِ تَحْتَهُ بِهِ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جَذَلَ الطَّعَانُ: هُوَ عَلَقَمَةُ بْنُ فِرَاسٍ بْنِ غُنَمٍ بْنِ ثُعْلَبَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ. (الرَّوْضُ الْأَنْفُ وَشَرْحُ السِّيَرَةِ).



لَقَدْ عَلِمْتُ مَعَدُّ أَنْ قَوْمِي ... كِرَامُ النَّاسِ أَنْ لَهُمْ كِرَامًا^{٦٢}
فَأَيُّ النَّاسِ فَاتُونَا بِوَتْرٍ^{٦٣} ... وَأَيُّ النَّاسِ لَمْ تُعْلِكْ لِحَامًا^{٦٤}
أَلَسْنَا النَّاسِيَيْنَ عَلَى مَعَدٍّ ... شُهُورَ الْحِلِّ نَجْعَلُهَا حَرَامًا؟
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَوَّلُ الْأَشْهُرِ الْحُرِّ الْمُحَرَّمِ.^{٦٥}

(إِحْدَاثُ الْكِنَانِيِّ فِي الْقُلَيْسِ، وَحَمْلَةُ أَبْرَهَةَ عَلَى الْكَعْبَةِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَ الْكِنَانِيُّ حَتَّى أَتَى الْقُلَيْسَ فَقَعَدَ^{٦٦} فِيهَا - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ
يَعْنِي أَحَدَتْ فِيهَا - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ فَلَحِقَ بِأَرْضِهِ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ أَبْرَهَةَ
فَقَالَ: مَنْ صَنَعَ هَذَا؟ فَقِيلَ لَهُ: صَنَعَ هَذَا رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي
تَحُجُّ الْعَرَبُ إِلَيْهِ بِمَكَّةَ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَكَ: «أَصْرِفْ إِلَيْهَا حَجَّ الْعَرَبِ» غَضِبَ فَجَاءَ
فَقَعَدَ فِيهَا، أَيْ أَنَّهَا لَيْسَتْ لِدَلِكِ بِأَهْلٍ. فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ أَبْرَهَةُ وَحَلَفَ لَيْسِيرَنَّ إِلَى
الْبَيْتِ حَتَّى يَهْدِمَهُ، ثُمَّ أَمَرَ الْحَبْشَةَ فَتَهَيَّأَتْ وَتَجَهَّزَتْ، ثُمَّ سَارَ وَخَرَجَ مَعَهُ بِالْفِيلِ،
وَسَمِعَتْ بِذَلِكَ الْعَرَبُ، فَأَعْظَمُوهُ وَفَطَعُوا بِهِ، وَرَأَوْا جِهَادَهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ، حِينَ سَمِعُوا
بِأَنَّهُ يُرِيدُ هَدْمَ الْكَعْبَةِ، بَيَّتَ اللَّهُ الْحَرَامَ.^{٦٧}

٦٢ أي: آباء كراما وأخلاقا كراما.

٦٣ الوتر: طلب الثأر.

٦٤ لم نعلك لجاما: يُريد لم نقدعهم ونكفهم كما يُقْدَعُ الْفَرَسُ بِاللِّجَامِ، تَقُولُ: أَعْلَكَتِ الْفَرَسَ لِحَامَهُ،
إِذَا رَدَدْتَهُ عَنْ تَنَزُّعِهِ، فَمَضْغُ اللَّجَامِ كَالْعَلَكِ مِنْ نَشَاطِهِ.

٦٥ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٣-٤٥.

٦٦ فِي الْقُعُودِ بِمَعْنَى الْإِحْدَاثِ شَاهِدَ لِقَوْلِ مَالِكٍ وَغَيْرِهِ مِنَ الْفُقَهَاءِ فِي تَفْسِيرِ الْقُعُودِ عَلَى الْمَقَابِرِ الْمُنْهِي عَنْهُ

٦٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٥.

(اسْتِسْلَامُ أَهْلِ الطَّائِفِ لِأَبْرَهَةَ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالُوا لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، إِنَّمَا نَحْنُ عِبِيدُكَ سَامِعُونَ لَكَ مُطِيعُونَ، لَيْسَ عِنْدَنَا لَكَ خِلَافٌ، وَلَيْسَ بَيْنَنَا هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي تُرِيدُ -يَعْنُونَ اللَّاتَ- إِنَّمَا تُرِيدُ الْبَيْتَ الَّذِي بِمَكَّةَ، وَنَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ مَنْ يَدُلُّكَ عَلَيْهِ، فَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ.

(اللَّاتُ):

وَاللَّاتُ: بَيْتٌ لَهُمْ بِالطَّائِفِ كَانُوا يُعَظِّمُونَهُ نَحْوَ تَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنَشَدَنِي أَبُو عَبْدِ النَّحْوِيِّ لِضَرَارِ بْنِ الْخَطَّابِ الْفَهْرِيِّ:
وَفَرَّتْ ثَقِيفٌ إِلَى لَا تَهَا ... بِمُنْقَلَبِ الْخَائِبِ الْخَاسِرِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي آيَاتٍ لَهُ.^{٦٨}

(دُخُولُ أَبْرَهَةَ مَكَّةَ، وَمَا وَقَعَ لَهُ وَلِفِيلِهِ، وَشِعْرُ نُفَيْلٍ فِي ذَلِكَ):

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبْرَهَةُ نَهْيًا لِدُخُولِ مَكَّةَ، وَهَيَّا فِيهِ وَعَبَى جَيْشَهُ، وَكَانَ اسْمُ الْفِيلِ مَحْمُودًا، وَأَبْرَهَةُ مُجْمِعٌ لَهُدْمِ الْبَيْتِ، ثُمَّ الْإِنْصِرَافِ إِلَى الْيَمَنِ. فَلَمَّا وَجَّهُوا الْفِيلَ إِلَى مَكَّةَ، أَقْبَلَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ (الْخَثْعَمِيُّ) حَتَّى قَامَ إِلَى جَنْبِ الْفِيلِ، ثُمَّ أَخَذَ بِأُذُنِهِ، فَقَالَ: أَبْرُكَ مَحْمُودٌ، أَوْ ارْجِعْ رَاشِدًا مِنْ حَيْثُ جِئْتَ، فَإِنَّكَ فِي بَلَدِ اللَّهِ الْحَرَامِ، ثُمَّ أَرْسَلَ أُذُنَهُ. فَبَرَكَ الْفِيلُ، وَخَرَجَ نُفَيْلُ بْنُ حَبِيبٍ يَشْتَدُّ حَتَّى أَصْعَدَ فِي الْجَبَلِ، وَضَرَبُوا الْفِيلَ لِيَقُومَ فَأَبَى، فَضَرَبُوا فِي رَأْسِهِ بِالطَّبْرَزِينَ^{٦٩} لِيَقُومَ فَأَبَى، فَأَدْخَلُوا مَحَاجِنَ^{٧٠} لَهُمْ فِي

٦٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٧.

٦٩ الطبرزين: آلة معقفة من حديد، وطبر بالفارسية: معناها الفأس.

٧٠ المحاجن: جمع محجن، وهي عصا معوجة، وقد يُجعل في طرفها حديد.

مَرَّاقِهِ^{٧١} فَبَزَعُوهُ بِهَا^{٧٢} لِيَقُومَ فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَامَ يُهْرُولُ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الشَّامِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى الْمَشْرِقِ فَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَوَجَّهُوهُ إِلَى مَكَّةَ فَبَرَكَ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ طَيْرًا مِنَ الْبَحْرِ أَمْثَالَ الْخَطَاطِيفِ وَالْبَلَسَانِ^{٧٣}، مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ يَحْمِلُهَا: حَجَرٌ فِي مَنْقَارِهِ، وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، أَمْثَالُ الْحِمَصِ وَالْعَدَسِ، لَا تُصِيبُ مِنْهُمْ أَحَدًا إِلَّا هَلَكَ، وَلَيْسَ كُلُّهُمْ أَصَابَتْ. وَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَبْتَذِرُونَ الطَّرِيقَ الَّذِي مِنْهُ جَاءُوا، وَيَسْأَلُونَ عَنْ نُفَيْلِ بْنِ حَبِيبٍ لِيَدْلُوهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ نُفَيْلٌ حِينَ رَأَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ مِنْ نِقْمَتِهِ:

أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ ... وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهُ: «لَيْسَ الْغَالِبُ» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ نُفَيْلٌ أَيْضًا:

أَلَا حُيِّيتَ عَنَّا يَا رُدَيْنَا^{٧٤} ... نَعْمَانَاكُمْ^{٧٥} مَعَ الْإِصْبَاحِ عَيْنَا

(أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءً ... فَلَمْ يُقَدَّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا)

٧١ مراقبة: يعنى أسفل بطنه.

٧٢ بزعه: آدموه. ومنه المبزغ، وهو المشروط للحجم ونحوه.

٧٣ الخطاطيف: جمع خطاف (كرمان). وهو طائر أسود يقال له «زوار الهند»، وهو الذي تدعوه العامة عصفور الجنة. والبلسان كذا في الأصل. وفي النهاية لابن الأثير (مادة بلس) في التعليق على حديث ابن عباس، قال عباد بن موسى: «وأظنها الزرازير» وقال أبو ذر الحشني في شرحه. والخطاطيف والبلشون ضربان من الطير.

٧٤ ردين: مرخم ردينة، وهو اسم امرأة.

٧٥ هذا دُعاء، يُريد: أي نعمنا بكم، فعدى الفعل لما صرف الجار.

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَا تَرِيهِ ... لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ^{٧٦} مَا رَأَيْتَا
إِذَا لَعَذَرْتَنِي وَحَمِدْتَ أَمْرِي ... وَلَمْ تَأْسِي عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا^{٧٧}
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا ... وَخَفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ ... كَأَنَّ عَلَيَّ لِلْحُبَشَانِ دِينًا

فَخَرَجُوا يَتْسَاقُطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَيَهْلِكُونَ بِكُلِّ مَهْلِكٍ عَلَى كُلِّ مَنْهَلٍ، وَأَصِيبَ
أَبْرَهُهُ فِي جَسَدِهِ، وَخَرَجُوا بِهِ مَعَهُمْ سَقَطُ (أَنَامِلُهُ) أُنْمَلَةٌ أُنْمَلَةٌ،^{٧٨} كُلَّمَا سَقَطَتْ أُنْمَلَةٌ
أَتْبَعَتْهَا مِنْهُ مِدَّةٌ ثَمْتُ^{٧٩} فَيَحَا وَدَمًا، حَتَّى قَدِمُوا بِهِ صَنْعَاءَ وَهُوَ مِثْلُ فَرْخِ الطَّائِرِ، فَمَا مَاتَ
حَتَّى انْصَدَعَ صَدْرُهُ عَنْ قَلْبِهِ، فَيَمَّا يَزْعُمُونَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ أَوَّلَ مَا رُئِيَ الْحَصْبَةُ
وَالْجُدْرِيُّ بِأَرْضِ الْعَرَبِ ذَلِكَ الْعَامَ، وَأَنَّهُ أَوَّلَ مَا رُئِيَ بِهَا مَرَاثِرُ الشَّجَرِ الْحَرْمَلِ
وَالْحَنْظَلِ وَالْعُشْرِ ذَلِكَ الْعَامَ.^{٨٠}

٧٦ المحصب (بالضَّمِّ ثُمَّ الْفَتْحِ وَصَادٌ مُهْمَلَةٌ مُشَدَّدَةٌ عَلَى وَزْنِ اسْمِ الْمَفْعُولِ): مَوْضِعٌ فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَمِنَى، وَهُوَ إِلَى مِنَى أَقْرَبَ، وَهُوَ بَطْحَاءُ مَكَّةَ (رَاجِعٌ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ).

٧٧ بَيْنَا: مُصَدَّرٌ بَانَ بَيْنَ، وَهُوَ مُؤَكَّدٌ لِفَاتٍ.

٧٨ أَيِ يَنْشُرُ جِسْمَهُ. وَالْأُنْمَلَةُ: طَرَفُ الْأَصْبَعِ، وَتَطْلُقُ عَلَى غَيْرِهِ، كَالْجُزْءِ الصَّغِيرِ مِنَ الشَّيْءِ.

٧٩ مَثْ يَمُثْ: رَشَحَ.

٨٠ مَرَاثِرُ: يُقَالُ شَجَرَةٌ مَرَّةً، وَيَجْمَعُ عَلَى مَرَاثِرَ عَلَى غَيْرِ قِيَاسٍ، كَمَا جَمَعُوا حَرَّةً عَلَى حَرَائِرَ. الْحَرْمَلُ: نَوْعَانِ،
نَوْعٌ وَرَقُهُ كَوَرَقِ الْخُلَافِ، وَنَوْرُهُ كَنُورِ الْيَاسْمِينِ. وَنَوْعٌ سَنَفَتُهُ طَوَالٌ مُدَوَّرَةٌ. (السَّنْفَةُ: أَوْعِيَةُ الثَّمَرِ).
وَالْحَرْمَلُ: لَا يَأْكُلُهُ شَيْءٌ إِلَّا الْمَعْزَى، وَقَدْ تَطْبَخَ عُرُوقُهُ فَيَسْقَاهَا الْمَحْمُومُ إِذَا مَا طَلَتْهُ الْحُمَى، وَفِي امْتِنَاعِ
الْحَرْمَلِ عَنِ الْأَكْلَةِ قَالَ طَرَفَةُ وَذَمَّ قَوْمًا:

هَمَّ حَرْمَلٌ أَعْيَا عَلَى كُلِّ أَكَلٍ ... مَبِيتًا وَلَوْ أَمْسَى سَوَامَهُمْ دَثْرًا

(رَاجِعُ اللَّسَانِ وَالْمَفْرَدَاتِ). الْعُشْرُ (كَصَرْدٍ): شَجَرٌ مَرْلُهُ صَمِغٌ وَلَبَنٌ، وَتَعَالَجَ بَلْبَنُهُ الْجُلُودَ قَبْلَ الدَّبَاغَةِ.

(مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ عَنْ قِصَّةِ الْفِيلِ، وَشَرَحُ مُفْرَدَاتِهِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ، كَانَ مِمَّا يُعِدُّ اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ مِنْ نِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ، مَا رَدَّ عَنْهُمْ مِنْ أَمْرِ الْحَبَشَةِ لِبَقَاءِ أَمْرِهِمْ وَمُدَّتِهِمْ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾ (الفيل ١٠٥ / ١-٥) وَقَالَ:

﴿لِإِيلَافٍ قُرَيْشٍ. إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش ١٠٦ / ١-٤)

أَيُّ لَيْثًا يُعَيِّرُ شَيْئًا مِنْ حَالِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، لِمَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ لَوْ قَبِلُوهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَبَابِيلُ: الْجَمَاعَاتُ، وَلَمْ تَتَكَلَّمْ لَهَا الْعَرَبُ بِوَاحِدٍ عِلْمَانَهُ.^{٨١}

وَأَمَّا السَّجِّيلُ، فَأَخْبَرَنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ: الشَّدِيدُ الصُّلْبُ

قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

وَمَسَّهُمْ مَا مَسَّ أَصْحَابَ الْفِيلِ... تَرْمِيهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ
وَلَعِبَتْ طَيْرٌ بِهِمْ أَبَابِيلُ

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ. ذَكَرَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّهُمَا كَلِمَتَانِ بِالْفَارِسِيَّةِ، جَعَلَتْهُمَا الْعَرَبُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَإِنَّمَا هُوَ سَنْجٌ وَجَلٌّ، يَعْنِي بِالسَّنَجِ: الْحَجَرُ، وَالْجَلُّ: الطِّينَ. يَعْنِي: الْحِجَارَةُ مِنْ هَذَيْنِ الْجِنْسَيْنِ: الْحَجَرِ وَالطِّينِ.

٨١ وقيل: إن واحدها أبيل وأبول وإبالة.

وَالْعَصْفُ: وَرَقُ الزَّرْعِ الَّذِي لَمْ يُقَصَّبْ، وَوَاحِدُهُ عَصْفَةٌ. قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ أَنَّهُ يُقَالُ لَهُ: الْعُصَافَةُ وَالْعَصِيفَةُ. وَأَنْشَدَنِي لِعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدِ أَحَدِ بَنِي رِبْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ:

تَسْقَى مَذَانِبَ قَدْ مَالَتْ عَصِيفَتُهَا ... حُدُورُهَا مِنْ أَتَى الْمَاءَ مَطْمُومٌ^{٨٢}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ الرَّاجِزُ:

فَصِيرُوا مِثْلَ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلِهَذَا الْبَيْتُ تَفْسِيرٌ فِي النَّحْوِ.^{٨٣}

وَيْلَافٌ قُرَيْشِيٌّ: إِيْلَافُهُمُ الْخُرُوجَ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَتِهِمْ، وَكَانَتْ لَهُمْ خَرَجَاتِن: خَرْجَةٌ فِي الشِّتَاءِ، وَخَرْجَةٌ فِي الصَّيْفِ. أَخْبَرَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ، أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: أَلِفْتُ الشَّيْءَ الْفَاءَ، وَأَلَفْتُهُ إِيْلَافًا، فِي مَعْنَى وَاحِدٍ. وَأَنْشَدَنِي لِذِي الرُّمَّةِ:

مِنْ الْمُؤَلَّفَاتِ الرُّمْلَ أَدْمَاءَ حَرَّةٍ^{٨٤} ... شُعَاعُ الضُّحَى فِي لَوْنِهَا يَتَوَضَّحُ^{٨٥}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

٨٢ المذانب: جمع مذنب، وهو مسيل الماء إلى الرُّوْضَةِ. حدودها (بالحاء المهملة)، أي ما انحدر منها. ويروى جذروها: جمع جذر، وهي الحواجز التي تحبس الماء، وفي الحديث: «وَأَمْسَكَ الْمَاءَ حَتَّى يَبْلُغَ الْجَذْرُ ثُمَّ أَرْسَلَهُ». الْأَثَى: السَّيْلُ يَأْتِي مِنْ بَلَدٍ بَعِيدٍ. مَطْمُومٌ: مُرْتَفِعٌ، مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: طَمَ الْمَاءُ: إِذَا ارْتَفَعَ وَعَلَا.

٨٣ الْكَلَامُ فِيهِ عَلَى وَرُودِ الْكَافِ حَرْفِ جَرٍّ وَاسِمًا بِمَعْنَى مِثْلِ، وَهِيَ هُنَا حَرْفٌ وَلَكِنَّهَا مَقْحَمَةٌ لِلتَّأْكِيدِ التَّشْبِيهِ، كَمَا أَفْحَمُوا اللَّامَ مِنْ قَوْلِهِمْ: يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْحَمَ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ سِوَى اللَّامِ وَالْكَافِ. أَمَا اللَّامُ فَلِأَنَّهَا تُعْطَى بِنَفْسِهَا مَعْنَى الْإِضَافَةِ، فَلَمْ تَغْيَرْ مَعْنَاهَا، وَكَذَلِكَ الْكَافُ تُعْطَى مَعْنَى التَّشْبِيهِ، فَأَقْحَمَتْ لِلتَّأْكِيدِ مَعْنَى الْمِثَالَةِ.

٨٤ الْأَدْمَاءُ مِنَ الطَّبَاءِ: السَّمَرَاءُ الظَّهَرُ الْبَيْضَاءُ الْبَطْنِ.

٨٥ شُعَاعُ الضُّحَى: بَرِيقُ لَوْنِهِ. وَيَتَوَضَّحُ: يَتَبَيَّنُ.

وَقَالَ مَطْرُودُ بْنُ كَعْبٍ الْخَزَاعِيُّ:

الْمُنْعِمِينَ إِذَا النُّجُومُ تَغَيَّرَتْ^{٨٦} ... وَالظَّاعِنِينَ لِرِحْلَةِ الْإِيلَافِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ سَادَّ كُرْهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْإِيلَافُ أَيْضًا: أَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ أَلْفٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَوْ الْبَقَرِ، أَوْ الْغَنَمِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. يُقَالُ: أَلْفَ فُلَانٍ إِيلَافًا. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِيَّاسِ بْنِ مُضَرِّ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعَدٍ:

بِعَامٍ يَقُولُ لَهُ الْمُؤَلَّفُونَ ... هَذَا الْمُعِيمُ لَنَا الْمَرْجِلُ^{٨٧}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالْإِيلَافُ أَيْضًا: أَنْ يَصِيرَ الْقَوْمُ أَلْفًا، يُقَالُ أَلْفَ الْقَوْمِ إِيلَافًا. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

وَأَلْ مُزَيْقِيَاءَ عَدَاةَ لَا فَوْا ... بَنِي سَعْدِ بْنِ صَبَّةَ مُؤَلِّفِينَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالْإِيلَافُ أَيْضًا: أَنْ تُؤَلَّفَ الشَّيْءُ إِلَى الشَّيْءِ فَيَأْلَفُهُ وَيَلْزَمُهُ، يُقَالُ: أَلَفْتُهُ إِيَّاهُ إِيلَافًا.

وَالْإِيلَافُ أَيْضًا: أَنْ تَصِيرَ مَا دُونَ الْأَلْفِ أَلْفًا، يُقَالُ: أَلَفْتُهُ إِيلَافًا.

٨٦ تَغَيَّرَتْ: اسْتَحَالَتْ عَنْ عَادَتِهَا مِنَ الْمَطَرِ، عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي النُّجُومِ. وَيُرْوَى: «تَغَيَّرَتْ» بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ: أَيِ قُلْ مَطَرُهَا، مِنَ الْغَبْرِ، وَهُوَ الْبَقِيَّةُ.

٨٧ المعيم: من العيمة، وَهِيَ الشُّوقُ إِلَى اللَّبَنِ. وَالْمَرْجِلُ: الَّذِي تَذْهَبُ إِبِلُهُ فَيَمْشِي عَلَى أَرْجَلِهِ. يُرِيدُ تِلْكَ السَّنَةَ تَجْعَلُ صَاحِبَ الْأَلْفِ مِنَ اللَّبَنِ يِعَامُ إِلَى اللَّبَنِ، وَيَسْعَى مَاشِيًا. وَيُرْوَى: «المرحل» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ: أَيِ الَّذِي يَرْحَلُهُمْ عَنْ بِلَادِهِمْ لَطَلَبِ الْخَصْبِ.



(مَا أَصَابَ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسُهُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ، عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: لَقَدْ رَأَيْتُ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ.

(مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْفِيلِ مِنَ الشَّعْرِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ الْحَبَشَةَ عَنْ مَكَّةَ، وَأَصَابَهُمْ بِمَا أَصَابَهُمْ بِهِ مِنَ النَّقْمَةِ، أَعْظَمَتِ الْعَرَبُ قُرَيْشًا، وَقَالُوا: هُمْ أَهْلُ اللَّهِ، قَاتَلَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَكَفَاهُمْ مَثُونَةَ عَدُوِّهِمْ. فَقَالُوا فِي ذَلِكَ أَشْعَارًا يَذْكُرُونَ فِيهَا مَا صَنَعَ اللَّهُ بِالْحَبَشَةِ، وَمَا رَدَّ عَنْ قُرَيْشٍ مِنْ كَيْدِهِمْ.

(شِعْرُ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ قَيْسٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمِ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ:

تَنَكَّلُوا عَنْ بَطْنِ مَكَّةَ إِنَّهَا ... كَانَتْ قَدِيمًا لَا يُرَامُ حَرِيمُهَا

لَمْ تَخْلُقِ الشَّعْرَى^{٨٨} لِيَالِي حُرْمَتٍ ... إِذْ لَا عَزِيزَ مِنَ الْأَنَامِ يَرُومُهَا

سَائِلُ أَمِيرِ الْجَيْشِ عَنْهَا مَا رَأَى ... وَلَسَوْفَ يُنْبِي الْجَاهِلِينَ عَلَيْهَا

٨٨ الشعري: اسم النجم، وهما شعريان، إحداهما الغميصاء، وهي التي في ذراع الأسد، والأخرى التي تتبع الجوزاء، وهي أضواء من الضياء.

سُتُونَ أَلْفًا لَمْ يَتُوبُوا^{٨٩} أَرْضَهُمْ ... وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا
كَانَتْ بِهَا عَادٌ وَجُرْهُمْ قَبْلَهُمْ ... وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ الْعِبَادِ يُقِيمُهَا
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: يَعْنِي ابْنُ الزُّبَيْرِ يَقُولُهُ: «بَعْدَ الْإِيَابِ سَقِيمُهَا»، أَبْرَهَةَ، إِذْ حَمَلُوهُ
مَعَهُمْ حِينَ أَصَابَهُ مَا أَصَابَهُ، حَتَّى مَاتَ بِصَنْعَاءَ.

(شِعْرُ ابْنِ الْأَسْلَتِ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ الْأَنْصَارِيُّ ثُمَّ الْخَطْمِيُّ، وَاسْمُهُ صَيْفِيُّ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ
أَبُو قَيْسٍ: صَيْفِيُّ بْنُ الْأَسْلَتِ بْنِ جُشَمَ بْنِ وَاثِلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ قَيْسِ ابْنِ عَامِرَةَ ابْنِ مُرَّةَ بْنِ
مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ:

وَمِنْ صُنْعِهِ يَوْمَ فِيلِ الْحَبُوشِ ... إِذْ كَلَّمَا بَعَثُوهُ رَزَمٌ^{٩٠}
مَحَاجِنُهُمْ تَحْتَ أَقْرَابِهِ ... وَقَدْ شَرَّمُوا أَنْفَهُ فَأَنْخَرُمُ^{٩١}
وَقَدْ جَعَلُوا سَوَطَهُ مِغُولًا ... إِذَا يَمَّمُوهُ قَفَاهُ كُلِّمٌ^{٩٢}
فَوَلَّى وَأَذْبَرَ أَذْرَاجَهُ ... وَقَدْ بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثُمَّ
فَارْسَلَ مِنْ فَوْقِهِمْ حَاصِبًا ... فَلَفَّهُمْ مِثْلَ لَفِّ الْقُزْمِ^{٩٣}

٨٩ لم يتوبوا: لم يرجعوا، وَكَانَ الْوَجْهَ أَنْ يَقُولَ: «إِلَى أَرْضِهِمْ» فَحُذِفَ حَرْفُ الْجُرِّ وَوَصَلَ الْفِعْلُ.

٩٠ رزم: ثَبِتَ بِمَكَانِهِ فَلَمْ يَرْحَهُ، وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْإِعْيَاءِ.

٩١ المحاجن: جمع محجن، وَهِيَ عَصَا مَعُوجَةٌ. وَالْأَقْرَابُ: جَمْعُ قَرَبٍ، وَهُوَ الْخَصِرُ، وَشَرَّمُوا: شَقُّوا

٩٢ المغول: سَكِينٌ كَثِيرَةٌ دُونَ الْمَشْمَلِ (سَيْفٍ صَغِيرٍ). وَيُرْوَى: مَعُولًا (بِالْعَيْنِ الْمُثَمَّلَةِ): وَهِيَ الْفَأْسُ.

وكلم: جرح.

٩٣ القزم: جمع قزم، وَهُوَ الصَّغِيرُ الْجَثَّةُ.

تَحْضُ عَلَى الصَّبْرِ أَحْبَارُهُمْ ... وَقَدْ تَأَجُّوا كَثُوجِ الْغَنَمِ^{٩٤}
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.
 وَالْقَصِيدَةُ أَيْضًا تُرَوَى لِأُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ.
 قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ:
 فَتَقَوْمُوا فَصَلُّوا رَبِّكُمْ وَتَمَسَّحُوا ... بِأَرْكَانِ هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ الْأَخَاشِبِ^{٩٥}
 فَعِنْدَكُمْ مِنْهُ بَلَاءٌ مُصَدِّقٌ ... غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ هَادِي الْكَتَائِبِ
 كَتَبْتُهُ بِالسَّهْلِ تُمَسِّي وَرَجُلُهُ ... عَلَى الْقَازِفَاتِ فِي رُءُوسِ الْمَنَاقِبِ^{٩٦}
 فَلَمَّا أَتَاكُمْ نَصْرُ ذِي الْعَرْشِ رَدَّهُمْ ... جُنُودُ الْمَلِكِ بَيْنَ سَافٍ وَحَاصِبِ^{٩٧}
 فَوَلَّوْا سِرَاعًا هَارِبِينَ وَلَمْ يُوْبْ ... إِلَى أَهْلِهِ مَلْحَبِسٍ^{٩٨} غَيْرَ عَصَائِبِ^{٩٩}
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ قَوْلَهُ: «عَلَى الْقَازِفَاتِ فِي رُءُوسِ
 الْمَنَاقِبِ». وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لِأَبِي قَيْسٍ، سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.
 وَقَوْلُهُ: «غَدَاةَ أَبِي يَكْسُومَ»، يَعْنِي أَبْرَهَةَ، كَانَ يُكْنَى أَبَا يَكْسُومَ.

٩٤ ثاج: صاح.

٩٥ صلوا ربكم: أي ادعوا ربكم. والأخاشب: جبال مكة وجبال منى.

٩٦ القاذفات: أعلى الجبال البعيدة. والمناقب: جمع منقبة، وهي الطريق في رأس الجبل.

٩٧ السافي (هنا): الذي غطاه التراب. والحاصب: الذي أصابته الحجارة، وهما على معنى النسب، وقد يكون المراد منهما اسم الفاعل الجاري على الفعل حقيقة.

٩٨ يُريد من الحبس

٩٩ العصائب: الجماعات.

(شِعْرُ طَالِبٍ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ طَالِبُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ^{١٠٠}:
 أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا كَانَ فِي حَرْبٍ دَاحِسٍ... وَجَيْشٍ أَبِي يَكْسُومٍ إِذْ مَلَأُوا الشُّعْبَا^{١٠١}
 فَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا شَيْءَ غَيْرُهُ... لَا صَبَحْتُمْ لَا تَمْنَعُونَ لَكُمْ سِرْبًا^{١٠٢}
 قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ فِي يَوْمِ بَدْرٍ، سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(شِعْرُ أَبِي الصَّلْتِ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو الصَّلْتِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ الثَّقَفِيُّ فِي شَأْنِ الْفِيلِ، وَيَذْكُرُ الْحَنِيفِيَّةَ
 دِينَ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تُرَوَّى لِأُمِّيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الثَّقَفِيِّ:
 إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ... لَا يُمَارِي فِيهِنَّ إِلَّا الْكُفُورُ
 خُلِقَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ فَكُلٌّ... مُسْتَبِينَ حِسَابُهُ مَقْدُورُ
 ثُمَّ يَجْلُو النَّهَارُ رَبُّ رَحِيمٍ... بِمَهَاةٍ^{١٠٣} شَعَاعُهَا مَبْشُورُ
 حُبْسِ الْفِيلِ بِالْمُعْمَسِ حَتَّى... ظَلَّ يَحْبُو كَأَنَّهُ مَعْقُورُ

١٠٠ ويزكرون أن طالبا هذا كان أسن من جعفر بعشرة أعوام، كما كان جعفر أسن من علي عليه السلام بمثل ذلك، ويُقال إن الجن اختطفت طالبا، ولم يعرف عنه أنه أسلم.

١٠١ داحس: اسم فرس مشهور، وكانت حرب بسببه. الشعب: الطريق في الجبل.

١٠٢ السرب (بفتح السين): المال الراعي، والسرب (بكسر السين): النفس، أو يقال القوم، ومنه:

أصبح آمنا في سربه، أي في نفسه، أو في قومه. السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٥٩.

١٠٣ المهابة: الشمس، سميت بذلك لصفائها، والمها من الأجسام: الذي يرى باطنه من ظاهره.

لَا زِمًا حَلَقَةَ الْجِرَانِ كَمَا قَطَّرَ ... مِنْ صَخْرٍ كَبْكَبٍ مَحْدُورٍ^{١٠٤}
 حَوْلَهُ مِنْ مُلُوكٍ كِنْدَةَ أَبْطَالٍ ... مَلَاوِيثُ^{١٠٥} فِي الْحُرُوبِ صُقُورُ
 خَلَفُوهُ ثُمَّ ابْذَعُرُوا^{١٠٦} جَمِيعًا ... كُلُّهُمْ عَظُمُ سَاقِهِ مَكْسُورُ
 كُلِّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ ... إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ بُورُ^{١٠٧}

(شِعْرُ الْفَرَزْدَقِ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ - وَاسْمُهُ هَمَامٌ بْنُ غَالِبٍ أَحَدُ بَنِي مُجَاشِعِ بْنِ دَارِمِ
 بْنِ مَالِكِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ - يَمْدَحُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ
 مَرْوَانَ، وَيَهْجُو الْحَجَّاجَ بْنَ يُوْسُفَ، وَيَذْكُرُ الْفِيلَ وَجَيْشَهُ:

فَلَمَّا طَغَى الْحَجَّاجُ حِينَ طَغَى بِهِ ... غَنَى^{١٠٨} قَالَ إِنِّي مُرْتَقٍ فِي السَّلَالِمِ
 فَكَانَ كَمَا قَالَ ابْنُ نُوحٍ سَارَتْ قِي ... إِلَى جَبَلٍ مِنْ خَشْيَةِ الْمَاءِ عَاصِمِ
 رَمَى اللَّهُ فِي جُثَمَانِهِ مِثْلَ مَا رَمَى ... عَنِ الْقُبْلَةِ الْبَيْضَاءِ^{١٠٩} ذَاتِ الْمَحَارِمِ

١٠٤ والجِرَان: الصَّدْر. وقطر، أي رمى به على جانبيه. والقطر: الجانب. وكبكب: اسم جبل. والمحدور:
 الحجر الذي حذر حتى بلغ الأرض. يشبه الفيل ببروكه ووقوعه إلى الأرض بهذا الحجر الذي
 يتحدر من جبل كبكب.

١٠٥ ملاويث: أشداء.

١٠٦ ابذعروا: تفرقوا.

١٠٧ يُريد بالحنيفة: الأمة الحنيفة: أي المسلمة التي على دين إبراهيم الحنيف ﷺ، وذلك أنه حنف عما
 كَانَ يَبْعَدُ آبَاؤُهُ وَقَوْمُهُ: أي عدل.

١٠٨ وَهُوَ مِنَ الْغِنَاءِ، بِمَعْنَى الْإِسْتِغْنَاءِ، وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «عَنَّا» بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ.

١٠٩ الْقُبْلَةُ الْبَيْضَاءُ: يُرِيدُ الْكَعْبَةَ.

جُنُودًا تَسُوقُ الْفِيلَ حَتَّى أَعَادَهُمْ ... هَبَاءٌ وَكَانُوا مُطْرَحِمِي الطَّرَاحِمِ^{١١٠}
نُصِرَتْ كَنْصَرِ الْبَيْتِ إِذْ سَاقَ فِيْلَهُ ... إِلَيْهِ عَظِيمُ الْمُشْرِكِينَ الْأَعَاجِمِ
وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ

(شِعْرُ ابْنِ الرُّقَيَّاتِ فِي وَقْعَةِ الْفِيلِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ الرُّقَيَّاتُ: أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ
يَذْكُرُ أَبْرَهَةَ - وَهُوَ الْأَشْرَمُ - وَالْفِيلَ:

كَادَهُ الْأَشْرَمُ الَّذِي جَاءَ بِالْفِيلِ ... فَوَلَّى وَجَيْشُهُ مَهْزُومٌ
وَاسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِمُ الطَّيْرُ بِالْجَنْدَلِ ... حَتَّى كَانَهُ مَرْجُومٌ^{١١١}
ذَاكَ مَنْ يَغْزُهُ مِنَ النَّاسِ يَرْجَعُ ... وَهُوَ فَلٌّ^{١١٢} مِنَ الْجِيُوشِ ذَمِيمٌ
وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.^{١١٣}

١١٠ الهباء: مَا يَظْهَرُ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ إِذَا دَخَلَتْ مِنْ مَوْضِعٍ ضَيِّقٍ. والمطرخم: الممتلئ كبرا وغضبا.
والطراخم: جمع مطرخم، وَهُوَ المتكبر.

١١١ قَالَ السَّهْلِيُّ فِي التَّعْلِيلِ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ: «وَقَوْلُهُ: حَتَّى كَانَهُ مَرْجُومٌ» وَهُوَ قَدْ رَجِمَ، فَكَيْفَ
شَبَّهَهُ بِالْمَرْجُومِ، وَهُوَ مَرْجُومٌ بِالْحِجَارَةِ، وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي مَقْتُولٍ كَانَهُ مَقْتُولٌ؟ فَنَقُولُ: لَمَّا
ذَكَرَ اسْتِهْلَالَ الطَّيْرِ، وَجَعَلَهَا كَالسَّحَابِ يَسْتَهْلُ بِالْمَطَرِ، وَالْمَطَرُ لَيْسَ بِرَجْمٍ، وَإِنَّمَا الرَّجْمُ بِالْأَكْفِ
وَنَحْوِهَا. شَبَّهَهُ بِالْمَرْجُومِ الَّذِي يَرْجُمُهُ الْأَدَمِيُّونَ أَوْ مَنْ يَعْقِلُ وَيَتَعَمَّدُ الرَّجْمَ مِنْ عَدُوِّهِ وَنَحْوِهِ، فَعِنْدَ
ذَلِكَ يَكُونُ الْمَقْتُولُ بِالْحِجَارَةِ مَرْجُومًا عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ جَيْشُ الْحَبَشَةِ كَذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَمَطَرُوا
حِجَارَةً، فَمَنْ ثَمَّ قَالَ: «كَانَهُ مَرْجُومٌ».

١١٢ الفل: الجَيْشُ المنهزم.

١١٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٥٢-٦١.

(قِصَّةُ عَمْرِو بْنِ لُحْيٍ وَذِكْرُ أَصْنَامِ الْعَرَبِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ عَمْرَو بْنَ لُحْيٍ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي بَعْضِ أُمُورِهِ، فَلَمَّا قَدِمَ مَابَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ، وَبِهَا يَوْمُئِذٍ الْعَمَالِيقُ - وَهُمْ وَلَدُ عِمْلَاقٍ. وَيُقَالُ عِمْلِيقُ بْنُ لَؤْذَ بْنِ سَامَ بْنِ نُوحٍ - رَأَاهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ، فَقَالَ لَهُمْ: مَا هَذِهِ الْأَصْنَامُ الَّتِي أَرَأَكُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا لَهُ: هَذِهِ أَصْنَامُ نَعْبُدُهَا، فَتَسْتَمْطِرُهَا فَنَمْطِرُنَا، وَتَسْتَنْصِرُهَا فَنَنْصُرُنَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَفَلَا تُعْطُونَنِي مِنْهَا صَنْمًا، فَأَسِيرَ بِهِ إِلَى أَرْضِ الْعَرَبِ، فَيَعْبُدُوهُ؟ فَأَعْطَوْهُ صَنْمًا يُقَالُ لَهُ هُبْلٌ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ، فَنَصَبَهُ وَأَمَرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ.^{١١٤}

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيَزْعُمُونَ أَنَّ أَوَّلَ مَا كَانَتْ عِبَادَةُ الْحِجَارَةِ فِي بَنِي إِسْمَاعِيلَ، أَنَّهُ كَانَ لَا يَطْعَنُ مِنْ مَكَّةَ ظَاعِنٌ مِنْهُمْ، حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ، وَالتَّمَسُّوا الْفَسْحَ فِي الْبِلَادِ، إِلَّا حَمَلَ مَعَهُ حَجَرًا مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَمِ تَعْظِيمًا لِلْحَرَمِ، فَحَيْثُمَا نَزَلُوا وَضَعُوهُ فَطَافُوا بِهِ كَطَوَافِهِمْ بِالْكَعْبَةِ، حَتَّى سَلَخَ ذَلِكَ بِهِمْ^{١١٥} إِلَى أَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَ مَا اسْتَحْسَنُوا مِنْ الْحِجَارَةِ، وَأَعْجَبَهُمْ، حَتَّى خَلَفَ الْخُلُوفُ^{١١٦}، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ، وَاسْتَبَدَّلُوا بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ غَيْرُهُ، فَعَبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَصَارُوا إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ الْأُمَمُ قَبْلَهُمْ

١١٤ وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَوَّلَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ عَمْرِو هَذَا فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ: أَنَّهُ كَانَ جِنَ غَلَبَتْ خُرَاعَةٌ عَلَى الْبَيْتِ، وَنَفَتْ جَرَاهُمْ عَنْ مَكَّةَ، جَعَلَتْهُ الْعَرَبُ رَبًّا لَا يَبْتَدِعُ لَهُمْ بَدْعَةً إِلَّا اتَّخَذُوهَا شَرْعًا، لِأَنَّهُ كَانَ يَطْعَمُ النَّاسَ وَيَكْسُوهُمْ فِي الْمَوْسِمِ، فَرُبَّمَا نَحَرَ فِي الْمَوْسِمِ عَشْرَةَ آلَافٍ بَدَنَةً، وَكَسَا عَشْرَةَ آلَافٍ حَلَّةً، وَكَانَتْ هُنَاكَ صَخْرَةٌ يَلْتُ عَلَيْهَا السُّوَيْقُ لِلْحِجَاجِ رَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ، وَكَانَتْ تَسْمَى صَخْرَةَ اللَّاتِ (أَيِ الَّذِي يَلْتُ الْعَجِينَ) فَلَمَّا مَاتَ هَذَا الرَّجُلُ، قَالَ لَهُمْ عَمْرُو: إِنَّهُ لَمْ يَمِتْ، وَلَكِنْ دَخَلَ فِي الصَّخْرَةِ، وَأَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهَا، وَأَنْ يَبْنُوا عَلَيْهَا بَيْتًا يُسَمَّى اللَّاتِ. (الرُّوضُ الْأَنْفُ)

١١٥ سَلَخَ بِهِمْ: خَرَجَ بِهِمْ.

١١٦ الْخُلُوفُ: جَمْعُ خَلْفٍ (بِالْفَتْحِ)، وَهُوَ الْقَرْنُ بَعْدَ الْقَرْنِ.

مِنَ الصَّلَاتِ، وَفِيهِمْ عَلَى ذَلِكَ بَقَايَا مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ يَتَمَسَّكُونَ بِهَا، مِنْ تَعْظِيمِ
الْبَيْتِ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، وَالْوُقُوفِ عَلَى عَرَفَةَ وَالْمَزْدَلِفَةِ، وَهَدْيِ الْبُذْنِ،
وَالْإِهْلَالِ بِالْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، مَعَ إِدْخَالِهِمْ فِيهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ. فَكَانَتْ كِنَانَةً وَقُرَيْشٌ إِذَا أَهَلُّوا
قَالُوا: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، إِلَّا شَرِيكَ هُوَ لَكَ، تَمْلِكُهُ وَمَا مَلَكَ». .
فَيُوحِّدُونَهُ بِالتَّلْبِيَةِ، ثُمَّ يَدْخُلُونَ مَعَهُ أَصْنَامَهُمْ، وَيَجْعَلُونَ مِلْكَهَا بِيَدِهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ
وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ (يوسف ١٠٦/١٢)

أَيَّ مَا يُوحِّدُونَنِي لِمَعْرِفَةِ حَقِّي إِلَّا جَعَلُوا مَعِيَ شَرِيكًا مِنْ خَلْقِي.

(الْأَصْنَامُ عِنْدَ قَوْمِ نُوحٍ)

وَقَدْ كَانَتْ لِقَوْمِ نُوحٍ أَصْنَامٌ قَدْ عَكَفُوا عَلَيْهَا، قَصَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَبَرَهَا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:

﴿وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَتَكُمْ، وَلَا تَدْرُنَّ وُدًّا وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا، وَقَدْ
أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ (نوح ٧١/٢٣-٢٤)

(الْقَبَائِلُ وَأَصْنَامُهَا، وَشَيْءٌ عَنْهَا)

فَكَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا تِلْكَ الْأَصْنَامَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَغَيْرِهِمْ وَسَمَّوْا بِأَسْمَائِهِمْ حِينَ
فَارَقُوا دِينَ إِسْمَاعِيلَ: هُذَيْلُ بْنُ مَدْرَكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ، اتَّخَذُوا سُوعَا، فَكَانَ لَهُمْ
بِرَهَاظٌ^{١١٧}. وَكَلْبُ بْنُ وَبَرَةَ مِنْ قُضَاعَةَ، اتَّخَذُوا وَدًّا بِدَوْمَةِ الْجَنْدَلِ^{١١٨}.

١١٧ رهاط: من أرض ينبع.

١١٨ دومة الجندل (بضم أوله وفتحها، وقد أنكر ابن دُرَيْدَ الفَتْحَ وعده من أغلاط المحدثين): من أعمال
المدينة، سميت بدوم بن إِسْمَاعِيلَ بن إِبْرَاهِيمَ. (راجع مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ).

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ:

وَنَسَى اللَّاتَ وَالْعُزَّى وَوَدًّا ... وَتَسْلُبُهَا الْقَلَائِدَ وَالشُّنُوفَا^{١١٩}

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ سَأَدُكُرْهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْعَمُ مِنْ طَبِئٍ، وَأَهْلُ جُرَشٍ مِنْ مَذْحِجٍ اتَّخَذُوا يَعُوثَ بِجُرَشٍ^{١٢٠}.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخِيَوَانُ^{١٢١} بَطْنٌ مِنْ هَمْدَانَ، اتَّخَذُوا يَعُوقَ بِأَرْضِ هَمْدَانَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ مَالِكُ بْنُ نَمَطٍ الْهَمْدَانِيُّ:

يَرِيشُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَيَبْرِي ... وَلَا يَبْرِي يَعُوقُ وَلَا يَرِيشُ^{١٢٢}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي آيَاتٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذُو الْكَلَّاعِ مِنْ حِمِيرٍ، اتَّخَذُوا نَسْرًا بِأَرْضِ حِمِيرٍ.

وَكَانَ لَخَوْلَانَ صَنْمٌ يُقَالُ لَهُ عُمَيَّانُسُ^{١٢٣} بِأَرْضِ خَوْلَانَ، يُقْسِمُونَ لَهُ مِنْ أَنْعَامِهِمْ وَحَرَوْتِهِمْ قَسَمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ، فَمَا دَخَلَ فِي حَقِّ عُمَيَّانُسَ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى

١١٩ الشنوف: جمع شنف، وهو القرط الذي يُجَعَلُ فِي الْأَذُنِ.

١٢٠ جرَش (بِالضَّمِّ ثُمَّ الْفَتْحُ وَشَيْنٌ مُعْجَمَةٌ): مِنْ مُخَالِفِ الْيَمَنِ مِنْ جِهَةِ مَكَّةَ. (رَاجِعٌ مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ).

١٢١ وخيوان أيضا: قَرْيَةٌ لَهُمْ مِنْ صَنْعَاءَ عَلَى لَيْلَتَيْنِ مِمَّا يَلِي مَكَّةَ، وَكَانَ بِهَا يَعُوقُ هَذَا.

١٢٢ يريش ويبري: مِنْ رَشَّتِ السَّهْمَ وَبَرَيْتَهُ، ثُمَّ اسْتَعِيرَ فِي النَّفْعِ وَالضَّرِّ.

١٢٣ كَذَا فِي الْأَصْنَافِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ. وَفِي أَكْثَرِ الْأُصُولِ: «غَمْ أَنْسَ». وَفِي عُمُودِ النَّسَبِ لِلشَّيْخِ أَحْمَدَ الْبَدَوِيِّ الشَّنْقِيطِيِّ: «غَمْ أَنْسَ»، وَقَدْ نَبِهَ الْمَرْحُومُ أَحْمَدُ زَكِي بَاشَا أَنَّهُ لَمْ يَعِثِرْ عَلَى اسْمِ كَهَذَا الَّذِي وَرَدَ فِي السَّيَرَةِ فِي كِتَابِ اللُّغَةِ.

الَّذِي سَمَّوْهُ لَهُ تَرْكُوهُ لَهُ، وَمَا دَخَلَ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ حَقِّ عُمَيَّاسٍ رَدُّوهُ عَلَيْهِ. وَهُمْ بَطْنٌ مِنْ خَوْلَانَ، يُقَالُ لَهُمْ الْأَدِيمُ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيْمَا يَذْكُرُونَ: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا، فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ، وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا، فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ، وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (الأنعام ٦/١٣٦) ١٢٤

(هُبَلُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ اتَّخَذَتْ صَنَمًا عَلَى بئرٍ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ يُقَالُ لَهُ: هُبَلٌ ١٢٥.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: سَأَذْكُرُ حَدِيثَهُ إِنْ سَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهِ.

(إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ ١٢٦ وَحَدِيثُ عَائِشَةَ عَنْهُمَا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذُوا إِسَافًا وَنَائِلَةً، عَلَى مَوْضِعِ رَمَزَمٍ يَنْحَرُونَ عَنْدهُمَا. وَكَانَ إِسَافٌ وَنَائِلَةٌ رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ -هُوَ إِسَافُ بْنُ بَغِيٍّ، وَنَائِلَةُ بِنْتُ دِيكٍ- فَوَقَعَ إِسَافٌ عَلَى نَائِلَةٍ فِي الْكَعْبَةِ، فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ حَجَرَيْنِ.

١٢٤ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٧٧-٨١.

١٢٥ وَكَانَ هُبَلُ أَكْظَمُ أَصْنَامِ الْعَرَبِ الَّتِي فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ وَحَوْلَهَا، وَكَانَ مِنْ عَقِيقِ أَحْمَرَ عَلَى صُورَةِ إِنْسَانٍ، مَكْسُورُ الْيَدِ الْيُمْنَى، أَدْرَكَتْهُ قُرَيْشٌ كَذَلِكَ، فَجَعَلُوا لَهُ يَدًا مِنْ ذَهَبٍ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ نَصَبَهُ حُزَيْمَةُ ابْنُ مَدْرَكَةَ بْنِ الْيَاسِ بْنِ مَضَرَ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: هُبَلُ حُزَيْمَةَ، وَكَانَتْ تُضْرَبُ عَنْدهُ الْقِدَاحُ: (رَاجِعِ الْأَصْنَامِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ).

١٢٦ انظر: تفسير البقرة ٢/١٥٨.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زُرَّارَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةً كَانَا رَجُلًا وَامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمِ، أَحَدُنَا^{١٢٧} فِي الْكَعْبَةِ، فَمَسَخَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى حَجَرَيْنِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ ... بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلٍ^{١٢٨}
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(مَا كَانَ يَفْعَلُهُ الْعَرَبُ مَعَ الْأَصْنَامِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاتَّخَذَ أَهْلُ كُلِّ دَارٍ فِي دَارِهِمْ صَنَمًا يَعْبُدُونَهُ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ سَفَرًا تَمَسَّحَ بِهِ حِينَ يَرْكَبُ، فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ مَا يَصْنَعُ حِينَ يَتَوَجَّهُ إِلَى سَفَرِهِ، وَإِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ تَمَسَّحَ بِهِ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى أَهْلِهِ فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالتَّوْحِيدِ، قَالَتْ قُرَيْشٌ: «أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» (ص ٣٨/٥) وَكَانَتِ الْعَرَبُ قَدْ اتَّخَذَتْ مَعَ الْكَعْبَةِ طَوَاغِيَتَ وَهِيَ بَيُوتٌ تُعْظَمُهَا كَتَعْظِيمِ الْكَعْبَةِ، لَهَا سِدَنَةٌ وَحُجَابٌ، وَتُهْدِي لَهَا كَمَا تُهْدِي لِلْكَعْبَةِ، وَتَطُوفُ بِهَا كَطَوَافِهَا بِهَا، وَتَنْحَرُ عِنْدَهَا. وَهِيَ تَعْرِفُ فَضْلَ الْكَعْبَةِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهَا كَانَتْ قَدْ عَرَفَتْ أَنَّهَا بَيْتُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ وَمَسْجِدُهُ.

١٢٧ يُرِيدُ الْحَدِيثَ الَّذِي هُوَ الْفُجُورُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مَنْ أَحْدَثَ حَدَّثًا أَوْ آوَى مُحْدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ».

١٢٨ وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ هَذَا الشَّعْرُ يَحْلِفُ بِإِسَافٍ وَنَائِلَةٍ حِينَ تَحَالَفَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ فِي أَمْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (رَاجِعِ الْأَصْنَامَ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ).

(الْعُزَّى ١٢٩ وَسَدَنَّتْهَا)

فَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَبَنِي كِنَانَةَ الْعُزَّى ١٣٠ بِنَخْلَةٍ ١٣١، وَكَانَ سَدَنَّتْهَا وَحُجَّابُهَا بَنُو شَيْبَانَ، مِنْ سُلَيْمٍ، حُلَفَاءُ بَنِي هَاشِمٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حُلَفَاءُ بَنِي أَبِي طَالِبٍ خَاصَّةً، وَسُلَيْمٌ: سُلَيْمُ بْنُ مَنْصُورِ ابْنِ عِكْرِمَةَ بْنِ خَصَفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ شَاعِرٌ مِنَ الْعَرَبِ:

لَقَدْ أَنْكِحَتْ أَسْمَاءُ رَأْسَ بُقَيْرَةَ ... مِنْ الْأُذْمِ أَهْدَاهَا امْرُؤٌ مِنْ بَنِي غَنَمٍ

رَأَى قَدْعًا ١٣٢ فِي عَيْنِهَا إِذْ يَسُوقُهَا ... إِلَى غَبَبِ الْعُزَّى فَوَسَّعَ ١٣٣ فِي الْقَسَمِ

١٢٩ انظر: النجم ٥٣/١٩.

١٣٠ والعزى: أحدث من اللات ومناة، فقد سمت العرب بها قبل العزى، فقد سمي بتيمم بن مرابنه يزيد مناة، كما سمي ثعلبة بن عكابة ابنه بتيم اللات، وكان عبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب، وكان الذي اتخذ العزى ظالم بن أسعد، وكانت أعظم الأصنام عند قريش، وكانوا يزورونها، ويهدون لها، ويتقربون عندها بالذبح. ولقد بلغ من حرص قريش على عبادتها أنه لما مرض أبو أحiche مرضه الذي مات فيه دخل عليه أبو هب يعودُه، فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك يا أبا أحiche! أَمِنْ الموت تبكي، ولا بد منه؟ قال: لا والله، ولكن أخاف أن لا تعبد العزى بعدي، قال أبو هب: والله ما عبدت حياتك لأجلِك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك، فقال أبو أحiche: الآن علمت أن لي الله خليفة. وأعجبه من أبي هب شدة نصبه في عبادتها: (الأصنام لابن الكلبي، ومعجم البلدان لياقوت).

١٣١ هي نخلة الشامية، وكانت العزى بواد منها، يقال له الحراض، بإزاء الغمير عن يمين المصعد إلى العراق من مكة، وذلك فوق ذات عرق إلى البستان بتسعة أميال، وقد همت قريش للعزى شعبًا من وادي الحراض، يقال له: سقام. يضاؤون به حرم الكعبة. (الأصنام لابن الكلبي، ومعجم البلدان لياقوت).

١٣٢ كذا في الأصول، والقدر: السدر في العين، وفي الفائق للزمخشري: القدر: انسلاق العين من كثرة البكاء. وفي الأصنام لابن الكلبي: «قذا» بالذال المعجمة. والقدر: البياض.

١٣٣ وفي الأصنام: «فوضع». وفي الفائق للزمخشري: «فَنَصَفَ». يريد أن يشبه هذا الممدوح برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها، فلا تصلح إلا للذبح والتقسيم. قال أبو خراش هذا الشعر يهجو به رجلا تزوج امرأة جميلة يقال لها أساء.

وَكَذَلِكَ كَانُوا يَصْنَعُونَ إِذَا نَحَرُوا هَدْيًا قَسَمُوهُ فِي مَنْ حَضَرَهُمْ. وَالْعَبَبُ: الْمَنْحَرُ وَمَهْرَاقُ الدِّمَاءِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لِأَبِي خِرَاشٍ الْهَدَلِيِّ، وَاسْمُهُ خُوَيْلِدُ بْنُ مُرَّةٍ، فِي آيَاتٍ لَهُ.

(الَلَاتُ ١٣٤ وَسَدَنَتُهَا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ الْلَاتُ ١٣٥ لِثَقِيفٍ بِالطَّائِفِ، وَكَانَ سَدَنَتُهَا وَحُجَابُهَا بَنُو مُعَتَّبٍ مِنْ ثَقِيفٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَسَأَذْكُرُ حَدِيثَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعِهِ.

(مَنَاةُ ١٣٦ وَسَدَنَتُهَا وَهَدْمُهَا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ مَنَاةُ ١٣٧ لِلْأَوْسِ وَالخَزَرَجِ، وَمَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمُشَلَّلِ بِقُدَيْدٍ ١٣٨.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ:

وَقَدْ آلتَ قَبَائِلُ لَا تُؤَلَّى ... مَنَاةُ ظُهُورَهَا مُتَحَرِّفِينَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهَا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ فَهَدَمَهَا. وَيُقَالُ: عَلِيٌّ ١٣٩.

١٣٤ انظر: النجم ١٩/٥٣.

١٣٥ وهي أحدث من مَنَاة، وَكَانَتْ صَخْرَةً مَرِيعَةً.

١٣٦ انظر: النجم ٢٠/٥٣.

١٣٧ وَكَانَتْ مَنَاةُ أَقْدَمُهَا كُلِّهَا، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَشَدَّ إِعْظَامًا لَهَا مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزَرَجِ. (رَاجِعِ الْأَصْنَامَ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ).

١٣٨ قَدِيدٌ: مَوْضِعٌ قَرِبَ مَكَّةَ. وَالْمُشَلَّلُ: جَبَلٌ يُهْطُ مِنْهُ إِلَى قَدِيدٍ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحْرِ. (رَاجِعِ مُعْجَمَ الْبُلْدَانِ).

١٣٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٨٢-٨٦.

(أَمْرُ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَمَّا الْبَحِيرَةُ فَهِيَ بِنْتُ السَّائِبَةِ، وَالسَّائِبَةُ: النَّاقَةُ إِذَا تَابَعَتْ بَيْنَ عَشْرِ إناثٍ لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ، سُبِّتَ فَلَمْ يُرَكَبْ ظَهْرُهَا، وَلَمْ يُجَزَّ وَبَرَّهَا وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ، فَمَا تُنْتَجَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أُنْثَى شُقَّتْ أُذُنُهَا، ثُمَّ خُلِيَ سَبِيلُهَا مَعَ أُمِّهَا فَلَمْ يُرَكَبْ ظَهْرُهَا، وَلَمْ يُجَزَّ وَبَرَّهَا، وَلَمْ يَشْرَبْ لَبَنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ كَمَا فُعِلَ بِأُمِّهَا، فَهِيَ الْبَحِيرَةُ بِنْتُ السَّائِبَةِ. وَالْوَصِيلَةُ: الشَّاةُ إِذَا أَتَاكَتْ^{١٤٠} عَشْرَ إناثٍ مُتَتَابِعَاتٍ فِي خَمْسَةِ أَبْطُنٍ، لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ، جُعِلَتْ وَصِيلَةً. قَالُوا: قَدْ وَصَلَتْ، فَكَانَ مَا وَلَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلذُّكُورِ مِنْهُمْ دُونَ إناثِهِمْ، إِلَّا أَنْ يَمُوتَ مِنْهَا شَيْءٌ فَيَشْتَرِكُوا فِي أَكْلِهِ، ذُكُورُهُمْ وَإِنَاثُهُمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَرَوَى: فَكَانَ مَا وَلَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ لِلذُّكُورِ بَيْنَهُمْ دُونَ بَنَاتِهِمْ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَالْحَامِي: الْفَحْلُ إِذَا نَتَجَ لَهُ عَشْرُ إناثٍ مُتَتَابِعَاتٍ لَيْسَ بَيْنَهُنَّ ذَكَرٌ، حُمِيَ ظَهْرُهُ فَلَمْ يُرَكَبْ، وَلَمْ يُجَزَّ وَبَرَّهُ، وَخُلِيَ فِي إِبْلِهِ يَضْرِبُ فِيهَا، لَا يُنْتَفِعُ مِنْهُ بَعِيرٌ ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَا كُلُّهُ عِنْدَ الْعَرَبِ عَلَى غَيْرِ هَذَا إِلَّا الْحَامِي، فَإِنَّهُ عِنْدَهُمْ عَلَى مَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ. فَالْبَحِيرَةُ عِنْدَهُمْ: النَّاقَةُ تَشُقُّ أُذُنَهَا فَلَا يُرَكَبْ ظَهْرُهَا، وَلَا يُجَزَّ وَبَرَّهَا، وَلَا يَشْرَبُ لَبَنُهَا إِلَّا ضَيْفٌ. أَوْ يُتَصَدَّقُ بِهِ، وَتُهْمَلُ لِأَهْلَتِهِمْ. وَالسَّائِبَةُ: الَّتِي يَنْدُرُ الرَّجُلُ أَنْ يَسِيَهَا إِنْ بَرِيَءٍ مِنْ مَرَضِهِ، أَوْ إِنْ أَصَابَ أَمْرًا يَطْلُبُهُ. فَإِذَا كَانَ أَصَابَ نَاقَةً مِنْ إِبْلِهِ أَوْ جَمَلًا لِبَعْضِ آلِهِتِهِمْ، فَسَابَتْ فَرَعَتْ لَا يُنْتَفِعُ بِهَا. وَالْوَصِيلَةُ: الَّتِي تَلِدُ أُمُّهَا اثْنَيْنِ فِي كُلِّ

١٤٠ أتاكت: جاءت باثنتين في بطن واحد.

بَطْنٍ، فَيَجْعَلُ صَاحِبُهَا لِإِلَهَتِهِ الْإِنَاثَ مِنْهَا وَلِنَفْسِهِ الذُّكُورَ مِنْهَا، فَتَلِدُهَا أُمُّهَا وَمَعَهَا ذَكَرٌ فِي بَطْنٍ، فَيَقُولُونَ: وَصَلَتْ أَخَاهَا. فَيَسِيبُ أَخُوهَا مَعَهَا فَلَا يُنْتَفَعُ بِهِ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بِهِ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ وَغَيْرُهُ، رَوَى بَعْضُ مَا لَمْ يَرَوْهُ بَعْضٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْزَلَ عَلَيْهِ:
﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ، وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (المائدة ٥/١٠٣)
وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لَذُكُورِنَا، وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا، وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ، سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ، إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام ٦/١٣٩)
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا، قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ (يونس ١٠/٥٩)
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ:

﴿تَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الصَّانِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبَّؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام ٦/١٤٣-١٤٤)

(الْبَحِيرَةُ وَالسَّائِبَةُ وَالْوَصِيلَةُ وَالْحَامِي لُغَةً)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ الشَّاعِرُ:

حَوْلُ الْوَصَائِلِ فِي شُرَيْفٍ^{١٤١} حَقَّةٌ... وَالْحَامِيَّاتُ ظُهُورَهَا وَالسَّيْبُ

وَقَالَ تَمِيمٌ بْنُ أَبِي بْنِ مُقْبِلٍ أَحَدِ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ:

فِيهِ مِنَ الْأَخْرَجِ الْمَرْبَاعِ قَرْقَرَةٌ^{١٤٢}... هَذَرُ الدِّيَافِي وَسَطُ الْهَجْمَةِ الْبُحْرِ^{١٤٣}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَجَمْعُ بَحِيرَةٍ: بَحَائِرٌ وَبُحْرٌ. وَجَمْعُ وَصِيلَةٍ: وَصَائِلٌ وَوُصْلٌ. وَجَمْعُ سَائِبَةٍ (الْأَكْثَرُ):

سَوَائِبٌ وَسَيْبٌ. وَجَمْعُ حَامٍ (الْأَكْثَرُ): حَوْمٌ.^{١٤٤}

(أَوْلَادُ كِنَانَةَ وَأُمَّهَاتُهُمْ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أُمُّ النَّضْرِ وَمَالِكُ زَمْلَكَانَ: بَرَّةُ بِنْتُ مَرْ، وَأُمُّ عَبْدِ مَنَاءَ: هَالَةُ بِنْتُ سُوَيْدٍ

بْنِ الْغَطْرِيفِ مِنْ أَرْدِ سَنْوَةَ. وَشَنْوَةُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَعْبٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكِ بْنِ نَضْرِ

بْنِ الْأَسَدِ بْنِ الْغَوْثِ، وَإِنَّمَا سُمُّوا شَنْوَةَ، لِشَنَانٍ كَانَ بَيْنَهُمْ. وَالشَّنَانُ: الْبُغْضُ...

١٤١ الشَّارِف (مُصَغَّرًا): مَاءُ لَبْنِي نَمِيرٍ، وَيُقَالُ إِنَّهُ سَرَّةٌ يَنْجَدُ، وَهُوَ أَمْرٌ نَجْدٌ مَوْضِعًا. قَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَأَرْضُ

بَنِي نَمِيرٍ: الشَّرِيفُ، دَارُهَا كُلُّهَا بِالشَّرِيفِ إِلَّا بَطْنًا وَاحِدًا بِالْيَمَامَةِ. (مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ).

١٤٢ الْأَخْرَجُ: الظَّالِمُ الَّذِي فِيهِ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ، يُرِيدُ حِمَارَ الْوَحْشِ. وَالْمَرْبَاعُ: الْفَحْلُ الَّذِي يَبْكُرُ بِالْإِلْقَاحِ،

وَيُقَالُ لِلنَّاقَةِ أَيُّضًا: مَرْبَاعٌ إِذَا بَكَرَتْ بِالتَّجَاجُ، وَقِيلَ: الْمَرْبَاعُ: الَّذِي رَعَى فِي الرِّبْعِ، وَيُرْوَى: «الْمَرْبَاعُ»

بِالْيَاءِ الْمَنْقُوطَةِ بِأَتْنَتَيْنِ مِنْ أَسْفَلٍ، عَلَى أَنَّهُ مَفْعَالٌ مِنْ رَاعَ يَرِيعُ: أَيُّ رَجَعَ. الْقَرْقَرَةُ: هَذِيرُ الْفَحْلِ.

١٤٣ دِيَافٍ: (بِكَسْرٍ أَوَّلُهُ) بَلَدٌ بِالشَّامِ. وَقِيلَ مِنْ قَرَى الْجَزِيرَةِ. الْهَجْمَةُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الْإِبِلِ. وَالْبَحْرُ: جَمْعُ

بَحِيرَةٍ، وَهِيَ الْمَشْقُوقَةُ الْأَذَانُ، وَجَعَلَهَا بَحْرًا لِأَنَّهَا تَأْمَنُ مِنَ الْغَارَاتِ، يَصْفُهَا بِالْمُنْعَةِ وَالْحِمَايَةِ كَمَا تَأْمَنُ

الْبَحِيرَةُ مِنْ أَنْ تَذْبَحَ أَوْ تَنْحَرُ.

١٤٤ السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ، ١، ٨٩-٩١.

وَيُقَالُ: فَهَرُّ بْنُ مَالِكٍ: قُرَيْشٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِهِ فَهُوَ قُرَشِيٌّ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَلَدِهِ فَلَيْسَ بِقُرَشِيٍّ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا مِنَ التَّقْرِشِ، وَالتَّقْرِشُ: التَّجَارَةُ وَالْاِكْتِسَابُ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنِ الشُّغُوشِ ... وَالْخَشْلِ مِنْ تَسَاقُطِ الْقُرُوشِ
شَحْمٌ وَمَحْضٌ لَيْسَ بِالْمَغْشُوشِ^{١٤٥}

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالشُّغُوشُ: قَمَحٌ، يُسَمَّى الشُّغُوشَ. وَالْخَشْلُ: رُءُوسُ الْخَلَاحِلِ
وَالْأَسُورَةِ وَنَحْوِهِ.^{١٤٦}

وَالْقُرُوشُ: التَّجَارَةُ وَالْاِكْتِسَابُ. يَقُولُ: قَدْ كَانَ يُغْنِيهِمْ عَنْ هَذَا شَحْمٌ وَمَحْضٌ.
وَالْمَحْضُ: اللَّبَنُ الْحَلِيبُ الْخَالِصُ. وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ. وَقَالَ أَبُو جَلْدَةَ
الْيَشْكُرِيُّ، وَيَشْكُرُ بْنُ بَكْرِ ابْنِ وَاِئِلٍ:

إِخْوَةُ قَرَشُوا الذُّنُوبَ عَلَيْنَا ... فِي حَدِيثٍ مِنْ عُمَرَانَا وَقَدِيمٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيُقَالُ: إِنَّمَا سُمِّيَتْ قُرَيْشٌ قُرَيْشًا لِتَجْمُعِهَا مِنْ بَعْدِ تَفَرُّقِهَا، وَيُقَالُ
لِلتَّجْمُعِ: التَّقْرِشُ.^{١٤٧}

١٤٥ من أَرْجُوزَةٍ لَهُ يمدح الحَارِثَ بْنَ سَلِيمٍ الْهُجَلِيَّ.

١٤٦ وَيُقَالُ: الْخَشْلُ (هُنَا): الْمَقْلُ (هُوَ ثَمَرُ الدَّوْمِ). وَالْقُرُوشُ: مَا تَسَاقَطَ مِنْ حَتَاتِهِ، وَتَقَشَّرَ مِنْهُ.

١٤٧ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ، ١، ٩٣-٩٤.

(أَمْرُ سَامَةَ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَّغَنِي أَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ أُتِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَانْتَسَبَ إِلَى سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَشَاعِرُ؟ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: كَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَدْتَ قَوْلَهُ:

رُبَّ كَأْسٍ هَرَقْتَ يَا بَنَ لُؤَيٍّ ... حَذَرَ الْمَوْتِ لَمْ تَكُنْ مُهْرَاقَهُ

قَالَ: أَجَلٌ. ١٤٨

(أَمْرُ عَوْفِ بْنِ لُؤَيٍّ وَنَقْلَتِهِ)

(نَسَبُ مَرَّة)

وَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ بْنِ جُذَيْمَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَحَدُ بَنِي مَرَّةِ ابْنِ عَوْفٍ - حِينَ هَرَبَ مِنَ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ فَلَحِقَ بِقُرَيْشٍ:

فَمَا قَوْمِي بِتُعْلَبَةٍ بِنِ سَعْدٍ ... وَلَا بِفَزَارَةِ الشُّعْرِ ١٤٩ الرَّقَابَا

وَقَوْمِي، إِنْ سَأَلْتَ، بَنُو لُؤَيٍّ ... بِمَكَّةَ عَلَّمُوا مُضَرَ الضَّرَابَا

سَفَهْنَا بِاتِّبَاعِ بَنِي بَغِيضٍ ... وَتَرَكِ الْأَقْرَبِينَ لَنَا انْتِسَابَا

سَفَاهَةً مُخْلِفٍ ١٥٠ لِمَا تُرَوَّى ... هَرَاقَ الْمَاءِ وَاتَّبَعَ السَّرَابَا

فَلَوْ طُوِوعَتْ، عَمْرَاكَ، كُنْتَ فِيهِمْ ... وَمَا أُلْفِيتُ أَنْتَجِعُ السَّحَابَا ١٥١

١٤٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٩٨.

١٤٩ الشُّعْرُ: جمع أشعر، وهو الكثير الشُّعْر الطَّوِيلَة.

١٥٠ المخلف (هنا): المستقى للماء، يُقال: ذهب يَخْلِفُ لِقَوْمِهِ: أي يستقى هُم.

١٥١ أنتجع السحابا: أي أطلب موضع الغيث والمطر كما تفعل القَبَائِلُ الَّذِينَ يَرِحْلُونَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ.

يُرِيدُ أَنَّهُ لَوْ انْتَسَبَ إِلَى قُرَيْشٍ لَكَانَ مَعَهُمْ بِمَكَّةَ مُقْبِيَا وَلَمْ يَكُنْ بِدَوِيَا يَطْلُبُ الْمَطَرَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ.

وَحَشَّ ١٥٢ رَوَاحَهُ الْقُرَشِيُّ رَحْلِي ... بِنَاحِيَةٍ وَلَمْ يَطْلُبْ ثَوَابًا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذَا مَا أَنَشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْهَا. ١٥٣

(اِسْتِيلَاءُ قَوْمِ كِنَانَةَ وَخُرَاعَةَ عَلَى الْبَيْتِ وَفِي جُرْهُمِ)

ثُمَّ إِنَّ جُرْهُمًا بَغَوْا بِمَكَّةَ، وَاسْتَحَلُّوا خِلَالًا ١٥٤ مِنْ الْحُرْمَةِ، فَظَلَمُوا مَنْ دَخَلَهَا مِنْ غَيْرِ أَهْلِهَا، وَأَكَلُوا مَالَ الْكُعْبَةِ الَّذِي يُهْدَى لَهَا ١٥٥، فَرَقَّ أَمْرُهُمْ. فَلَمَّا رَأَتْ بَنُو بَكْرِ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ، وَعُشْبَانُ مِنْ خُرَاعَةَ ذَلِكَ، أَجْمَعُوا لِحَرْبِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ مَكَّةَ. فَادَّيْنُوهُمْ بِالْحَرْبِ فَاقْتَتَلُوا، فَغَلَبَتْهُمْ بَنُو بَكْرِ وَعُشْبَانُ فَفَنَوُّهُمْ مِنْ مَكَّةَ. وَكَانَتْ مَكَّةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا تُقَرُّ فِيهَا ظُلْمًا وَلَا بَغْيًا، وَلَا يَبْغِي فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، فَكَانَتْ تُسَمَّى النَّاسَةَ ١٥٦، وَلَا يُرِيدُهَا مَلِكٌ يَسْتَحِلُّ حُرْمَتَهَا إِلَّا هَلَكَ مَكَانُهُ، فَيُقَالُ: إِنَّهَا مَا سُمِّيَتْ بِبِكَّةٍ إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَبْكُ ١٥٧ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَحْدَثُوا فِيهَا شَيْئًا.

١٥٢ وحش: أصلح. والناحية: النافقة السريعة. وفي أ: «وحس... إلخ» وحس (بالحاء المهملة): قوى وأعاد. وفي الأغاني: «... وهش رَوَاحَةُ الجمحي».

١٥٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٩٩-١٠٠.

١٥٤ الخلال: الخصال.

١٥٥ كَانَ كُلُّ مَا يَهْدَى إِلَى الْكُعْبَةِ يَلْقَى فِي بئرِ قَرْيَةِ الْقَعْرِ، كَانَ احْتِفَرَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ بَابِ الْكُعْبَةِ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ لَمَّا فَسَدَ أَمْرُ جُرْهُمِ، وَسَرَقُوا مَالَ الْكُعْبَةِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ الْبئرَ لِيَسْرِقَ مَالَ الْكُعْبَةِ، فَسَقَطَ عَلَيْهِ حَجَرٌ مِنْ شَفِيرِ الْبئرِ فَجَبَسَهُ فِيهَا. كَمَا يَذْكُرُونَ أَنَّهُ أُرْسِلَتْ عَلَى الْبئرِ حَيَّةٌ، فَكَانَتْ تَهْبِثُ مِنْ يَدْنِهَا.

١٥٦ كَمَا كَانَتْ تُسَمَّى النَّاسَةَ، وَهِيَ مِنْ «نَس» بِمَعْنَى يَسُ وَأَجْدَبُ، كَمَا يُقَالُ لَهَا: الْبَاسَةُ أَيْضًا، وَهُوَ مِنَ الْبَسِ بِمَعْنَى التَّفْتِيتِ.

١٥٧ تبك: تكسر.



(بَكَّةُ لُغَةً)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ بَكَّةَ اسْمُ لِبْطَنٍ مَكَّةَ، لِأَنَّهُمْ يَتَبَاكَوْنَ فِيهَا، أَيْ يَزْدَحِمُونَ. وَأَنْشَدَنِي:

إِذَا السَّرِيبُ أَخَذَتْهُ أَكَّةُ^{١٥٨} ... فَخَلَّ حَتَّى يَبُكَ بَكَّةُ

أَيْ فَدَعَهُ حَتَّى يَبُكَ إِلَهُهُ، أَيْ يُخْلِئُهَا إِلَى الْمَاءِ فَتَزْدَحِمُ عَلَيْهِ. وَهُوَ مَوْضِعُ الْبَيْتِ وَالْمَسْجِدِ. وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ لِعَامَانَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ.^{١٥٩}

(شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ هَاشِمٍ)

وَكَانَ هَاشِمٌ فِيمَا يَزْعُمُونَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّحْلَتَيْنِ لِقُرَيْشٍ: رِحْلَتِي الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ. وَأَوَّلَ مَنْ أَطْعَمَ الثَّرِيدَ بِمَكَّةَ، وَإِنَّمَا كَانَ اسْمُهُ عَمْرًا، فَمَا سُمِّيَ هَاشِمًا إِلَّا بِهَشْمِهِ الْخَبَرَ بِمَكَّةَ لِقَوْمِهِ. فَقَالَ شَاعِرٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَوْ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ:

عَمْرُو الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ ... قَوْمٌ بِمَكَّةَ مُسْتَتِينَ عَجَافٍ^{١٦٠}

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرَّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا ... سَفَرُ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ^{١٦١}

١٥٨ والشريب: الذي يسقى إليه مع إبلك. الأكة: شدة الحر، وقيل شدة الألم.

١٥٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١١٣-١١٤.

١٦٠ المستنون: الذين أصابَتْهُمْ السَّنة، وَهِيَ الْجُوعُ وَالْقَحْطُ. وَالْعَجَافُ: مِنَ الْعَجْفِ، وَهُوَ الْهَزَالُ وَالضَّعْفُ. وَذَلِكَ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ أَصَابَتْهُمْ لَزْبَةٌ وَقَحْطٌ، فَرَحَلَ إِلَى فِلَسْطِينَ، فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ، فَقَدَّمَ بِهِ مَكَّةَ، فَأَمَرَ بِهِ فُخِزَ لَهُ، وَنَحَرَ جُزُورًا، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مَرَقَةً ثَرِيدًا بِذَلِكَ الْخُبْزِ. (رَاجِعِ الطَّبْرِيِّ).

١٦١ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٣٦.

(ذَكَرَ حَفَرِ زَمْزَمَ وَمَا جَرَى مِنَ الْخُلْفِ فِيهَا)

ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بَيْنَمَا هُوَ نَائِمٌ فِي الْحَجْرِ إِذْ أَتَى فَأَمَرَ بِحَفَرِ زَمْزَمَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَوَّلَ مَا أُبْتَدِيَ بِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِنْ حَفَرِهَا، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ الْمَصْرِيُّ عَنْ مَرْثِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْيَزَنِيِّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زُرَيْرٍ الْغَافِقِيِّ: أَنَّهُ سَمِعَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام يُحَدِّثُ حَدِيثَ زَمْزَمَ حِينَ أَمَرَ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ بِحَفَرِهَا، قَالَ: قَالَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: إِنِّي لَنَائِمٌ فِي الْحَجْرِ إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَالَ: احْفَرِ طَبِئَةَ^{١٦٢}. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا طَبِئَةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفَرِ بَرَّةَ^{١٦٣}. قَالَ: وَمَا بَرَّةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفَرِ الْمَضْنُونَةَ^{١٦٤}. قَالَ: فَقُلْتُ: وَمَا الْمَضْنُونَةُ؟ قَالَ: ثُمَّ ذَهَبَ عَنِّي. فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ رَجَعْتُ إِلَى مَضْجَعِي فَنِمْتُ فِيهِ، فَجَاءَنِي فَقَالَ: احْفَرِ زَمْزَمَ. قَالَ: قُلْتُ: وَمَا زَمْزَمُ؟ قَالَ: لَا تَنْزِفُ^{١٦٥} أَبَدًا وَلَا تَذْمُ^{١٦٦}، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرَثِ وَالْدَّمِ، عِنْدَ نُقْرَةِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ^{١٦٧}، عِنْدَ قَرْيَةِ النَّمْلِ^{١٦٨}... فَأَتَيْتُ فَقِيلَ لَهُ: احْفَرِ زَمْزَمَ، إِنَّكَ إِنْ حَفَرْتَهَا لَمْ تَنْدَمْ، وَهِيَ تَرَاثُ مِنْ

١٦٢ قيل لزَمْزَمَ طَبِئَةُ، لِأَنَّهَا لِلطَّبِيبِينَ وَالطَّبِيبَاتِ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ.

١٦٣ قيل لَهَا بَرَّةٌ، لِأَنَّهَا فَاضَتْ عَلَى الْأُبْرَارِ وَغَاضَتْ عَنِ الْفَجَارِ.

١٦٤ قيل لَهَا مَضْنُونَةٌ، لِأَنَّهَا ضَنَّ بِهَا عَلَى غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ فَلَا يَتَضَلَعُ مِنْهَا مُنَافِقٌ.

١٦٥ لَا تَنْزِفُ: لَا يَفْرَغُ مَاؤُهَا وَلَا يَلْحَقُ قَعْرَهَا.

١٦٦ لَا تَذْمُ: أَيُّ لَا تَوْجِدُ قَلِيلَةَ الْمَاءِ، تَقُولُ: أَذْمَتِ الْبُئْرُ: إِذَا وَجَدَتْهَا قَلِيلَةَ الْمَاءِ.

١٦٧ الْأَعْصَمُ مِنَ الْغُرَبَانِ: الَّذِي فِي جَنَاحِيهِ بَيَاضٌ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

١٦٨ إِنَّمَا خَصَتْ بِهِذِهِ الْعَلَامَاتِ الثَّلَاثَ لِمَعْنَى زَمْزَمَ وَمَائِهَا. فَأَمَّا الْفَرثُ وَالْدَّمُ، فَان مَاءَهَا طَعَامٌ طَعْمٌ،

وَشَفَاءٌ سَقَمٌ، وَأَمَّا عَنِ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا وَرَدَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لِيُخْرِينَ الْكَعْبَةَ ذُو

أَبِيكَ الْأَعْظَمَ، لَا تَنْزِفُ أَبَدًا وَلَا تُدْمُ، تَسْقِي الْحَجِيجَ الْأَعْظَمَ، مِثْلَ نَعَامٍ حَافِلٍ^{١٦٩} لَمْ يُقْسَمَ، يَنْذِرُ فِيهَا نَازِرٌ لِمُنْعِمٍ، تَكُونُ مِيرَاثًا وَعَقْدًا مُحْكَمًا، لَيْسَتْ كَبَعْضٍ مَا قَدْ تَعْلَمُ، وَهِيَ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالْدَّمِ^{١٧٠}.

(وِلَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَاعَتُهُ)

فَيزْعُمُونَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ أَخَذَهُ، فَدَخَلَ بِهِ الْكَعْبَةَ، فَقَامَ يَدْعُو اللَّهَ، وَيَشْكُرُ لَهُ مَا أَعْطَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا. وَالتَّمَسَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الرُّضْعَاءُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَرَاضِعُ^{١٧١} وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي قِصَّةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ (القصص ٢٨/١٢)^{١٧٢}

(اِفْتَقَدَتْهُ حَلِيمَةً حِينَ رُجُوعِهَا بِهِ، وَوَجَدَهُ وَرَقَةً بِنُ نَوْفَلٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَزَعَمَ النَّاسُ فِيمَا يَتَحَدَّثُونَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ أُمَّهُ السَّعْدِيَّةَ لَمَّا

السويقتين من الحبشة». وأما قرية النَّمْلِ، ففِيهَا من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زَمَزَمَ هِيَ عين مَكَّةَ الَّتِي يَرُدُّهَا الْحَجِيجُ وَالْعَمَار من كل جَانِبٍ، فَيَحْمِلُونَ إِلَيْهَا الْبُرَّ وَالشَّعِيرَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَهِيَ لَا تَحْرُثُ وَلَا تَزْرَعُ، وَقرية النَّمْلِ كَذَلِكَ لَا تَحْرُثُ وَلَا تَبْذُرُ وَتَجْلِبُ الْحُبُّوبُ إِلَى قَرِيَّتِهَا من كل جَانِبٍ. (الرَّوْضُ الْأَنْفُ) ١٦٩ الحافل: الكثير.

١٧٠ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٤٣-١٤٥.

١٧١ المعروف أن المراضع: جمع مرضع. وعلى هذا تخرج رواية ابن إسحاق على أحد وجهين، أحدهما: حذف المضاف، كأنه قال: ذَوَاتُ الرضعاء. والثاني: أن يكون أَرَادَ بالرضعاء: الْأَطْفَالَ على حَقِيقَةِ اللَّفْظِ، لأنهم إِذَا وَجَدُوا لَهُ مَرْضِعَةً نَزَّعُوهُ، فَقَدْ وَجَدُوا لَهُ رَضِيعًا يَرْضَعُ مَعَهُ. فَلَا يَبْعَدُ أَنْ يُقَالَ: التَّمَسُّوا لَهُ رَضِيعًا، عِلْمًا بِأَنَّ الرَضِيعَ لَا بُدَّ لَهُ من مرضع. (راجع الرَّوْضُ الْأَنْفُ).

١٧٢ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٦٠.

قَدِمَتْ بِهِ مَكَّةَ أَصْلَهَا فِي النَّاسِ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ بِهِ نَحْوَ أَهْلِهِ، فَالْتَمَسَتْهُ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَأَتَتْ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي قَدْ قَدِمْتُ بِمُحَمَّدٍ هَذِهِ اللَّيْلَةَ. فَلَمَّا كُنْتُ بِأَعْلَى مَكَّةَ أَضَلَّنِي، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ، فَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهُ، فَيَزِعُمُونَ أَنَّهُ وَجَدَهُ وَرَقَّةُ بْنُ نُوفَلٍ بْنُ أَسَدٍ، وَرَجُلٌ آخَرُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَتِيَا بِهِ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَا لَهُ: هَذَا ابْنُكَ وَجَدْنَاهُ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَجَعَلَهُ عَلَى عُنُقِهِ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ يُعَوِّدُهُ وَيَدْعُو لَهُ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ أَمَّةَ. ١٧٣

(وَفَاةُ أَمَّةَ وَحَالُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَهَا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أُمِّهِ أَمَّةَ بِنْتِ وَهْبٍ وَجَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ فِي كَلَاءَةِ اللَّهِ وَحِفْظِهِ، يُنَبِّئُهُ اللَّهُ بَنَاتًا حَسَنًا لِمَا يُرِيدُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سِتَّ سِنِينَ، تُوفِّيَتْ أُمُّهُ أَمَّةَ بِنْتُ وَهْبٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ: أَنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَّةَ تُوفِّيَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ ابْنُ سِتِّ سِنِينَ بِالْأَبْوَاءِ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، كَانَتْ قَدْ قَدِمَتْ بِهِ عَلَى أَخْوَالِهِ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ، تُزِيرُهُ إِيَّاهُمْ، فَمَاتَتْ وَهِيَ رَاجِعَةً بِهِ إِلَى مَكَّةَ. ١٧٤

١٧٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٦٧.

١٧٤ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٦٨.

(كِفَالَةُ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - يُوصِي بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ، وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ أَبَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَائِدُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُومٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَلِي أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ جَدِّهِ، فَكَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ. ١٧٥

(حَدِيثُهُ ﷺ عَنْ عِصْمَةِ اللَّهِ لَهُ فِي طُفُولَتِهِ)

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - يُحَدِّثُ عَمَّا كَانَ اللَّهُ يَحْفَظُهُ بِهِ فِي صِغَرِهِ وَأَمْرٍ جَاهِلِيَّتِهِ، أَنَّهُ قَالَ:

لَقَدْ رَأَيْتَنِي فِي غُلْمَانٍ فُرِيشٍ نَنْقُلُ حِجَارَةً لِبَعْضِ مَا يَلْعَبُ بِهِ الْغُلْمَانُ، كُنَّا قَدْ تَعَرَّيْ، وَأَخَذَ إِزَارَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى رَقَبَتِي، يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ، فَإِنِّي لَأَقْبِلُ مَعَهُمْ كَذَلِكَ وَأَذْبُرُ، إِذْ لَكُمْنِي لَا كَيْمَ مَا أَرَاهُ، لَكُمَّةً وَجِيعَةً، ثُمَّ قَالَ: شَدَّ عَلَيْكَ إِزَارَكَ، قَالَ: فَأَخَذْتُهُ وَشَدَدْتُهُ عَلَيَّ، ثُمَّ جَعَلْتُ أَحْمِلُ الْحِجَارَةَ عَلَى رَقَبَتِي وَإِزَارِي عَلَيَّ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي. ١٧٦

١٧٥ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٧٩.

١٧٦ قَالَ السَّهْلِيُّ فِي التَّلْخِيقِ عَلَى هَذِهِ الْقِصَّةِ: «وَهَذِهِ الْقِصَّةُ إِنَّمَا وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ فِي حِينِ بُنْيَانِ الْكُعْبَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ الْحِجَارَةَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَيْهَا، وَكَانُوا يَحْمِلُونَ أَزْرَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ لَتَقِيَهُمُ الْحِجَارَةُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ وَإِزَارَهُ مَشْدُودَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ ؓ: يَا بَنَ أَخِي لَوْ جَعَلْتَ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ، فَفَعَلَ فَسَقَطَ مَغْشَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ إِزَارِي إِزَارِي. فَشَدَّ عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَقَامَ يَحْمِلُ الْحِجَارَةَ. السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٨٣.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدِيثُ الْفَجَارِ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ قَطْعُهُ
حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ١٧٧

وَحَدِيثُ يَوْمِ جَبَلَةَ وَيَوْمِ ذِي نَجَبٍ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْنَا. وَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ مَا
ذَكَرْتُ فِي حَدِيثِ يَوْمِ الْفَجَارِ. ١٧٨

(حَدِيثُ الْحُمْسِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ - لَا أَدْرِي أَقْبَلَ الْفِيلَ أَمْ بَعْدَهُ - ابْتَدَعَتْ رَأْيَ
الْحُمْسِ ١٧٩ رَأْيًا رَأَوْهُ وَأَذَارُوهُ، فَقَالُوا: نَحْنُ بَنُو إِبْرَاهِيمَ وَأَهْلُ الْحُرْمَةِ، وَوَلَاةُ الْبَيْتِ،
وَقُطَّانُ مَكَّةَ وَسَاكِنُهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ مِثْلُ حَقِّنَا، وَلَا مِثْلُ مَنْزِلَتِنَا، وَلَا تَعْرِفُ
لَهُ الْعَرَبُ مِثْلَ مَا تَعْرِفُ لَنَا، فَلَا تُعْظَمُوا شَيْئًا مِنَ الْحِلِّ كَمَا تُعْظَمُونَ الْحَرَمَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ
فَعَلْتُمْ ذَلِكَ اسْتَخَفَّتِ الْعَرَبُ بِحُرْمَتِكُمْ، وَقَالُوا قَدْ عَظَّمُوا مِنَ الْحِلِّ مِثْلَ مَا عَظَّمُوا
مِنَ الْحَرَمِ. فَتَرَكُوا الْوُقُوفَ عَلَى عَرَفَةَ، وَالْإِفَاضَةَ مِنْهَا، وَهُمْ يَعْرِفُونَ وَيَقْرُونَ أَنَّهَا مِنْ
الْمَشَاعِرِ وَالْحَجِّ وَدِينِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ، وَيَرَوْنَ لِسَائِرِ الْعَرَبِ أَنْ يَقْفُوا عَلَيْهَا، وَأَنْ يُفِيضُوا
مِنْهَا، إِلَّا أَنَّهُمْ قَالُوا: نَحْنُ أَهْلُ الْحَرَمِ، فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنَ الْحُرْمَةِ وَلَا نُعْظَمَ
غَيْرَهَا كَمَا نُعْظَمُهَا نَحْنُ الْحُمْسُ، وَالْحُمْسُ أَهْلُ الْحَرَمِ، ثُمَّ جَعَلُوا لِمَنْ وَلِدُوا مِنَ
الْعَرَبِ مِنْ سَاكِنِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ مِثْلَ الَّذِي لَهُمْ، بِوِلَادَتِهِمْ إِيَّاهُمْ، يَحِلُّ لَهُمْ مَا يَحِلُّ
لَهُمْ، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ.

١٧٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٨٧.

١٧٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٠١.

١٧٩ الحمس: جمع: أحمس. والأحمس: المشتد الصلب في الدين. وسميت قُرَيْشٌ حمسا لزعمتهم بِأَنَّهُمْ اشْتَدُوا
فِي الدِّينِ، وَكَانُوا قَدْ ذَهَبُوا فِي ذَلِكَ مَذْهَبَ التَّزْهَدِ وَالتَّأَلُّهِ. فَكَانَتْ نِسَاؤُهُمْ لَا يَنْسُجْنَ الشُّعْرَ وَلَا الْوَبْرَ.



(الْقَبَائِلُ الَّتِي دَانَتْ مَعَ قُرَيْشٍ بِالْحُمْسِ)

وَكَانَتْ كِنَانَةً وَخَزَاعَةً قَدْ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ النَّخْوِيُّ: أَنَّ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ دَخَلُوا مَعَهُمْ فِي ذَلِكَ، وَأَنْشَدَنِي لِعَمْرِو بْنِ مَعْدِيكَرِبٍ:

أَعْبَاسُ لَوْ كَانَتْ شِيَارًا جِيَادُنَا ... بِتَثْلِيثٍ مَا نَاصَيْتَ^{١٨٠} بَعْدِي الْأَحَامِسَا

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَثْلِيثٌ: مَوْضِعٌ مِنْ بِلَادِهِمْ. وَالشَّيَارُ: (السَّمَانُ) الْحِسَانُ. يَعْنِي بِالْأَحَامِسِ: بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ. وَبِعَبَّاسٍ: عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ، وَكَانَ أَغَارَ عَلَى بَنِي زُبَيْدٍ بِتَثْلِيثٍ. وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ لِعَمْرِو. وَأَنْشَدَنِي لِلْقَيْطِ بْنِ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيِّ فِي يَوْمِ جَبَلَةَ:

أَجْزِمُ^{١٨١} إِلَيْكَ إِنَّهَا بَنُو عَبْسٍ ... الْمَعْشَرُ الْجَلَّةُ^{١٨٢} فِي الْقَوْمِ الْحُمْسِ

لِأَنَّ بَنِي عَبْسٍ كَانُوا يَوْمَ جَبَلَةَ حُلَفَاءَ فِي بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ...^{١٨٣}

(مَا زَادَتْهُ الْعَرَبُ فِي الْحُمْسِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ ابْتَدَعُوا فِي ذَلِكَ أُمُورًا لَمْ تَكُنْ لَهُمْ، حَتَّى قَالُوا: لَا يَنْبَغِي لِلْحُمْسِ أَنْ يَأْتَقُطُوا الْأَقْطَ^{١٨٤}، وَلَا يَسْلُتُوا^{١٨٥} السَّمْنَ وَهُمْ حُرْمٌ، وَلَا يَدْخُلُوا بَيْتًا مِنْ

١٨٠ ناصيت: أخذت بناصيتهم ونازعتهم. وَمِنْهُ حَدِيثُ عَائِشَةَ: لَمْ تَكُنْ وَاحِدَةً مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ تناصيني غيرَ زَيْنَبَ: أَيِ تَنَازَعَنِي وَتَبَارَيْنِي.

١٨١ أَجْزِمُ: زَجَرْتُ مَعْرُوفَ لِلْخَيْلِ.

١٨٢ والجللة: العظماء. وَفِي أ: «الْحَلَّةُ» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ. وَالْحَلَّةُ: الَّذِينَ يَسْكُنُونَ فِي الْحُلِّ.

١٨٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ١٩٩-٢٠٠.

١٨٤ الْأَقْطُ (مُثَلَّثَةٌ وَبِحْرُوكٍ وَكَتَفٌ وَرَجُلٌ وَإِبِلٌ): شَيْءٌ يَتَّخِذُ مِنَ الْخَيْلِ الْغَنَمِيَّ. وَجَمْعُهُ أَقْطَانٌ. وَأَقْطُ الطَّعَامُ: عَمَلُهُ بِهِ.

١٨٥ سَلَتِ السَّمْنَ وَاسْتَلَتْهُ: إِذَا طَبَخَ وَعُولَجَ، وَالْإِسْمُ: السَّلَاءُ (بِالْكَسْرِ مُدَوَّدٌ).

شَعْرٍ، وَلَا يَسْتَظِلُّوْا إِنْ اسْتَظَلُّوْا إِلَّا فِي بُيُوتِ الْأَدَمِ مَا كَانُوا حُرْمًا، ثُمَّ رَفَعُوا فِي ذَلِكَ، فَقَالُوا: لَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْحِلِّ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْ طَعَامٍ جَاءُوا بِهِ مَعَهُمْ مِنَ الْحِلِّ إِلَى الْحَرَمِ، إِذَا جَاءُوا حُجَّاجًا أَوْ عُمَرَاءَ، وَلَا يَطُوفُوا بِالْبَيْتِ إِذَا قَدِمُوا أَوَّلَ طَوَافِهِمْ إِلَّا فِي ثِيَابِ الْحُمْسِ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا مِنْهَا شَيْئًا طَافُوا بِالْبَيْتِ عُرَاءَ، فَإِنْ تَكَرَّمَ مِنْهُمْ مُتَكَرِّمٌ مِنْ رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ، وَلَمْ يَجِدْ ثِيَابَ الْحُمْسِ، فَطَافَ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا مِنَ الْحِلِّ، أَلْقَاهَا إِذَا فَرَّغَ مِنْ طَوَافِهِ، ثُمَّ لَمْ يَتَنَفَّعْ بِهَا، وَلَمْ يَمَسَّهَا هُوَ، وَلَا أَحَدٌ غَيْرُهُ أَبَدًا.

(اللقى عِنْدَ الْحُمْسِ وَشَعْرٍ فِيهِ)

فَكَانَتْ الْعَرَبُ تُسَمِّي تِلْكَ الثِّيَابَ اللَّقَى ^{١٨٦}. فَحَمَلُوا عَلَى ذَلِكَ الْعَرَبَ، فَدَانَتْ بِهِ. وَوَقَفُوا عَلَى عِرَفَاتٍ، وَأَفَاضُوا مِنْهَا، وَطَافُوا بِالْبَيْتِ عُرَاءَ: أَمَّا الرِّجَالُ فَيَطُوفُونَ عُرَاءَ، وَأَمَّا النِّسَاءُ فضع إحداهنَّ ثِيَابَهَا كُلَّهَا إِلَّا ذِرْعًا مَفْرَجًا ^{١٨٧} عَلَيْهَا، ثُمَّ تَطُوفُ فِيهِ. فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَهِيَ كَذَلِكَ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... وَمَا بَدَأَ مِنْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

وَمَنْ طَافَ مِنْهُمْ فِي ثِيَابِهِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا مِنَ الْحِلِّ أَلْقَاهَا، فَلَمْ يَتَنَفَّعْ بِهَا هُوَ وَلَا غَيْرُهُ. فَقَالَ قَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ يَذْكُرُ شَيْئًا تَرَكَهُ مِنْ ثِيَابِهِ فَلَا يَقْرُبُهُ، وَهُوَ يَحِبُّهُ:

كفى جزنا كَرَى عَلَيْهَا كَانَتْهَا ... لَقَى بَيْنَ أَيْدِي الطَّائِفِينَ حَرِيمٍ ^{١٨٨}

يَقُولُ: لَا تُمَسُّ.

١٨٦ اللقى: الشئ الملقى المطرح، ويُقال: المنسي. وجمعه: ألقاء.

١٨٧ المرفج: المشقوق من قدام أو خلف.

١٨٨ حريم: محرم، لا يؤخذ ولا يتنفع به.



(حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الطَّوَافِ، وَإِبْطَالُ عَادَاتِ الْحُمْسِ فِيهِ)

فَكَانُوا كَذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا ﷺ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ حِينَ أَحْكَمَ لَهُ دِينَهُ،
وَشَرَعَ لَهُ سُنَنَ حَجَّهِ:

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة

(١٩٩/٢)

يَعْنِي قُرَيْشًا. وَالنَّاسُ: الْعَرَبُ. فَرَفَعَهُمْ فِي سُنَّةِ الْحَجِّ إِلَى عَرَافَاتٍ وَالْوُفُوفِ عَلَيْهَا
وَالْإِفَاضَةِ مِنْهَا.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا كَانُوا حَرَّمُوا عَلَى النَّاسِ مِنْ طَعَامِهِمْ وَلَبُوسِهِمْ عِنْدَ الْبَيْتِ،
حِينَ طَافُوا عُرَاءً، وَحَرَّمُوا مَا جَاءُوا بِهِ مِنَ الْحِلِّ مِنَ الطَّعَامِ:

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ، وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا، إِنَّهُ لَا
يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ. قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ. قُلْ
هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف ٧/ ٣١-٣٢) ١٨٩

فَوَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى أَمْرَ الْحُمْسِ، وَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ ابْتَدَعَتْ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ،
حِينَ بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، عَنْ
عُثْمَانَ بْنِ أَبِي سُلَيْمَانَ بْنِ جُبَيْرٍ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ عَمِّهِ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ

١٨٩ المُرَاد بِالزِينَةِ فِي الْآيَةِ اللَّبَاسُ وَعَدَمُ التَّعْرِی. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: «كُلُوا وَاشْرَبُوا» (الأعراف ٧/ ٣١) إِشَارَةٌ
إِلَى مَا كَانَتْ الْحُمْسُ حَرَمَتْهُ مِنْ طَعَامِ الْحُجِّ إِلَى طَعَامِ أَحْمَسَى.

مُطْعِمٍ، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ، وَإِنَّهُ لَوَاقِفٌ عَلَى بَعِيرٍ لَهُ بِعَرَفَاتٍ مَعَ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ حَتَّى يَدْفَعَ مَعَهُمْ مِنْهَا تَوْفِيقًا^{١٩٠} مِنَ اللَّهِ لَهُ ﷺ، تَسْلِيمًا كَثِيرًا.^{١٩١}

(إِخْبَارُ الْكُهَّانِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَخْبَارِ مِنْ يَهُودَ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ الْأَخْبَارُ مِنْ يَهُودَ، وَالرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى، وَالْكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ، قَدْ تَحَدَّثُوا بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، لَمَّا تَقَارَبَ مِنْ زَمَانِهِ. أَمَّا الْأَخْبَارُ مِنْ يَهُودَ، وَالرُّهْبَانُ مِنَ النَّصَارَى، فَعَمَّا وَجَدُوا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَتِهِ وَصِفَةِ زَمَانِهِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَهْدِ أَنْبِيَائِهِمْ إِلَيْهِمْ فِيهِ. وَأَمَّا الْكُهَّانُ مِنَ الْعَرَبِ فَأَتَتْهُمْ بِهِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْجِنِّ فِيمَا تَسْتَرِقُ مِنَ السَّمْعِ، إِذْ كَانَتْ وَهْيَ لَا تُحْجَبُ عَنْ ذَلِكَ بِالْقَذْفِ بِالنُّجُومِ. وَكَانَ الْكَاهِنُ وَالْكَاهِنَةُ لَا يَزَالُ يَقَعُ مِنْهُمَا ذِكْرُ بَعْضِ أُمُورِهِ، لَا تُلْقِي الْعَرَبُ لَذَلِكَ فِيهِ بَالًا، حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَوَقَعَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ الَّتِي كَانُوا يَذْكُرُونَ، فَعَرَفُوهَا.

(قَذْفُ الْجِنِّ بِالشَّهْبِ، وَآيَةُ ذَلِكَ عَلَى مَبْعَثِهِ ﷺ)

فَلَمَّا تَقَارَبَ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَضَرَ مَبْعَثُهُ، حُجِبَتْ الشَّيَاطِينُ عَنْ السَّمْعِ، وَحِيلَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَقَاعِدِ الَّتِي كَانَتْ تَقْعُدُ لِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ فِيهَا، فَرَمُوا بِالنُّجُومِ، فَعَرَفَتْ الْجِنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِأَمْرِ حَدَثَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

١٩٠ وَذَلِكَ حَتَّى لَا يَفُوتَهُ ﷺ ثَوَابُ الْحَجِّ وَالْوُقُوفِ بِعَرَفَةَ. وَلَقَدْ قَالَ جُبَيْرُ حِينَ رَأَاهُ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ مَعَ النَّاسِ: هَذَا رَجُلٌ أَحْمَسِي، فَمَا بِهِ لَا يَقِفُ مَعَ الْحَمْسِ حَيْثُ يَقِفُونَ. (الرَّوْضُ الْأَنْفُ).

١٩١ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٠٢-٢٠٤.



لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ بَعَثَهُ، وَهُوَ يَقْصُصُ عَلَيْهِ خَبَرَ الْجِنِّ إِذْ حُجِبُوا عَنِ السَّمْعِ، فَعَرَفُوا مَا عَرَفُوا، وَمَا أَنْكَرُوا مِنْ ذَلِكَ حِينَ رَأَوْا مَا رَأَوْا:

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ، فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا^{١٩٢} يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ، فَآمَنَّا بِهِ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا. وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ^{١٩٣} رَبَّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا. وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا^{١٩٤}. وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن ١٧٢/٦-١) ... إِلَى قَوْلِهِ:

﴿وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا^{١٩٥}. وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ (الجن ١٧٢/٩-١٠).

فَلَمَّا سَمِعَتِ الْجِنُّ الْقُرْآنَ عَرَفَتْ أَنَّهَا إِنَّمَا مُنِعَتْ مِنَ السَّمْعِ قَبْلَ ذَلِكَ، لِئَلَّا يُشْكَلَ الْوَحْيُ بِشَيْءٍ مِنْ خَبَرِ السَّمَاءِ فَيَلْتَبِسُ^{١٩٦} عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ، لَوْ قُوعِ الْحُجَّةِ، وَقَطَعَ الشُّبْهَةَ. فَآمَنُوا وَصَدَّقُوا، ثُمَّ

١٩٢ أي عجا مينا لساير الكتب في حسن نظمها وصحة معانيها. والعجب: ما يكون خارجا عن العادة، وهو مصدر وضع موضع العجيب.

١٩٣ الجذ: العظمة. يُقال: جد فلان في عيني: إذا عظم. ومنه قول سيدنا عمر ﷺ: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا قَرَأَ الْبَقْرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ جَدَ فِينَا: أي عظم في عيوننا.

١٩٤ المراد به الكفر. من شطت الدار: إذا بعدت. فكأنهم بنسبتهم الصاحبة والولد إليه جل شأنه بعدوا عن الصواب.

١٩٥ الرصد: الراصد. أي يجد شهابا راصدا له. أو هو اسم جمع للراصد. على معنى: ذوى شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستيعاب.

١٩٦ وكذلك كان رمى الجن بالنجوم في الجاهلية، إلا أنه لما جاء الإسلام غلظ وشد.

﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ، وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف ٤٦ / ٢٩ - ٣٠)
وَكَانَ قَوْلُ الْجِنِّ:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ، فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (الجن ٧٢ / ٦)
أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ إِذَا سَافَرَ فَتَزَلَّ بَطْنٌ وَادٍ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَتْ فِيهِ، قَالَ: إِنِّي أَعُوذُ بِعَزِيزِ هَذَا الْوَادِي مِنَ الْجِنِّ اللَّيْلَةَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الرَّهَقُ: الطُّغْيَانُ وَالسَّفَهُ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:
إِذْ تَسْتَبِي الْهَيَامَةُ الْمُرَهَقًا^{١٩٧} وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

وَالرَّهَقُ أَيُّضًا: طَلَبُكَ الشَّيْءِ حَتَّى تَدْنُو مِنْهُ، فَتَأْخُذْهُ أَوْ لَا تَأْخُذْهُ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ يَصِفُ حَمِيرٍ وَحْشٍ:

بَصْبُصْنَ^{١٩٨} وَاقْشَعُرْنَ مِنْ خَوْفِ الرَّهَقِ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أُجُوزَةٍ لَهُ.
وَالرَّهَقُ أَيُّضًا: مَصْدَرٌ لِقَوْلِ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ: رَهَقْتُ الْإِثْمَ أَوْ الْعُسْرَ، الَّذِي أَرَهَقْتَنِي رَهَقًا شَدِيدًا، أَيْ حَمَلْتُ الْإِثْمَ أَوْ الْعُسْرَ الَّذِي حَمَلْتَنِي حَمْلًا شَدِيدًا، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ (الكهف ١٨ / ٨٠)

﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ (الكهف ١٨ / ٧٣)

١٩٧ تستبى: تذهب بعقله. والهيامة: الكثرة الهيام. وأصل الهيام: داء يُصيب الإبل فتشتد حرارة أجوافها، فلا تروى من الماء إذا شربت.

١٩٨ يُريد: حركن أذناهن.



(فَزِعَ ثَقِيفٌ مِنْ رَمِي الْجَنِّ بِالنُّجُومِ، وَسُؤَالُهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ أَوَّلَ الْعَرَبِ فَزِعَ لِلرَّمْيِ بِالنُّجُومِ حِينَ رُمِيَ بِهَا، هَذَا الْحَيُّ مِنْ ثَقِيفٍ، وَأَنَّهُمْ جَاءُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ، أَحَدُ بَنِي عِلَاجٍ - قَالَ: وَكَانَ أَذْهَى الْعَرَبِ وَأَنكَرَهَا^{١٩٩} رَأْيًا - فَقَالُوا لَهُ: يَا عَمْرُو: أَلَمْ تَرَ مَا حَدَّثَ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْقَذْفِ بِهَذِهِ النُّجُومِ؟ قَالَ: بَلَى، فَانْظُرُوا، فَإِنْ كَانَتْ مَعَالِمُ النُّجُومِ^{٢٠٠} الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَتُعْرَفُ بِهَا الْأَنْوَاءُ مِنَ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ، لِمَا يُصْلِحُ النَّاسَ فِي مَعَايِشِهِمْ، هِيَ الَّتِي يُرْمَى بِهَا، فَهُوَ وَاللَّهُ طَيِّ الدُّنْيَا، وَهَلَاكُ هَذَا الْخَلْقِ الَّذِي فِيهَا، وَإِنْ كَانَتْ نُجُومًا غَيْرَهَا، وَهِيَ ثَابِتَةٌ عَلَى حَالِهَا، فَهَذَا لِأَمْرِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ هَذَا الْخَلْقَ، فَمَا هُوَ؟^{٢٠١}

(حَدِيثُهُ ﷺ مَعَ الْأَنْصَارِ فِي رَمِي الْجَنِّ بِالنُّجُومِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ابْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ، عَنْ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ لَهُمْ: مَاذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ فِي هَذَا النَّجْمِ الَّذِي يُرْمَى بِهِ؟ قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كُنَّا نَقُولُ حِينَ رَأَيْنَاهَا يُرْمَى بِهَا: مَاتَ مَلِكٌ مَلِكُ مَلِكْ، وَوُلِدَ مَوْلُودٌ مَاتَ مَوْلُودٌ، فَقَالَ

١٩٩ يُرِيدُ: أَهْدَاهَا رَأْيًا، مِنَ النِّكَرِ (بِقَتْحِ التَّوْنِ)، وَهُوَ الدِّهَاءُ. وَيُرْوَى بِإِلْبَاءِ أَيَّ أَشَدَّهُمْ إِبْدَاءَ لَرَأَى لَمْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ، مِنَ الْبُكُورِ فِي الشَّيْءِ، وَهُوَ أَوَّلُهُ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «أَمَكْرَهَا».

٢٠٠ مَعَالِمُ النُّجُومِ: النُّجُومُ الْمُشْهُورَةُ.

٢٠١ وَمِثْلُ هَذَا مَا حَدَّثَ لِبْنِي هَبٍ عِنْدَ فِزْعِهِمُ لِلرَّمْيِ بِالنُّجُومِ فَاجْتَمَعُوا إِلَى كَاهِنٍ لَهُمْ، يُقَالُ لَهُ خَطَرٌ، فَبَيَّنَ لَهُمُ الْخَبَرَ، وَمَا حَدَّثَ مِنْ أَمْرِ النَّبُوءَةِ. (الرَّوْضُ الْأَنْفُ)

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ إِذَا فَضَى فِي خَلْقِهِ أَمْرًا سَمِعَهُ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، فَسَبَّحُوا، فَسَبَّحَ مَنْ تَحْتَهُمْ، فَسَبَّحَ لِتَسْبِيحِهِمْ مَنْ تَحْتَ ذَلِكَ، فَلَا يَزَالُ التَّسْبِيحُ يَهْبِطُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْبَحُوا ثُمَّ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِمَّ سَبَّحْتُمْ فَيَقُولُونَ سَبَّحَ مَنْ فَوْقَنَا فَسَبَّحْنَا لِتَسْبِيحِهِمْ، فَيَقُولُونَ: أَلَا تَسْأَلُونَ مَنْ فَوْقَكُمْ مِمَّ سَبَّحُوا؟ فَيَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى يَتَّهُوا إِلَى حَمَلَةِ الْعَرْشِ، فَيَقَالَ لَهُمْ: مِمَّ سَبَّحْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: فَضَى اللَّهُ فِي خَلْقِهِ كَذَا وَكَذَا، لِلْأَمْرِ الَّذِي كَانَ، فَيَهْبِطُ بِهِ الْخَبَرُ مِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَتَحَدَّثُوا بِهِ، فَتَسْتَرْقُهُ الشَّيَاطِينُ بِالسَّمْعِ، عَلَى تَوْهَمٍ وَاخْتِلَافٍ، ثُمَّ يَأْتُوا بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَحَدِّثُوهُمْ بِهِ فَيُخْطِئُونَ وَيُصَيِّوْنَ فَيَتَحَدَّثُ بِهِ الْكُهَّانَ، فَيُصَيِّوْنَ بَعْضًا وَيُخْطِئُونَ بَعْضًا. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ حَجَبَ الشَّيَاطِينَ بِهَذِهِ النُّجُومِ الَّتِي يُقَذِّفُونَ بِهَا، فَانْقَطَعَتْ الْكُهَّانَةُ الْيَوْمَ، فَلَا كُهَّانَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَبِيَّةٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ بِمِثْلِ حَدِيثِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْهُ.

(الْغَيْطَلَةُ وَمَا حَدَّثَتْ بِهِ بَنِي سَهْمٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ أَمْرًا مِنْ بَنِي سَهْمٍ، يُقَالُ لَهَا الْغَيْطَلَةُ، كَانَتْ كَاهِنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، جَاءَهَا صَاحِبُهَا لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَانْقَضَ نَحْتُهَا، ثُمَّ قَالَ: «أَدْرِ مَا أَدْرِ ٢٠٢. يَوْمَ عَقْرِ وَنَحْرِ»، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ حِينَ بَلَغَهَا ذَلِكَ: مَا يُرِيدُ؟ ثُمَّ جَاءَهَا لَيْلَةً

أُخْرَى، فَأَنْقَضَ^{٢٠٣} تَحْتَهَا، ثُمَّ قَالَ: «شُعُوبُ^{٢٠٤} مَا شُعُوبٌ، تُصْرَعُ فِيهِ كَعْبُ^{٢٠٥} لَجُوبٌ». فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ قُرَيْشًا. قَالُوا: مَاذَا يُرِيدُ، إِنَّ هَذَا لِأَمْرٍ هُوَ كَائِنٌ، فَاَنْظُرُوا مَا هُوَ؟ فَمَا عَرَفُوهُ حَتَّى كَانَتْ وَقْعَةُ بَدْرٍ وَأَحَدٍ بِالشُّعْبِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ الَّذِي كَانَ جَاءَ بِهِ إِلَى صَاحِبَتِهِ^{٢٠٦}.

(إنذار يهود برسول الله ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ رِجَالٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: إِنَّ مِمَّا دَعَانَا إِلَى الْإِسْلَامِ، مَعَ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهَدَاهُ لَنَا، لَمَّا كُنَّا نَسْمَعُ مِنْ رِجَالٍ يَهُودَ، وَكُنَّا أَهْلَ شِرْكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، عِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ لَنَا، وَكَانَتْ لَا تَزَالُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ شُرُورٌ، فَإِذَا نَلْنَا مِنْهُمْ بَعْضَ مَا يَكْرَهُونَ، قَالُوا لَنَا: إِنَّهُ قَدْ تَقَارَبَ زَمَانُ نَبِيِّ يُبْعَثُ الْآنَ نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ فَكُنَّا كَثِيرًا مَا نَسْمَعُ ذَلِكَ مِنْهُمْ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ أَجَبْنَاهُ، حِينَ دَعَانَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَعَرَفْنَا مَا كَانُوا يَتَوَعَّدُونَنَا بِهِ، فَبَادَرْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَمَّنَّا بِهِ، وَكَفَرُوا بِهِ، فَفِينَا وَفِيهِمْ نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ مِنَ الْبَقَرَةِ:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٨٩/٢)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَسْتَفْتِحُونَ: يَسْتَنْصِرُونَ،

٢٠٣ انقض: سقط، يُقَالُ: انقض الطائر، إِذَا سَقَطَ عَلَى الشَّيْءِ. وَيُرْوَى: «انقض»: أَي صَوْتٌ وَتَكَلُّمٌ بِصَوْتِ خَفِيٍّ، نَقُولُ: سَمِعْتُ نَقِيزَ الْبَابِ وَنَقِيزَ الرَّجُلِ أَيَّ صَوْتِهِ.

٢٠٤ قَالَ السَّهْلِيُّ: «وَشُعُوب (هَآ هُنَا): أَحْسَبُهُ بِضَمِّ الشَّيْنِ، وَلَمْ أَجِدْهُ مُقَيَّدًا، وَكَأَنَّهُ جَمْعُ شَعْبٍ وَقَوْلُ ابْنِ إِسْحَاقَ يَدُلُّ عَلَى هَذَا حِينَ قَالَ: فَلَمْ يَدْرَ مَا قَالَتْ حَتَّى قَتَلَ مِنْ قَتْلِ بَدْرٍ وَأَحَدٍ بِالشُّعْبِ».

٢٠٥ كَعْبُ هَاهُنَا هُوَ كَعْبُ بْنُ لُؤْيٍ، وَالَّذِينَ صَرَعُوا بَدْرَ وَأَحَدَ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، مَعْظَمُهُمْ مِنْ كَعْبِ بْنِ لُؤْيٍ.

٢٠٦ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٠٤-٢٠٨.

وَيَسْتَفْتِحُونَ أَيُّضًا: يَتَحَاكَمُونَ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ (الأعراف ٧ / ٨٩)

(حَدِيثُ سَلَمَةَ عَنِ الْيَهُودِيِّ الَّذِي أَنْذَرَ بِالرَّسُولِ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ مَحْمُودِ ابْنِ لَيْدٍ أَخِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَفْشٍ، وَكَانَ سَلَمَةُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ مِنْ يَهُودٍ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَالَ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا يَوْمًا مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ - قَالَ سَلَمَةُ: وَأَنَا يَوْمَئِذٍ مِنْ أَحَدَثٍ مَنْ فِيهِ سِنًا، عَلَيَّ بُرْدَةٌ لِي، مُضْطَجِعٌ فِيهَا بِفَنَاءِ أَهْلِي - فَذَكَرَ الْقِيَامَةَ وَالْبُعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْمِيزَانَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، قَالَ: فَقَالَ ذَلِكَ لِقَوْمٍ أَهْلٍ شَرِكٍ أَصْحَابِ أَوْثَانٍ، لَا يَرَوْنَ أَنَّ بَعْثًا كَائِنٌ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَقَالُوا لَهُ: وَيَحَكَ يَا فُلَانُ أَوْتَرَى هَذَا كَائِنًا، أَنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ مَوْتِهِمْ إِلَى دَارٍ فِيهَا جَنَّةٌ وَنَارٌ يُجْزَوْنَ فِيهَا بِأَعْمَالِهِمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ، وَلَوْ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْ تِلْكَ النَّارِ أَعْظَمَ تَنُورٍ فِي الدَّارِ، يَحْمُونَهُ ثُمَّ يَدْخُلُونَهُ إِيَّاهُ فَيُطَيَّنُونَهُ عَلَيْهِ، بِأَنَّهُ يَنْجُو مِنْ تِلْكَ النَّارِ غَدًا، فَقَالُوا لَهُ: وَيَحَكَ يَا فُلَانُ! فَمَا آيَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ مِنْ نَحْوِ هَذِهِ الْبِلَادِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَّةَ وَالْيَمَنِ، فَقَالُوا: وَمَتَى تَرَاهُ؟ قَالَ: فَتَنْظُرُ إِلَيَّ وَأَنَا مِنْ أَحَدَثِهِمْ سِنًا، فَقَالَ: إِنْ يَسْتَفْتِدُ هَذَا الْغُلَامُ عُمَرُهُ يَدْرُكُهُ. قَالَ سَلَمَةُ: فَوَاللَّهِ مَا ذَهَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا رَسُولَهُ ﷺ، وَهُوَ حَيٌّ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَأَمَنَّا بِهِ، وَكَفَرْنَا بِهِ بَغْيًا وَحَسَدًا. قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: وَيَحَكَ يَا فُلَانُ أَلَسْتَ الَّذِي قُلْتَ لَنَا فِيهِ مَا قُلْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ بِهِ.^{٢٠٧}

(صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْإِنْجِيلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ، فِيمَا بَلَغَنِي عَمَّا كَانَ وَضَعَ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ فِيمَا جَاءَهُ مِنْ اللَّهِ فِي الْإِنْجِيلِ لِأَهْلِ الْإِنْجِيلِ مِنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مِمَّا أَتَتْ يُحَسِّنُ الْحَوَارِيُّ لَهُمْ، حِينَ نَسَخَ لَهُمُ الْإِنْجِيلَ عَنْ عَهْدِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ الرَّبَّ، وَلَوْ لَا أَنِّي صَنَعْتُ بِحَضْرَتِهِمْ صَنَائِعَ لَمْ يَصْنَعُهَا أَحَدٌ قَبْلِي، مَا كَانَتْ لَهُمْ خَطِيئَةٌ، وَلَكِنْ مِنْ الْآنَ بَطَرُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ يَعِزُّونَنِي^{٢٠٨}، وَأَيْضًا لِلرَّبِّ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ تَتِمَّ الْكَلِمَةُ الَّتِي فِي النَّامُوسِ: أَنَّهُمْ أَبْغَضُونِي مَجَانًا، أَيْ بَاطِلًا. فَلَوْ قَدْ جَاءَ الْمُتَمَحِّمَنَّا هَذَا الَّذِي يُرْسِلُهُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، وَرُوحُ الْقُدُسِ، هَذَا الَّذِي مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ خَرَجَ، فَهُوَ شَهِيدٌ عَلَيَّ وَأَنْتُمْ أَيْضًا، لِأَنَّكُمْ قَدِيمًا كُنْتُمْ مَعِيَ فِي هَذَا قُلْتُ لَكُمْ: لِكَيْمَا لَا تَشْكُرُوا.

وَالْمُتَمَحِّمَنَّا (بِالسَّرْيَانِيَّةِ): مُحَمَّدٌ: وَهُوَ بِالرُّومِيَّةِ: الْبَرَقْلَيْطُسُ، ﷺ.

(مَبْعَثُ النَّبِيِّ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَلَغَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بِشِيرًا، وَكَانَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَخَذَ الْعِثَاقَ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ قَبْلَهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ، وَالتَّصْدِيقِ لَهُ، وَالنَّصْرِ لَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَدُّوا ذَلِكَ إِلَى كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ، فَأَدُّوا مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ فِيهِ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ:

٢٠٨ يعزوني: يغلبونني، يُقال: عز الرجل الرجل، إذا غلبه.

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ: أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي...﴾
أَيُّ ثِقَلٍ مَا حَمَلْتُكُمْ مِنْ عَهْدِي

﴿..قَالُوا أَقْرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران ٣ / ٨١)

فَأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ جَمِيعًا بِالتَّصَدِيقِ لَهُ، وَالتَّصَرُّ لِهِ مِمَّنْ خَالَفَهُ، وَأَدَّوْا ذَلِكَ إِلَى مَنْ آمَنَ بِهِمْ وَصَدَّقَهُمْ مِنْ أَهْلِ هَذَيْنِ الْكِتَابَيْنِ.^{٢٠٩}

(ابتداء نزول جبريل عليه السلام)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ، مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ. قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَهُوَ يَقُولُ لِعُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرِ بْنِ قَتَادَةَ اللَّيْثِيِّ: حَدَّثَنَا يَا عُيَيْدُ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا أُبْتَدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ النَّبُوءَةِ، حِينَ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عليه السلام؟ قَالَ: فَقَالَ: عُيَيْدُ- وَأَنَا حَاضِرٌ يُحَدِّثُ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الزُّبَيْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ-: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُجَاوِرُ^{٢١٠} فِي حِرَاءٍ مِنْ كُلِّ سَنَةِ شَهْرًا، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَحَنَّتْ بِهِ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَالتَّحَنُّ التَّبَرُّرُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

وَتَوَرَّ وَمَنْ أَرَسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ

٢٠٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، 232-234.

٢١٠ يجاور: يعتكف.

(بَحْثُ لُغَوِيٍّ فِي مَعْنَى التَّحْنُثِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَقُولُ الْعَرَبُ: التَّحْنُثُ وَالتَّحْنُفُ، يُرِيدُونَ الْحَنْفِيَّةَ فَيُبْدِلُونَ الْفَاءَ ٢١١
مِنَ الثَّاءِ، كَمَا قَالُوا: جَدَثَ، وَجَدَفَ، يُرِيدُونَ الْقَبْرَ. قَالَ رُوْبَةُ ابْنُ الْعَجَّاجِ:

لَوْ كَانَ أَحْجَارِي مَعَ الْأَجْدَافِ ٢١٢

يُرِيدُ: الْأَجْدَاثَ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ. وَبَيْتُ أَبِي طَالِبٍ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ،
سَاءَ ذُكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: فَمَ، فِي مَوْضِعِ ثَمَ، يُبْدِلُونَ الْفَاءَ
مِنَ الثَّاءِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي وَهْبُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: قَالَ عُبَيْدٌ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
يُجَاوِرُ ذَلِكَ الشَّهْرَ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ، يُطْعِمُ مَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَإِذَا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
جَوَارَهُ مِنْ شَهْرِهِ ذَلِكَ، كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ جَوَارِهِ، الْكَعْبَةَ، قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ
بَيْتَهُ، فَيَطُوفُ بِهَا سَبْعًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى بَيْتِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الشَّهْرُ
الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِيهِ مَا أَرَادَ مِنْ كَرَامَتِهِ، مِنَ السَّنَةِ الَّتِي بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا،
وَذَلِكَ الشَّهْرُ شَهْرُ رَمَضَانَ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى حِرَاءٍ، كَمَا كَانَ يَخْرُجُ لِجَوَارِهِ
وَمَعَهُ أَهْلُهُ، حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللَّهُ فِيهَا بِرِسَالَتِهِ، وَرَحِمَ الْعِبَادَ بِهَا، جَاءَهُ

٢١١ وَفِي الرَّدِّ عَلَى ابْنِ هِشَامٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «...والجيد فيه أن يكون فيه التحنث هو الخروج من الحنث:
أي الإنثم، كما يكون التأثم، الخروج عن الإنثم، لأن تفعل قد تستعمل في الخروج من الشيء، وفي
الانسلاخ عنه، ولا يحتاج فيه إلى الإبدال الذي ذكره ابن هشام».

٢١٢ فِي هَذَا الشَّعْرِ شَاهِدٌ وَرَدَ عَلَى ابْنِ جَنَى حَيْثُ زَعَمَ أَنَّ «جَدَفَ» بِالْفَاءِ لَا يَجْمَعُ عَلَى أَجْدَافِ
(الرُّوضُ وَانْظُرْ دِيْوَانَ رُوْبَةَ طَبْعَةُ لَيْسَجٍ ص ١٠٠ وَفِيهِ أَحْجَارُ).

جِبْرِيلُ عليه السلام بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ، وَأَنَا نَائِمٌ، بِنَمَطٍ ^{٢١٣} مِنْ دِيبَاجٍ فِيهِ كِتَابٌ ^{٢١٤}، فَقَالَ اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّيْنِي ^{٢١٥} بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّيْنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: قُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ قَالَ: فَغَتَّيْنِي بِهِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ الْمَوْتُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: فَقُلْتُ: مَاذَا أَقْرَأُ؟ مَا أَقُولُ ذَلِكَ إِلَّا افْتِدَاءً مِنْهُ أَنْ يَعُودَ لِي بِمِثْلِ مَا صَنَعَ بِي، فَقَالَ:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (العلق ١/٩٦-٥)

قَالَ: فَفَرَّأْتُهَا ثُمَّ انْتَهَى فَأَنْصَرَفَ عَنِّي وَهَبْتُ مِنْ نَوْمِي، فَكَانَمَا كَتَبْتُ فِي قَلْبِي كِتَابًا. قَالَ: فَخَرَجْتُ حَتَّى إِذَا كُنْتُ فِي وَسْطٍ مِنَ الْجَبَلِ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ، قَالَ: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ أَنْظُرُ، فَإِذَا جِبْرِيلُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ صَافٍ قَدَمَيْهِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَا جِبْرِيلُ. قَالَ: فَوَقَفْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَمَا أَتَقَدَّمُ وَمَا أَتَأَخَّرُ، وَجَعَلْتُ أَصْرِفُ وَجْهِي عَنْهُ فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، قَالَ: فَلَا أَنْظُرُ فِي نَاحِيَةٍ مِنْهَا إِلَّا رَأَيْتُهُ كَذَلِكَ، فَمَا زِلْتُ وَاقِفًا مَا أَتَقَدَّمُ أَمَامِي وَمَا أَرْجِعُ وَرَائِي حَتَّى بَعَثْتُ خَدِيجَةَ رُسُلَهَا فِي طَلْبِي، فَبَلَّغُوا أَعْلَى مَكَّةَ وَرَجَعُوا إِلَيْهَا وَأَنَا وَاقِفٌ فِي مَكَانِي ذَلِكَ، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنِّي.

٢١٣ النمط: وعاء كالسفط.

٢١٤ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ» (البقرة ٢/١-٢) إِنَّمَا إِشَارَةٌ إِلَى الْكِتَابِ الَّذِي جَاءَ بِهِ جِبْرِيلُ حِينَ قَالَ لَهُ: «اقْرَأْ». (الرَّوْضُ الْأَنْف).

٢١٥ والغت: حبس النفس. وَفِي الْمَوَاهِبِ: «فَغَطَّنِي». وَهِيَ بِمَعْنَى غَتَّ.



(رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْصُصُ عَلَى خَدِيجَةَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ جَبْرِيلَ مَعَهُ):

وَانْصَرَفْتُ رَاجِعًا إِلَى أَهْلِي حَتَّى أَتَيْتُ خَدِيجَةَ فَجَلَسْتُ إِلَى فَخِذِهَا مُضِيغًا^{٢١٦}
إِلَيْهَا: فَقَالَتْ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، أَيْنَ كُنْتَ؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَعَثْتُ رُسُلِي فِي طَلَبِكَ حَتَّى بَلَغُوا
مَكَّةَ وَرَجَعُوا لِي، ثُمَّ حَدَّثْتَهَا بِالَّذِي رَأَيْتُ، فَقَالَتْ: أَبَشِّرْ يَا بَنَ عَمِّ وَاثِبْتَ، فَوَالَّذِي
نَفْسُ خَدِيجَةَ بِيَدِهِ إِنِّي لَا رَجُوءَ أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.^{٢١٧}

(اِبْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَابْتَدَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالتَّنْزِيلِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، بِقَوْلِ اللَّهِ ﷻ:
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾
(البقرة ١٨٥ / ٢)

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ. لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ. تَنْزِيلُ
الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ. سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر ٩٧ / ١-٥)
﴿حَمِّ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ
حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (الدخان ٤٤ / ١-٥)

﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ (الأنفال ٨ / ٤١)
وَذَلِكَ مُلْتَقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ.

٢١٦ مضيغاً: ملتصقاً، يُقال: أضفت إلى الرجل، إذا ملت نحوه ولصقت به، ومنه سُمي الضَّيْفُ مضيغاً.
٢١٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٣٥-٢٣٨.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ حُسَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ التَّقَى هُوَ وَالْمُشْرِكُونَ بَبْدَرٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، صَبِيحَةَ سَبْعِ عَشْرَةَ مِنْ رَمَضَانَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ تَنَامَ الْوَحْيُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ مُؤْمِنٌ بِاللَّهِ مُصَدِّقٌ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، قَدْ قَبِلَهُ بِقَبُولِهِ، وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَا حَمَلَهُ عَلَى رِضَا الْعِبَادِ وَسَخَطِهِمْ، وَالنُّبُوَّةَ أَثْقَالًا وَمُؤْنَةً، لَا يَحْمِلُهَا وَلَا يَسْتَطِيعُ بِهَا إِلَّا أَهْلُ الْقُوَّةِ وَالْعَرَمِ مِنَ الرُّسُلِ بِعَوْنِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْفِيقِهِ، لَمَا يَلْقَوْنَ مِنَ النَّاسِ وَمَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ مِمَّا جَاءُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانِهِ وَتَعَالَى. قَالَ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، عَلَى مَا يَلْقَى مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالْأَذَى.^{٢١٨}

(فَتْرَةُ الْوَحْيِ وَنَزُولُ سُورَةِ الضُّحَى):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ فَتَرَ الْوَحْيُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتْرَةً مِنْ ذَلِكَ، حَتَّى شَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَأَحْزَنَهُ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الضُّحَى، يُقْسِمُ لَهُ رَبُّهُ، وَهُوَ الَّذِي أَكْرَمَهُ بِمَا أَكْرَمَهُ بِهِ، مَا وَدَّعَهُ وَمَا قَلَّاهُ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى. مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ يَقُولُ: مَا صَرَمَكَ فَتَرَكَكَ، وَمَا أَبْغَضَكَ مِنْذُ أَحَبَّكَ. ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرَ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ أَيُّ لِمَا عِنْدِي مِنْ مَرَجِعِكَ إِلَيَّ، خَيْرٌ لَكَ مِمَّا عَجَلْتَ لَكَ مِنَ الْكَرَامَةِ فِي الدُّنْيَا. ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ مِنَ الْفُلْجِ فِي الدُّنْيَا، وَالثَّوَابِ فِي الْآخِرَةِ. ﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَآوَى. وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى. وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى﴾ (الضحى ١-٨) يُعْرِفُهُ اللَّهُ مَا ابْتَدَأَهُ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَمِنْهُ عَلَيْهِ فِي يَتِيمِهِ وَعَيْلَتِهِ وَضَلَالَتِهِ، وَاسْتِنْقَازِهِ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِرَحْمَتِهِ.

(تَفْسِيرُ مُفْرَدَاتِ سُورَةِ الضُّحَى):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: سَجَى: سَكَنَ. قَالَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ:

إِذَا أَتَى مَوْهِنًا وَقَدْ نَامَ صَحْبِي ... وَسَجَا اللَّيْلُ بِالظَّلَامِ الْبَهِيمِ^{٢١٩}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، وَيُقَالُ لِلْعَيْنِ إِذَا سَكَنَ طَرَفُهَا: سَاجِيَةً، وَسَجَا طَرَفُهَا.

قَالَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ:

وَلَقَدْ رَمَيْتُكَ حِينَ رُحْنٍ بِأَعْيُنٍ ... يَقْتُلْنَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سُوَا حِي

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالْعَائِلُ: الْفَقِيرُ. قَالَ أَبُو خِرَاشٍ الْهَذَلِيُّ:

إِلَى بَيْتِهِ يَا وَيْهُ الضَّرِيكَ إِذَا شَتَا ... وَمُسْتَنْبَحُ بَالِي الدَّرِيسِينَ عَائِلٌ^{٢٢٠}

وَجَمْعُهُ: عَالَةٌ وَعَيْلٌ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ،

وَالْعَائِلُ (أَيْضًا): الَّذِي يَعُولُ الْعِيَالَ.

وَالْعَائِلُ (أَيْضًا): الْخَائِفُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (النساء ٣/٤)

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ:

بِمِيزَانٍ قِسْطٍ لَا يُخْسُ شَعِيرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرُ عَائِلٍ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا.

٢١٩ الموهن: سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ. وَالْبَهِيمُ: الشَّدِيدُ السَّوَادُ لَيْسَ فِيهِ ضِيَاءٌ.

٢٢٠ الضَّرِيكَ: الْفَقِيرُ وَالضَّعِيفُ الْمُضْطَرُّ. وَالْمُسْتَنْبَحُ: الَّذِي يَضِلُّ عَنِ الطَّرِيقِ فِي ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، فَيَنْبَحُ

نَبَاحَ الْكَلَابِ لِتَسْمَعَهُ الْكَلَابُ فَتَجَاوِبُهُ، فَيَعْلَمُ مَوْضِعَ الْبُيُوتِ فَيَقْصِدُهَا. وَالدَّرِيسُ: الثُّوبُ

الْمَخْلُوقُ، وَثَنَاهُ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْإِرَارَ وَالرِّدَاءَ، وَهُوَ أَقْلُ مَا يَكُونُ لِلرَّجُلِ مِنَ اللَّبَاسِ.

وَالْعَائِلُ (أَيْضًا): الشَّيْءُ الْمَثْقَلُ الْمَعْيَى. يَقُولُ الرَّجُلُ: قَدْ عَالَنِي هَذَا الْأَمْرُ: أَيُّ
أَثْقَلَنِي وَأَعْيَانِي.
قَالَ الْفَرَزْدُقُ:

تَرَى الْغُرَّ الْجَحَاحَ مِنْ قُرَيْشٍ ... إِذَا مَا الْأَمْرُ فِي الْحَدَثَانِ عَالًا^{٢٢١}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿فَأَمَّا النَّيِّمُ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرْ﴾ (الضحى ٩٣/٩-١٠)
أَيُّ لَا تَكُنْ جَبَّارًا وَلَا مُتَكَبِّرًا، وَلَا فَحَاشًا فَظًّا عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.
﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى ٩٣/٩١١)

أَيُّ بِمَا جَاءَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ نِعْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ فَحَدِّثْ، أَيُّ اذْكُرْهَا وَاذْعُ إِلَيْهَا،
فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْعِبَادِ بِهِ مِنَ النَّبُوءَةِ سِرًّا إِلَى مَنْ
يُطْمَئِنُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ.^{٢٢٢}

(ابْتِدَاءُ فَرَضِ الصَّلَاةِ)

وَأَفْتَرَضْتُ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَآلِهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ
قَالَتْ: أَفْتَرَضْتُ الصَّلَاةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَا أَفْتَرَضْتُ عَلَيْهِ رَكَعَتَيْنِ رَكَعَتَيْنِ،

٢٢١ الغر: المشهورون. وأصله الأبيض، وهو جمع أعر. والجحاح: السَّادَةُ، واحدهم: جحاح. وَكَانَ الْوَجْهَ أَنْ
يُقَالُ الْجَحَاحِيحُ (بِالْيَاءِ) فَحَذَفُهَا لِإِقَامَةِ وَزْنِ الشَّعْرِ. والحدثان: حوادث الدهر.

٢٢٢ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٤١-٢٤٣.



كُلَّ صَلَاةٍ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا، وَأَقَرَّهَا فِي السَّفَرِ عَلَى فَرَضِهَا
الْأَوَّلِ رَكْعَتَيْنِ. ٢٢٣

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الصَّلَاةَ حِينَ افْتُرِضَتْ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ جَبْرِيلُ وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَهَمَزَ لَهُ بِعَقْبِهِ فِي نَاحِيَةِ الْوَادِي،
فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ عَيْنٌ، فَتَوَصَّأَ جَبْرِيلُ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، لِيَرِيَهُ كَيْفَ
الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ تَوَصَّأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَأَى جَبْرِيلَ تَوَصَّأَ، ثُمَّ قَامَ بِهِ جَبْرِيلُ
فَصَلَّى بِهِ، وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِصَلَاتِهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ جَبْرِيلُ ﷺ.

٢٢٣ قَالَ السَّهْلِيُّ: «وَذَكَرَ الْمُزَنِيُّ أَنَّ الصَّلَاةَ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ كَانَتْ صَلَاةً قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَصَلَاةً قَبْلَ
طُلُوعِهَا، وَيَشْهَدُ لِهَذَا الْقَوْلِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ» (المؤمن ٤٠/٥٥).
وَقَالَ يَحْيَى ابْنُ سَلَامٍ مِثْلَهُ، وَقَالَ: كَانَ الْإِسْرَاءُ وَفَرَضَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بِعَامٍ، فَعَلَى
هَذَا يَحْتَمِلُ قَوْلَ عَائِشَةَ: «فَزِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ». أَيُ زِيدَ فِيهَا حِينَ أَكْمَلْتَ خُمْسًا، فَتَكُونُ الزِّيَادَةُ
فِي الرُّكْعَاتِ وَفِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ، وَيَكُونُ قَوْلُهَا: «فَرَضْتُ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ»: أَيُ قَبْلَ الْإِسْرَاءِ، وَقَدْ
قَالَ هَذَا طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ، مِنْهُمْ ابْنُ عَبَّاسٍ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى قَوْلُهَا: «فَرَضْتُ الصَّلَاةَ»: أَيُ
لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ، حِينَ فَرَضْتُ الْخُمْسَ فَرَضْتُ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ زِيدَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ بَعْدَ ذَلِكَ،
وَهَذَا هُوَ الْمُرَوِّى عَنْ بَعْضِ رِوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ عَائِشَةَ. وَمِمَّنْ رَوَاهُ هَكَذَا الْحَسَنُ وَالشَّعْبِيُّ أَنَّ
الزِّيَادَةَ فِي صَلَاةِ الْحَضَرِ كَانَتْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ بِعَامٍ أَوْ نَحْوِهِ، وَقَدْ ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ
مِنْ رِوَايَةِ مَعْمَرٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: «فَرَضْتُ الصَّلَاةَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ،
ثُمَّ هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَفَرَضْتُ أَرْبَعًا». هَكَذَا لَفْظُ حَدِيثِهِ. وَهَاهُنَا سُؤَالٌ، يُقَالُ: أَهَذِهِ
الزِّيَادَةُ فِي الصَّلَاةِ نَسْخٌ أَمْ لَا؟ فَيُقَالُ: أَمَا زِيَادَةُ رَكْعَتَيْنِ أَوْ رَكْعَةٍ إِلَى مَا قَبْلُهَا مِنَ الرُّكُوعِ حَتَّى تَكُونَ
صَلَاةً وَاحِدَةً فَنَسْخٌ، لِأَنَّ النِّسْخَ رَفْعُ الْحُكْمِ، وَقَدْ ارْتَفَعَ حُكْمُ الْإِجْزَاءِ مِنَ الرُّكْعَتَيْنِ، وَصَارَ مِنْ
سَلَمٍ مِنْهَا عَامِدًا أَفْسَدَهُمَا، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَتِمَّ صَلَاتُهُ بَعْدَ مَا سَلِمَ، وَتَحَدَّثَ عَامِدًا لَمْ يَجِزْ، إِلَّا أَنْ
يَسْتَأْنِفَ الصَّلَاةَ مِنْ أَوَّلِهَا. فَقَدْ ارْتَفَعَ حُكْمُ الْإِجْزَاءِ بِالنِّسْخِ. وَأَمَا الزِّيَادَةُ فِي عَدَدِ الصَّلَوَاتِ حِينَ
أَكْمَلْتَ خُمْسًا بَعْدَ مَا كَانَتْ اثْنَتَيْنِ، فَيَسْمَى نَسْخًا عَلَى مَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، فَإِنَّ الزِّيَادَةَ عِنْدَهُ عَلَى
النِّصِّ نَسْخٌ، وَجُمْهُورُ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِنَسْخٍ، وَلَا حَتَّاجَ الْفَرِيقَيْنِ مَوْضِعَ غَيْرِ هَذَا».



فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَدِيجَةً، فَتَوَضَّأَ لَهَا لِيُرِيَهَا كَيْفَ الطُّهُورُ لِلصَّلَاةِ كَمَا أَرَاهُ جَبْرِيلُ
فَتَوَضَّأَتْ كَمَا تَوَضَّأَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ صَلَّى بِهَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ
الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا صَلَّى بِهِ جَبْرِيلُ فَصَلَّتْ بِصَلَاتِهِ. ٢٢٤

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، مَوْلَى بَنِي تَمِيمٍ، عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ
مُطْعِمٍ، وَكَانَ نَافِعٌ كَثِيرَ الرَّوَايَةِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا أَفْتُرِضَتِ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جَبْرِيلُ ﷺ، فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ حِينَ مَالَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعَصْرَ حِينَ
كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ
حِينَ ذَهَبَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الصُّبْحَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ، ثُمَّ جَاءَهُ فَصَلَّى بِهِ الظُّهْرَ مِنْ
غَدٍ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّهُ مِثْلِيَّهِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْمَغْرِبَ

٢٢٤ قَالَ السَّهِيلِيُّ: «هَذَا الْحَدِيثُ مَقْطُوعٌ فِي السَّيَرَةِ، وَمِثْلُهُ لَا يَكُونُ أَصْلًا فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلَكِنَّهُ
قَدْ رَوَى مُسْنَدًا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَرْفَعُهُ. غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ الْمُسْنَدَ يَدُورُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هَيْعَةَ،
وَقَدْ ضَعْفَ وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْهُ مُسْلِمٌ، وَلَا الْبُخَارِيُّ، لِأَنَّهُ يُقَالُ إِنَّ كِتَابَهُ احْتَرَقَتْ، فَكَانَ يَحْدُثُ مِنْ
حِفْظِهِ. وَكَانَ مَالِكُ ابْنِ أَنَسٍ يَحْسِنُ فِيهِ الْقَوْلَ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ الَّذِي رَوَى عَنْهُ حَدِيثُ بَيْعِ الْعَرَبَانِ
فِي الْمَوْطَأِ: مَالِكٌ عَنِ الثَّقَّةِ عِنْدَهُ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ. فَيُقَالُ: إِنَّ الثَّقَّةَ هَاهُنَا ابْنُ هَيْعَةَ. وَيُقَالُ:
إِنَّ ابْنَ وَهَبٍ حَدَّثَ بِهِ عَنْ ابْنِ هَيْعَةَ، وَحَدَّثَ ابْنُ هَيْعَةَ هَذَا أَخْبَرَنَا بِهِ أَبُو بَكْرٍ الْحَافِظُ مُحَمَّدُ بْنُ
الْعَرَبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْمَطْهَرِ سَعْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنُ أَبِي الرَّجَاءِ، عَنْ أَبِي نَعِيمٍ الْحَافِظِ، قَالَ: حَدَّثَنَا
أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ الْعَطَّارُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي أُسَامَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، عَنْ
ابْنِ هَيْعَةَ، عَنْ عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي زَيْدُ
بْنُ حَارِثَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ، أَنَّهُ جَبْرِيلُ ﷺ فَعَلِمَهُ الْوُضُوءَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ
الْوُضُوءِ أَخَذَ غُرْفَةً مِنْ مَاءٍ، فَنَضَحَ بِهَا فَرْجَهُ. وَحَدَّثَنَا بِهِ أَيْضًا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ، عَنْ أَبِي
عَلِيٍّ الْغَسَّانِيِّ، عَنْ أَبِي عَمْرِو النَّمَرِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قَاسِمٍ، عَنْ قَاسِمِ ابْنِ أَصْبَغٍ، عَنْ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي
أُسَامَةَ بِالْإِسْنَادِ الْمُتَقَدِّمِ.

فَالْوُضُوءَ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ مَكِّي بِالْقَرَضِ، مَدِينِي بِالتَّلَاوَةِ، لِأَنَّ آيَةَ الْوُضُوءِ مَدِينِيَّةٌ.

حِينَ غَابَتِ الشَّمْسُ لَوْفَتَهَا بِالْأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ صَلَّى بِهِ الصُّبْحَ مُسْفِرًا غَيْرَ مُشْرِقٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، الصَّلَاةُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاتِكَ الْيَوْمَ وَصَلَاتِكَ بِالْأَمْسِ.^{٢٢٥}

(إِسْلَامُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ثَانِيًا)

وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ بَنَ حُوَيْلِدٍ قَدِمَ مِنَ الشَّامِ بَرَقِيقٍ، فِيهِمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَصِيفُ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عَمَّتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ حُوَيْلِدٍ، وَهِيَ يَوْمِئِذٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهَا: اخْتَارِي يَا عَمَّةُ أَيَّ هَؤُلَاءِ الْعِلْمَانِ شِئْتَ فَهُوَ لَكَ، فَاخْتَارَتْ زَيْدًا فَأَخَذَتْهُ، فَرَأَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَهَا، فَاسْتَوْهَبَهُ مِنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لَهُ، فَأَعْتَقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبَّاهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ.

وَكَانَ أَبُوهُ حَارِثَةُ قَدْ جَزَعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا، وَبَكَى عَلَيْهِ حِينَ فَقَدَهُ... ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ وَهُوَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ شِئْتَ فَأَقِمْ عِنْدِي، وَإِنْ شِئْتَ فَانْطَلِقِي مَعَ أَبِيكَ، فَقَالَ: بَلْ أَقِيمُ عِنْدَكَ. فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى بَعَثَهُ اللَّهُ فَصَدَّقَهُ وَأَسْلَمَ، وَصَلَّى مَعَهُ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ:

﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب ٥/٣٣)

قَالَ: أَنَا زَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ.^{٢٢٦}

٢٢٥ قَالَ السَّهْلِيُّ: «وَهَذَا الْحَدِيثُ لَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي أَنْ يَذْكُرَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ، لِأَنَّ أَهْلَ الصَّحِيحِ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ كَانَتْ فِي الْغَدِّ مِنَ اللَّيْلِ الْإِسْرَاءِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا نَبِئَ بِخُمْسَةِ أَغْوَامٍ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ بَعَامٍ وَنِصْفٍ، وَقِيلَ بَعَامٍ، فَذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي بَدْءِ نَزُولِ الْوَحْيِ، وَأَوَّلِ أَحْوَالِ الصَّلَاةِ». (السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٤٣-٢٤٥)

٢٢٦ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٤٧-٢٤٩.



ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَأَقْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ابْنُ عَرِينَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ ابْنِ كَعْبٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: جَاءَتْ بِهِ بِأَهْلَهُ، فَبَاعُوهُ مِنَ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ، فَتَبَّأَهُ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ (الأحزاب ٥/٣٣)

قَالَ: أَنَا وَأَقْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فِيمَا قَالَ أَبُو عَمْرِو الْمَدَنِيُّ. ٢٢٧

(مباداة رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قومه، وَمَا كَانَ مِنْهُمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ فِي الْإِسْلَامِ أَرْسَالًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، حَتَّى فَشَا ذِكْرُ الْإِسْلَامِ بِمَكَّةَ، وَتَحَدَّثَ بِهِ. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ ﷻ أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَهُ مِنْهُ، وَأَنْ يُبَادِيَ النَّاسَ بِأَمْرِهِ، وَأَنْ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَكَانَ بَيْنَ مَا أَخْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرُهُ وَاسْتَتَرَ بِهِ إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِ دِينِهِ ثَلَاثَ سِنِينَ - فِيمَا بَلَغَنِي - مِنْ مَبْعَثِهِ، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ:

﴿فَاصْدَعْ^{٢٢٨} بِمَا تُؤْمَرُ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر ٩٤/١٥)

٢٢٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٦٠.

٢٢٨ قَالَ السَّهْبِيُّ: «وَالْمَعْنَى: اصْدَعْ بِالَّذِي تُؤْمَرُ بِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَدِيَ الْفِعْلُ إِلَى الْهَاءِ حَسَنَ حَذْفِهَا، وَكَانَ الْحَذْفُ هَاهُنَا أَحْسَنَ مِنْ ذِكْرِهَا، لِأَنَّ «مَا» فِيهَا مِنَ الْإِثْمَامِ أَكْثَرُ مِمَّا يَقْتَضِيهِ «الَّذِي». وَقَوْلُهُمْ «مَا» مَعَ الْفِعْلِ بِتَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى «الَّذِي» إِذَا تَأَمَّلْتَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ «الَّذِي» تَصْلَحُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ تَصْلَحُ فِيهِ «مَا» الَّتِي يَسْمُونَهَا الْمَصْدَرِيَّةَ. نَحْوُ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

عَسَى الْإِثْمَامُ أَنْ يَرْجِعَ ... قَوْمًا كَالَّذِي كَانُوا

أَيَّ كَمَا كَانُوا. فَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ»: إِذَا كَانَ يَكُونُ مَعْنَاهُ: بِالَّذِي تُؤْمَرُ بِهِ مِنَ التَّبْلِيغِ



وَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ. وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء ٢١٤-٢١٥) ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾ (الحجر ٨٩/١٥)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: اصْدَعُ: اُفْرِقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ. قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهُذَلِيُّ، وَاسْمُهُ خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ، يَصِفُ أَتَنَ^{٢٢٩} وَحْشٍ وَفَحَلَهَا:

وَكَانَتْهُمْ رِبَابَةٌ وَكَانَهُ ... يَسْرُ يُفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ^{٢٣٠}

أَيُّ يُفَرِّقُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيُيَسِّنُ أَنْصِبَاءَهَا. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ رُوْبَةُ ابْنِ الْعَجَّاجِ:

أَنْتَ الْحَلِيمُ وَالْأَمِيرُ الْمُتَّقِمُ ... تَصْدَعُ بِالْحَقِّ وَتَنْفِي مَنْ ظَلِمَ

وَنَحْوَهُ، وَإِنَّمَا أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ: اصْدَعُ بِالْأَمْرِ الَّذِي تَوْمَرُهُ، كَمَا تَقُولُ: عَجِبْتُ ... مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي تَضْرِبُهُ، فَتَكُونُ «مَا» هَاهُنَا عِبَارَةً عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ أَمْرُ اللَّهِ تَعَالَى، وَلَا يَكُونُ لِلْبَاءِ فِيهِ دُخُولٌ وَلَا تَقْدِيرٌ. وَعَلَى الْوُجْهِ الْأَوَّلِ تَكُونُ «مَا» مَعَ صِلَتِهَا عِبَارَةً عَمَّا هُوَ فَعْلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ. وَالْأَطْهَرُ أَنَّهَا مَعَ صِلَتِهَا، عِبَارَةٌ عَنِ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ قَوْلُ اللَّهِ وَوَحْيِهِ، بِدَلِيلِ حَذْفِ الْهَاءِ الرَّاجِعَةِ إِلَى مَا، وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى الَّذِي فِي الْوُجْهِينِ جَمِيعًا، إِلَّا أَنَّكَ إِذَا أَرَدْتَ مَعْنَى الْأَمْرِ لَمْ تَحْذَفِ إِلَّا الْهَاءَ وَحْدَهَا، وَإِذَا أَرَدْتَ مَعْنَى الْمَأْمُورِ بِهِ حَذَفْتَ بَاءَ وَهَاءَ، فَحَذَفَ وَاحِدَ آيَسِرَ مِنْ حَذْفِهِ، مَعَ أَنْ صَدَعَهُ وَبَيَّانَهُ إِذَا عُلِقَتْهُ بِأَمْرِ اللَّهِ وَوَحْيِهِ كَانَ حَقِيقَةً، وَإِذَا عُلِقَتْهُ بِالْفِعْلِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ كَانَ مَجَازًا، وَإِذَا صَرَحْتَ بِلَفْظِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ حَذْفَهَا بِذَلِكَ الْحَسَنِ، وَتَأَمَّلْ فِي الْقُرْآنِ تَجَدُّهُ كَذَلِكَ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ» (البقرة ٢/٣٣) وَإِنَّمَا كَانَ الْحَذْفُ مَعَ «مَا» أَحْسَنَ لِمَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ إِبْهَامِهَا، فَالَّذِي فِيهَا مِنَ الْإِبْهَامِ قَرَبَهَا مِنْ «مَا» الَّتِي هِيَ لِلشَّرْطِ لَفْظًا وَمَعْنَى.

٢٢٩ الأتن: جمع أتان، وهي الأنثى من الحِمْزِ.

٢٣٠ الرِبَابَةُ (بِكسْرِ الرَّاءِ): خَرْقَةٌ تَلْفُ فِيهَا الْقِدَاحُ. وَتَكُونُ أَيْضًا جِلْدًا. وَالْيَسْرُ: الَّذِي يَدْخُلُ فِي الْمَيْسِرِ.

وَالْقِدَاحُ: جَمْعُ قَدَحٍ، وَهُوَ السَّهْمُ.



وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَرْجُورَةٍ لَهُ. ٢٣١

(إِظْهَارُ قَوْمِهِ ﷺ الْعَدَاوَةَ لَهُ، وَحَدْبُ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَادَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ - فِيمَا بَلَغَنِي - حَتَّى ذَكَرَ آلِهِتَهُمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ أَعْظَمُوهُ وَنَاكَرُوهُ، وَأَجْمَعُوا خِلَافَهُ وَعَدَاوَتَهُ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ، وَهُمْ قَلِيلٌ مُسْتَخْفُونَ، وَحَدِبَ ٢٣٢ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُونَهُ، وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ، لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ. فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يَعْتَبُهُمْ ٢٣٣ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ، مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهِتِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ، وَقَامَ دُونَهُ، فَلَمْ يُسَلِّمْنَاهُ لَهُمْ، مَشَى رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طَالِبٍ، عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ. وَأَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرِ... ٢٣٤

٢٣١ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٦٢-٢٦٣.

٢٣٢ أصل الحدب: الانحناء في الظهر، ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له، كما قال النَّابِغَةُ:

حدبت على بطون ضبة كلها... إن ظالمًا فيهم وإن مظلوما

وقد يكون الحدب أيضا مُسْتَعْمَلًا فِي مَعْنَى الْمُخَالَفَةِ إِذَا قَرِنَ بِالْقَعْسِ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

وإن حدبوا فاقعس وإن هم تقاعسوا... ليتزعوا ما خلف ظهرك فاحذب

٢٣٣ لا يعتبهم من شيء: أي لا يرؤسهم، يُقَالُ: اسْتَعْتَبَنِي فَأَعْتَبْتَهُ: أَيِ أَرْضَيْتَهُ وَأَزَلْتَ الْعِتَابَ عَنْهُ.

٢٣٤ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٦٤.



تَحْيِرُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِيمَا يَصِفُ بِهِ الْقُرْآنُ

ثُمَّ إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَقَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانَ ذَا سِنٍّ فِيهِمْ، وَقَدْ حَضَرَ
الْمُوسِمَ فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّهُ قَدْ حَضَرَ هَذَا الْمَوْسِمَ، وَإِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ سَتَقْدَمُ
عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَقَدْ سَمِعُوا بِأَمْرِ صَاحِبِكُمْ هَذَا، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْيًا وَاحِدًا، وَلَا تَخْتَلِفُوا
فَيَكْذِبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَيَرُدَّ قَوْلَكُمْ بَعْضُهُ بَعْضًا، قَالُوا: فَأَنْتَ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ، فَقُلْ
وَأَقِمْ لَنَا رَأْيًا نَقُولُ بِهِ، قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ فَقُولُوا أَسْمَعُ، قَالُوا: نَقُولُ كَاهِنٌ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ
مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الْكُهَّانَ فَمَا هُوَ بِزِمْرَمَةٍ^{٢٣٥} الْكَاهِنِ وَلَا سَجْعِهِ، قَالُوا: فَتَقُولُ:
مَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ. لَقَدْ رَأَيْنَا الْجُنُونَ وَعَرَفْنَاهُ، فَمَا هُوَ بِخَنَقِهِ، وَلَا تَخَالِجِهِ،
وَلَا وَسْوَستِهِ، قَالُوا: فَتَقُولُ: شَاعِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، لَقَدْ عَرَفْنَا الشُّعْرَ كُلَّهُ رَجَزَهُ
وَهَزَجَهُ وَقَرِيضَهُ وَمَقْبُوضَهُ وَمَيْسُوطَهُ، فَمَا هُوَ بِالشُّعْرِ، قَالُوا: فَتَقُولُ: سَاحِرٌ، قَالَ:

مَا هُوَ بِسَاحِرٍ، لَقَدْ رَأَيْنَا الشُّحَارَ وَسِحْرَهُمْ، فَمَا هُوَ بِنَفْثِهِمْ وَلَا عَقْدِهِمْ،^{٢٣٦} قَالُوا:
فَمَا تَقُولُ يَا أَبَا عَبْدِ شَمْسٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعْدِقُ^{٢٣٧}، وَإِنَّ
فَرْعَهُ لَجَنَآةٌ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ لَعْدِقُ^{٢٣٨} - وَمَا أَنْتُمْ بِقَائِلِينَ مِنْ هَذَا شَيْئًا إِلَّا عَرَفَ
أَنَّهُ بَاطِلٌ، وَإِنَّ أَقْرَبَ الْقَوْلِ فِيهِ لِأَنْ تَقُولُوا سَاحِرٌ، جَاءَ بِقَوْلٍ هُوَ سِحْرٌ يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ
الْمَرْءِ وَأَبِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْجَتِهِ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَعَشِيرَتِهِ. فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ

٢٣٥ الزمزمة: الكلام الخلفي الذي لا يسمع.

٢٣٦ إشارة إلى ما كان يفعل السَّاحِرُ بِأَنْ يُعْقِدَ خِيَطًا ثُمَّ يَنْفِثَ فِيهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» (الفلق ٤/١١٣) يَعْنِي السَّاحِرَاتِ.

٢٣٧ العدق (بِالْفَتْحِ): النَّخْلَةُ. يُشَبَّهُهُ بِالنَّخْلَةِ الَّتِي ثَبَتَ أَصْلُهَا وَقَوَى وَطَابَ فَرْعُهَا إِذَا جَنَى.

٢٣٨ الغدق: الماء الكثير. وَمِنْهُ يُقَالُ: غَدِيقُ الرَّجُلِ: إِذَا كَثُرَ بَصَاقُهُ. وَكَانَ أَحَدُ أَجْدَادِ النَّبِيِّ ﷺ يُسَمَّى الْغَدِيقَ، لِكَثْرَةِ عَطَاةِ.

بَذَلِكْ، فَجَعَلُوا يَجْلِسُونَ بِسَبْلِ النَّاسِ حِينَ قَدِمُوا الْمَوْسِمَ، لَا يَمُرُّ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا حَدَّرُوهُ
إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُمْ أَمْرُهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَفِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:
﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا، وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا، وَمَهَّدْتُ لَهُ
تَمْهِيدًا ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾ (المدثر ٧٤/١١-١٦) أَيَّ خَصِيمًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَنِيدٌ: مُعَانِدٌ مُخَالِفٌ. قَالَ رُوْبِيَةُ بِنْتُ الْعَجَّاجِ:

وَنَحْنُ صَرَائِبُونَ رَأْسَ الْعُنْدِ^{٢٣٩}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

﴿سَأَرْهَقُهُ صُعُودًا، إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ. ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ

عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ (المدثر ٧٤/١٧-٢٢)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَسَرَ: كَرِهَ وَجْهَهُ. قَالَ الْعَجَّاجُ:

مُضَبَّرُ اللَّحْيَيْنِ بَسْرًا مِنْهَسًا^{٢٤٠}

يَصِفُ كَرَاهِيَةَ وَجْهِهِ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ:

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ، إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر

٧٤/٢٣-٢٥)

٢٣٩ في استشهاد ابن هشام ببيت رؤية عقب تفسيره لكلمة «العنيد» ما يشعر بأن «عند» جمع «لعنيد».

والذي في اللسان والراغب أن عند: جمع لعاند، وهي مائة.

٢٤٠ المضرب: الشديد الخلق. واللحيان: العظامان اللذان في الوجه، والمنهس: الذي يأخذ اللحم بمقدم أسنانه، وقد

روى هذا البيت في اللسان (مادتي ضرب ونهس) هكذا: مضرب اللحين نسرا منهسا

ونسبه ابن منظور في مادة (نهس) للعجاج، قال: «...وفي الحديث: أنه أخذ عظاما منهس ما عليه من

اللحم» أي أخذه فيه، ونسر منهس. قال العجاج ثم ساق البيت.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى^{٢٤١} فِي النَّفَرِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ يُصَنِّفُونَ الْقَوْلَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفِيمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ. الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ. فَو رَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر ١٥ / ٩٠-٩٣)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاحِدَةُ الْعِضِينَ: عِصَّةٌ، يَقُولُ: عَصَوْهُ: فَرَّقُوهُ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ: وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بِالْمَعْصِي وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أُرْجُوزَةٍ لَهُ.^{٢٤٢}

(شِعْرُ أَبِي طَالِبٍ فِي اسْتِعْطَافِ قُرَيْشٍ):

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلْحٍ بِبَاطِلٍ^{٢٤٣}

(ذِكْرُ لُقَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشًا أَصَابُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيمَا كَانُوا يُظْهِرُونَ مِنْ عَدَاوَتِهِ؟ قَالَ: حَضَرْتُهُمْ، وَقَدْ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْمًا فِي الْحَجْرِ، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ، سَفَهَ أَحْلَامَنَا، وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا

٢٤١ وفي سائر الأصول: «أنزل الله تعالى في رسول الله ﷺ، وفيما جاء به من الله تعالى و... إلخ».

٢٤٢ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٧٠-٢٧٢.

٢٤٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٧٣.

مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، أَوْ كَمَا قَالُوا: فَبَيْنَا هُمْ فِي ذَلِكَ إِذْ طَلَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ يَمْشِي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ، ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفًا بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ^{٢٤٤} بِبَعْضِ الْقَوْلِ. قَالَ: فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ مَضَى، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمْ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ الثَّلَاثَةَ فَعَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا، فَوَقَفَ، ثُمَّ قَالَ: أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَّا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ. قَالَ: فَأَخَذْتُ الْقَوْمَ كَلِمَتَهُ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَتْمَا عَلَى رَأْسِهِ طَائِرٌ وَاقِعٌ، حَتَّى إِنَّ أَشَدَّهُمْ فِيهِ وَصَاةً^{٢٤٥} قَبْلَ ذَلِكَ لَيَرَفُوهُ^{٢٤٦} بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ:

انصَرَفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا. قَالَ: فَانصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَدَا اجْتَمَعُوا فِي الْحِجْرِ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ذَكَرْتُمْ مَا بَلَغَ مِنْكُمْ، وَمَا بَلَغَكُمْ عَنْهُ، حَتَّى إِذَا بَادَاكُمْ بِمَا تَكْرَهُونَ تَرَكْتُمُوهُ. فَبَيْنَمَا هُمْ فِي ذَلِكَ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَثَبُوا إِلَيْهِ وَثَبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَأَحَاطُوا بِهِ، يَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، لِمَا كَانَ يَقُولُ مِنْ عَيْبِ آلِهَتِهِمْ وَدِينِهِمْ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ: أَنَا الَّذِي أَقُولُ ذَلِكَ. قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا مِنْهُمْ أَخَذَ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ. قَالَ: فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ دُونَهُ، وَهُوَ يَبْكِي وَيَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ؟ ثُمَّ انصَرَفُوا عَنْهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِأَشَدُّ مَا رَأَيْتُ قُرَيْشًا نَالُوا مِنْهُ قَطُّ^{٢٤٧}.

٢٤٤ غَمَزُوهُ: طعنوا فيه.

٢٤٥ الوصاية: الوصية.

٢٤٦ يرفؤه: يهدئه ويسكنه ويرفق به ويدعو له.

٢٤٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٨٩-٢٩٠.

(أَشَدُّ مَا أُوذِيَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ أَشَدَّ مَا لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا فَلَمْ يَلْقَهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا كَذَّبَهُ وَأَذَاهُ، لَا حُرٌّ وَلَا عَبْدٌ، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَتَدَثَّرَ مِنْ شِدَّةِ مَا أَصَابَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ، قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ (المدثر ١/٧٤ - ٢/٢٤٨)

٢٤٨ قَالَ السَّهِيلِيُّ: «قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: فِي تَسْمِيَّتِهِ إِيَّاهُ بِالْمُدَّثِّرِ فِي هَذَا الْمَقَامِ مِلَاطِفَةٌ وَتَأْنِيسٌ، وَمِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا قَصَدَتِ الْمِلَاطِفَةَ أَنْ تَسْمِيَ الْمُخَاطَبَ بِاسْمِ مُشْتَقٍّ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، كَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِحَدِيقَةَ: قُمْ يَا نومان. وَقَوْلُهُ لَعْلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ تَرَبَّ جَنْبَهُ قُمْ أَبَا ثُرَابٍ. فَلَوْ نَادَاهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكُرْبِ بِاسْمِهِ، أَوْ بِالْأَمْرِ الْمُجَرَّدِ مِنْ هَذِهِ الْمِلَاطِفَةِ هَالَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا بُدِيَ بـ"يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ" أَنَسَ، وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ رَاضٍ عَنْهُ، لَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ عِنْدَ مَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شِدَّةِ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ مَا لَقِيَ: رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي. إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ، فَكَانَ مَطْلُوبَةً رِضَا رَبِّهِ، وَبِهِ كَانَتْ تَهْوُنُ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ. ثُمَّ قَالَ: «فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ يَنْتَظِمُ «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» مَعَ قَوْلِهِ: «قُمْ فَأَنْذِرْ»؟ وَمَا الرِّابِطُ بَيْنَ الْمُعْنَيْنِ حَتَّى يَلْتَمِثَا فِي قَانُونِ الْبَلَاغَةِ، وَيَتَشَاكِلَا فِي حُكْمِ الْفَصَاحَةِ؟ قُلْنَا: مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ حِينَ قَالَ: أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. وَهُوَ مِثْلُ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، يُقَالُ لِمَنْ أَنْذَرَ بِقَرْبِ الْعُدُوِّ، وَبَالَغَ فِي الْإِنْذَارِ: هُوَ النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ. وَذَلِكَ أَنَّ النَّذِيرَ الْجَادَ يَجْرَدُ ثَوْبَهُ، وَهُوَ يُشِيرُ بِهِ إِذَا خَافَ أَنْ يَسْبِقَ الْعُدُوُّ صَوْتَهُ. وَقَدْ قِيلَ: إِنْ أَصْلُ الْمَثَلِ لِرَجُلٍ مِنْ خَشَعٍ، سَلَبَهُ الْعُدُوُّ ثَوْبَهُ، وَقَطَعُوا يَدَهُ، فَأَنْطَلَقَ إِلَى قَوْمِهِ نَذِيرًا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ أَيُّ مِثْلِي مِثْلُ ذَلِكَ. وَالنَّذِيرُ بِالثِّيَابِ، مُضَادٌّ لِلتَّعْرِى، فَكَانَ فِي قَوْلِهِ: «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ» مَعَ قَوْلِهِ «قُمْ فَأَنْذِرْ»، وَالنَّذِيرُ الْجَادُ يُسَمَّى الْعُرْيَانُ، تَشَاكُلَ بَيْنَ وَالتَّامِّ بَدِيعٍ، وَسِيَاقَةٍ فِي الْمَعْنَى، وَجَزَالَةٍ فِي اللَّفْظِ». (السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٢٩١).

(قَوْلُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ فِي أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: حَدَّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمُهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيُّهَا شَاءَ، وَيَكْفُ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمُهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنَ السُّطَةِ^{٢٤٩} فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ آتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ فَرَقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعَبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا بَنَ أَخِي، إِنْ كُنْتُ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثْيًا^{٢٥٠} تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطَّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِتَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ^{٢٥١} عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوِيَ مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ

٢٤٩ والسطة: الشرف.

٢٥٠ الرئي (يَفْتَحُ الرِّاءَ وَكَسَرَهَا): مَا يَتَرَأَى لِلْإِنْسَانِ مِنَ الْجَنِّ.

٢٥١ التَّابِعُ: مَنْ يَتَّبِعُ النَّاسَ مِنَ الْجِنِّ.

﴿يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.﴾

﴿حَم. تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ (فصلت ٤١ / ٥-١)

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهَا يَقْرُؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُبَيْتٌ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ.

فَقَامَ عُبَيْتٌ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَخْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ:

وَرَأَيْتُ أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسَّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَاعْتَرَلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِّيْتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرُ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ. ٢٥٢

(مَا دَارَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ، وَتَفْسِيرُ لِسُورَةِ الْكَهْفِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ الْإِسْلَامَ جَعَلَ يَفْشُو بِمَكَّةَ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ فِي الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَقُرَيْشٌ تَحْسِبُ مَنْ قَدَرَتْ عَلَى حَبْسِهِ، وَتَفْتِنُ مَنْ اسْتَطَاعَتْ فَتْنَتَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ إِنَّ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ، كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، وَعَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

اجْتَمَعَ عَتَبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَسَيِّئَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدَّارِ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْعَاصِ بْنُ وَائِلٍ، وَنَبِيَّةُ وَنُبَّةُ ابْنَا الْحَجَّاجِ السَّهْمِيَّانِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، أَوْ مَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ. قَالَ: اجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا فِيهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ: إِنَّ أَشْرَافَ قَوْمِكَ قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ لِيُكَلِّمُوكَ، فَأَتَيْهِمْ، فَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ قَدْ بَدَأَ لَهُمْ فِيمَا كَلَّمَهُمْ فِيهِ بَدَاءً، وَكَانَ عَلَيْهِمْ حَرِيصًا يُحِبُّ رُشْدَهُمْ، وَيَعِزُّ عَلَيْهِ عَتَبَتُهُمْ^{٢٥٣}، حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ لِنُكَلِّمَكَ، وَإِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَذْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَذْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ شَتَمْتَ الْأَبَاءَ، وَعَبْتَ الدِّينَ، وَشَتَمْتَ الْأَلِهَةَ، وَسَفَهْتَ الْأَحْلَامَ، وَفَرَقْتَ الْجَمَاعَةَ، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إِلَّا قَدْ جِئْتَهُ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ - أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ - فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ

أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشَّرَفَ فِينَا، فَتَحْنُ سُودُكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَتَكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِثِيًّا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ - وَكَانُوا يُسَمُّونَ التَّابِعَ مِنَ الْحِنْ رِثِيًّا - فَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ، بَدَلْنَا لَكَ أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطُّبِّ لَكَ حَتَّى تُبْرِتَكَ مِنْهُ، أَوْ نُعَذِّرَ فِيكَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقَبَّلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ. قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَإِنْ كُنْتَ غَيْرَ قَابِلٍ مِنَّا شَيْئًا مِمَّا عَرَضْنَاهُ عَلَيْكَ فَإِنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ أَضْيَقُ بَلَدًا، وَلَا أَقَلَّ مَاءً، وَلَا أَشَدَّ عَيْشًا مِنَّا، فَسَلْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ بِمَا بَعَثَكَ بِهِ، فَلْيُسِّرْ عَنَّا هَذِهِ الْجِبَالَ الَّتِي قَدْ صَيَّقَتْ عَلَيْنَا، وَلْيُسِطْ لَنَا بِلَادَنَا، وَلْيَفْجُرْ لَنَا فِيهَا أَنْهَارًا كَأَنْهَارِ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَلْيَبْعَثْ لَنَا مِنْ مَضَى مِنْ آبَائِنَا، وَلْيَكُنْ فِيْمَنْ يُبْعَثْ لَنَا مِنْهُمْ قُصِيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخَ صِدْقٍ، فَنَسْأَلُهُمْ عَمَّا تَقُولُ: أَحَقُّ هُوَ أَمْ بَاطِلٌ، فَإِنْ صَدَّقُوكَ وَصَنَعْتَ مَا سَأَلْنَاكَ صَدَقْنَاكَ، وَعَرَفْنَا بِهِ مَنْزِلَتَكَ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ بَعَثَكَ رَسُولًا كَمَا تَقُولُ. فَقَالَ لَهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: مَا بِهِذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ، إِنَّمَا جِئْتُكُمْ مِنَ اللَّهِ بِمَا بَعَثَنِي بِهِ، وَقَدْ بَلَّغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَإِنْ تَقَبَّلُوهُ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، قَالُوا: فَإِذَا لَمْ تَفْعَلْ هَذَا لَنَا، فَخُذْ لِنَفْسِكَ، سَلْ رَبَّكَ أَنْ يَبْعَثَ مَعَكَ مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بِمَا تَقُولُ، وَتُرَاجِعُنَا عَنْكَ وَسَلُّهُ فَلْيَجْعَلْ لَكَ جَنَانًا

وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ يُعْنِيكَ بِهَا عَمَّا تَرَكَ تَبْتَغِي، فَإِنَّكَ تَقُومُ بِالْأَسْوَاقِ
كَمَا تَقُومُ، وَتَلْتَمِسُ الْمَعَاشَ كَمَا تَلْتَمِسُهُ، حَتَّى نَعْرِفَ فَضْلَكَ وَمَنْزِلَتَكَ مِنْ رَبِّكَ إِنْ
كُنْتَ رَسُولًا كَمَا تَزْعُمُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ، وَمَا أَنَا بِالَّذِي يَسْأَلُ
رَبَّهُ هَذَا، وَمَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ بِهِذَا، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بَشِيرًا وَنَذِيرًا - أَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ
تَقَبَّلُوا مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ
حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَالُوا: فَاسْقِطُ السَّمَاءَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا كَمَا زَعَمْتَ أَنَّ رَبَّكَ
إِنْ شَاءَ فَعَلَّ، فَإِنَّا لَا نُؤْمِنُ لَكَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ذَلِكَ إِلَى
اللَّهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَّ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَفَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ
وَسَنَسْأَلُكَ عَمَّا سَأَلْنَاكَ عَنْهُ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ مَا نَطْلُبُ، فَيَتَقَدَّمَ إِلَيْكَ فَيَعْلَمَكَ مَا تَرَا جِئْنَا
بِهِ، وَيُخْبِرُكَ مَا هُوَ صَانِعٌ فِي ذَلِكَ بِنَا، إِذْ لَمْ نَقْبَلْ مِنْكَ مَا جِئْنَا بِهِ! إِنَّهُ قَدْ بَلَغْنَا أَنَّكَ
إِنَّمَا يُعْلَمُكَ هَذَا رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِالرَّحْمَنِ أَبَدًا،
فَقَدْ أَعْدَرْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَإِنَّا وَاللَّهِ لَا نَتْرُكَكَ وَمَا بَلَغْتَ مِنَّا حَتَّى نَمْلِكَكَ، أَوْ
تُهْلِكَنَا. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ. وَقَالَ قَائِلُهُمْ: لَنْ نُؤْمِنَ
لَكَ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا... ٢٥٤

(مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ):

وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ، وَمِمَّنْ كَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَيَنْصِبُ لَهُ الْعَدَاوَةَ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ الْحِيرَةَ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرْسِ،
وَأَحَادِيثَ رُسْتَمَ وَاسِنِدِيَارَ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا فَذَكَرَ فِيهِ بِاللَّهِ،

وَحَدَّرَ قَوْمَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ مِنْ نِقْمَةِ اللَّهِ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، ثُمَّ قَالَ: أَنَا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، فَهَلُمَّ إِلَيَّ، فَأَنَا أُحَدِّثُكُمْ أَحْسَنَ مِنْ حَدِيثِهِ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتَمَ وَاسْبِنْدِيَارَ، ثُمَّ يَقُولُ: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي؟

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيْمَا بَلَغَنِي: ﴿...سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ (الأنعام ٩٣/٦) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ، فِيْمَا بَلَغَنِي: نَزَلَ فِيهِ ثَمَانِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ: قَوْلُ اللَّهِ ﷻ:

﴿إِذَا تَلَّيْنَا عَلَيْكَ آيَاتِنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القلم ١٥/٦٨)

وَكُلُّ مَا ذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْأَسَاطِيرِ مِنَ الْقُرْآنِ. ٢٥٥

(أُرْسِلَتْ قُرَيْشُ النَّضْرُ وَابْنُ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ يَسْأَلَانِهِمْ عَنْ مُحَمَّدٍ ﷺ)

فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بَعَثُوهُ، وَبَعَثُوا مَعَهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ إِلَى أَحْبَارِ يَهُودَ بِالْمَدِينَةِ، وَقَالُوا لَهُمَا: سَلَاهُمَا عَنْ مُحَمَّدٍ، وَصِفَا لَهُمَا صِفَتَهُ، وَأَخْبِرَاهُمَا بِقَوْلِهِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعِنْدَهُمْ عِلْمٌ لَيْسَ عِنْدَنَا مِنْ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، فَخَرَجَا حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ، فَسَأَلَا أَحْبَارَ يَهُودَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَوَصَفَا لَهُمَا أَمْرَهُ، وَأَخْبِرَاهُمَا بِبَعْضِ قَوْلِهِ، وَقَالَا لَهُمَا: إِنَّكُمْ أَهْلُ التَّوْرَةِ، وَقَدْ جِئْتَاكُمْ لِتُخْبِرُونَا عَنْ صَاحِبِنَا هَذَا، فَقَالَتْ لَهُمَا أَحْبَارُ يَهُودَ: سَلُوهُ عَنْ ثَلَاثٍ نَأْمُرُكُمْ بِهِنَّ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيُّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوْا فِيهِ رَأْيَكُمْ. سَلُوهُ عَنْ فِتْنَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ

الْأَوَّلِ مَا كَانَ أَمْرُهُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ لَهُمْ حَدِيثٌ عَجَبٌ، وَسَلَّوَهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا مَا كَانَ نَبُّوهُ، وَسَلَّوَهُ عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؟ فَإِذَا أَخْبَرَكُمْ بِذَلِكَ فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَهُوَ رَجُلٌ مُتَقَوِّلٌ، فَاصْنَعُوا فِي أَمْرِهِ مَا بَدَأَ لَكُمْ. فَأَقْبَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ بْنُ أَبِي عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ قُصَيٍّ حَتَّى قَدَمَا مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، قَدْ جِئْنَاكُمْ بِفَصْلِ مَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ، قَدْ أَخْبَرَنَا أَخْبَارُ يَهُودَ أَنْ نَسَّأَلَهُ عَنْ أَشْيَاءَ أَمْرُونَا بِهَا، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ عَنْهَا فَهُوَ نَبِيٌّ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَالْرَّجُلُ مُتَقَوِّلٌ، فَرَوَا فِيهِ رَأْيَكُمْ.

فَجَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبَرْنَا عَنْ فُتَيْةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الْأَوَّلِ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ قِصَّةٌ عَجَبٌ، وَعَنْ رَجُلٍ كَانَ طَوَّافًا قَدْ بَلَغَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَخْبَرَنَا عَنِ الرُّوحِ مَا هِيَ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَشِنْ^{٢٥٦}، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ. فَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - خَمْسَ عَشْرَةَ^{٢٥٧} لَيْلَةً لَا يُحَدِّثُ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ وَحْيًا، وَلَا يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ، حَتَّى أَرْجَفَ^{٢٥٨} أَهْلُ مَكَّةَ، وَقَالُوا: وَعَدَنَا مُحَمَّدٌ غَدًا، وَالْيَوْمَ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، قَدْ أَصْبَحْنَا مِنْهَا لَا يُخْبِرُنَا بِشَيْءٍ مِمَّا سَأَلْنَاهُ عَنْهُ، وَحَتَّى أَحْزَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكْثَ الْوَحْيِ عَنْهُ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ أَهْلُ مَكَّةَ: ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ مِنَ اللَّهِ ﷻ بِسُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ،

٢٥٦ يُريد: لم يقل «إِنْ شَاءَ اللَّهُ».

٢٥٧ وَفِي سِيرِ التَّيَمِّيِّ وَمُوسَى بْنِ عَقْبَةَ: إِنَّ الْوَحْيَ إِنَّمَا أَبْطَأَ عَنْهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ الْكَهْفِ. (رَاجِعِ الرَّوْضَ).

٢٥٨ أَرْجَفَ الْقَوْمَ: خَاضُوا فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ، وَذَكَرَ الْفِتَنَ عَلَى أَنْ يَوْقَعُوا فِي النَّاسِ الْإِضْطِرَابَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِحَّ عَنْدهُمْ شَيْءٌ.

فِيهَا مُعَاتَبَتُهُ إِيَّاهُ عَلَى حُزْنِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَبِرَ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْفِتْيَةِ، وَالرَّجُلِ
الطَّوَافِ، وَالرُّوحِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ حِينَ جَاءَهُ: لَقَدْ اخْتَبَسْتَ
عَنِّي يَا جِبْرِيلُ حَتَّى سُوْتُ ظَنًّا، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ:

﴿وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ، لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ
نَسِيًّا﴾ (مريم ١٩ / ٦٤)

فَافْتَتَحَ السُّورَةَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِحَمْدِهِ وَذَكَرَ ثُبُوتَ رَسُولِهِ، لِمَا أَنْكَرُوهُ عَلَيْهِ مِنْ
ذَلِكَ، فَقَالَ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا ﷺ، إِنَّكَ رَسُولٌ مِنِّي:
أَيُّ تَحْقِيقٍ لِمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ثُبُوتِكَ.

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا﴾ أَيُّ مُعْتَدِلًا، لَا اخْتِلَافَ فِيهِ.

﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾ أَيُّ عَاجِلٍ عُقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا. وَعَذَابًا أَلِيمًا فِي
الْآخِرَةِ: أَيُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ الَّذِي بَعَثَ رَسُولًا.

﴿وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَا كَثِيرٌ فِيهِ
أَبْدًا﴾ أَيُّ دَارِ الْخُلْدِ. لَا يَمُوتُونَ فِيهَا الَّذِينَ صَدَّقُوا بِمَا جِئَتْ بِهِ مِمَّا كَذَبَكَ بِهِ
غَيْرُهُمْ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرْتَهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ يَعْنِي فُرَيْشًا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ،
وَهِيَ بَنَاتُ اللَّهِ.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِابَائِهِمْ﴾ الَّذِينَ أَعْظَمُوا فِرَاقَهُمْ وَعَيَّبَ دِينَهُمْ.

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ أَيُّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ.

﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ

يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ١٨ / ١-٦) أَيُّ لِحُزْنِهِ عَلَيْهِمْ حِينَ فَاتَهُ مَا كَانَ يَرْجُو مِنْهُمْ: أَيُّ لَا تَفْعَلْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَاخِعٌ نَفْسَكَ، أَيُّ مُهْلِكٌ نَفْسَكَ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ. قَالَ ذُو الرُّمَّة:

أَلَا أَيُّهَذَا الْبَاخِعُ الْوَجْدُ نَفْسَهُ ... لِشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ.

وَجَمْعُهُ: بَاخِعُونَ وَبَخَعَةٌ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ بَخَعْتُ لَهُ نَفْسِي وَنَفْسِي، أَيُّ جَهَدْتُ لَهُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الكهف ١٨ / ٧)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيُّ أَيُّهُمْ أَتَّبِعُ لِأَمْرِي، وَأَعْمَلُ بِطَاعَتِي.

﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ (الكهف ١٨ / ٨)

أَيُّ الْأَرْضِ، وَإِنَّ مَا عَلَيْهَا لَفَانٍ وَزَائِلٌ، وَإِنَّ الْمَرْجِعَ إِلَيَّ، فَأَجْزِي كُلًّا بِعَمَلِهِ، فَلَا تَأْسَ وَلَا يَحْزُنْكَ مَا تَسْمَعُ وَتَرَى فِيهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الصَّعِيدُ: الْأَرْضُ، وَجَمْعُهُ: صُعْدٌ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ ظَبْيًا صَغِيرًا:

كَأَنَّهُ بِالضُّحَى تَرْمِي الصَّعِيدَ بِهِ ... دَبَابَةٌ فِي عِظَامِ الرَّأْسِ خُرْطُومٌ^{٢٥٩}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالصَّعِيدُ (أَيْضًا): الطَّرِيقُ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِيَّاكُمْ وَالْقُعُودَ عَلَى الصُّعَدَاتِ». يُرِيدُ الطَّرِيقَ.

وَالْجُرْزُ: الْأَرْضُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ شَيْئًا، وَجَمْعُهَا: أَجْرَازُ. وَيُقَالُ: سَنَةٌ جُرْزٌ، وَسُنُونَ أَجْرَازٌ، وَهِيَ الَّتِي لَا يَكُونُ فِيهَا مَطَرٌ، وَتَكُونُ فِيهَا جُدُوبَةٌ وَيُبْسٌ وَشِدَّةٌ. قَالَ ذُو الرِّمَّةِ يَصِفُ إِبِلًا:

طوى النحر^{٢٦٠} وَالْأَجْرَازُ مَا فِي بَطُونِهَا ... فَمَا بَقِيَتْ إِلَّا الصُّلُوعُ الْجَرَاشِعُ^{٢٦١}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَ قِصَّةَ الْخَبَرِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ شَأْنِ الْفِتْيَةِ، فَقَالَ:
﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ (الكهف ١٨/٩)
أَيَّ قَدْ كَانَ مِنْ آيَاتِي فِيمَا وَضَعْتُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ حُجَجِي مَا هُوَ أَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالرَّقِيمُ: الْكِتَابُ الَّذِي رُفِعَ فِيهِ بِخَبَرِهِمْ^{٢٦٢}، وَجَمْعُهُ: رُقَمٌ.
قَالَ الْعَجَّاجُ: وَمُسْتَقَرُّ الْمُصْحَفِ الْمُرَقَّمِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أُجُوزَةٍ لَهُ.

٢٦٠ والنحر: النخس.

٢٦١ الجراشع: المتفخة المتسعة، وإحدها: جرشع.

٢٦٢ كما قيل بأن الرقيم هو اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، أو اسم القرية التي كانوا فيها، كما قيل بأنه الدواة، حكاه ابن دُرَيْد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا. فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا. ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِئُوا أَمَدًا﴾ (الكهف ١٨/ ١٠-١٢)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ...﴾ أَيِ بَصْدِقِ الْخَبَرِ عَنْهُمْ
﴿...إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى، وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا، لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾ (الكهف ١٨/ ١٣-١٤)
أَيِ لَمْ يُشْرِكُوا بِي كَمَا أَشْرَكْتُمْ بِي مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالشَّطَطُ: الْغُلُوُّ وَمُجَاوَزَةُ الْحَقِّ. قَالَ أَعَشَى بَنِي قَيْسِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ:
لَا يَنْتَهُونَ وَلَا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ ... كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿هُؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ (الكهف ١٨/ ١٥)
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيِ بِحُجَّةٍ بِالْغَةِ.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا. وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا
إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا. وَتَرَى الشَّمْسَ
إِذَا طَلَعَتْ تَتَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، وَهُمْ فِي
فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ (الكهف ١٨/ ١٥-١٧)



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَزَاوَرُ: تَمِيلُ، وَهُوَ مِنَ الزُّورِ. وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حَجْرٍ:
وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمْلَكًا ... بِسِيرٍ تَرَى مِنْهُ الْفَرَانِقَ أَزَوْرًا^{٢٦٣}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ أَبُو الزَّحَفِ الْكَلْبِيُّ يَصِفُ بَلَدًا:
جَأْبُ الْمُنْدَى عَنْ هَوَانَا أَزَوْرٌ ... يُنْضِي الْمَطَايَا خِمْسُهُ الْعَشْنَزُرُ^{٢٦٤}
وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.
﴿وَتَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ تَجَاوَزَهُمْ وَتَتْرُكُهُمْ عَنْ شِمَالِهَا. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:
إِلَى ظُعْنٍ يَقْرِضُنَ أَقْوَارَ مُشْرِفٍ ... شِمَالًا وَعَنْ أَيْمَانِهِنَّ الْفَوَارِسُ^{٢٦٥}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.
وَالْفَجْوَةُ: السَّعَةُ، وَجَمْعُهَا: الْفَجَاءُ. قَالَ الشَّاعِرُ:
أَلْبَسْتُ قَوْمَكَ مَخْرَآةً وَمَنْقَصَةً ... حَتَّى أُبَيِّحُوا وَخَلَّوْا فَجْوَةَ الدَّارِ
﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ أَيُّ فِي الْحُجَّةِ عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ أُمُورِهِمْ مِنْ
أَهْلِ الْكِتَابِ، مِمَّنْ أَمَرَ هَؤُلَاءِ بِمَسْأَلَتِكَ عَنْهُمْ فِي صِدْقِ نُبُوتِكَ بِتَحْقِيقِ الْخَبَرِ
عَنْهُمْ.

٢٦٣ الفرانق: الذي يسير بالكنب على رجليه، وَالْأَزَوْر: المائل.

٢٦٤ والجأب: الغليظ الجافي. المندى: مرعى الإبل إذا امتنعت عن شرب الماء. ينضى: يهزل. وَخِمْسَةُ: هُوَ أَنْ تَرُدَّ الْإِبِلَ الْمَاءَ عَنْ خِمْسَةِ أَيَّامٍ. وَالْعَشْنَزُر: الشَّدِيدُ الْخُلُقِ.

٢٦٥ الظعن: الإبل الَّتِي عَلَيْهَا الْهَوَادِجُ. وَأَقْوَارُ: جمع قوز، وَهُوَ الْمُسْتَدِيرُ مِنَ الرَّمْلِ. وَمُشْرِفٌ: مَوْضِعٌ. وَالْفَوَارِسُ (هُنَا): رَمَالٌ يَعْينُهَا. وَيُرْوَى: إِلَى ظُعْنٍ يَقْرِضُنَ أَجْوَارَ ... إلخ.
وَالْأَجْوَارُ: جمع جوز، وَهُوَ الْوَسْطُ.

﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ، وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا. وَتَحْسَبُهُمْ
أَيْقَازًا وَهُمْ رُقُودٌ، وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعِيهِ
بِالْوَصِيدِ﴾ (الكهف ١٨ / ١٧-١٨)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْوَصِيدُ: الْبَابُ.

قَالَ الْعَبْسِيُّ، وَاسْمُهُ عُبَيْدُ بْنُ وَهَبٍ:

بَارِضٍ فَلَاةٍ لَا يُسَدُّ وَصِيدَهَا ... عَلَيَّ وَمَعْرُوفِي بِهَا غَيْرُ مُنْكَرٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي آيَاتٍ لَهُ.

وَالْوَصِيدُ (أَيْضًا): الْفِنَاءُ، وَجَمْعُهُ: وَصَائِدٌ، وَوُصِدٌ، وَوُصِدَانٌ، وَأُصِدٌ، وَأُصِدَانٌ.

﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا، وَلَمَلَّيْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (الكهف ١٨ / ١٨) ... إِلَى
قَوْلِهِ: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ﴾ أَهْلُ السُّلْطَانِ وَالْمَلِكِ مِنْهُمْ: ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ
مَسْجِدًا، سَيَقُولُونَ﴾ يَعْنِي أَحْبَارَ يَهُودَ الَّذِينَ أَمَرُوهُمْ بِالْمَسْأَلَةِ عَنْهُمْ:
﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ، وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ، رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ أَيُّ لَا عِلْمَ
لَهُمْ.

﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ، قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ، فَلَا تُمَارِ
فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ أَيُّ لَا تَكَابِرُهُمْ.

﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (الكهف ٢٢ / ١٨) فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِهِمْ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^{٢٦٦}، وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾ (الكهف ٢٤/١٨) أَي وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ سَأَلُوكَ عَنْهُ كَمَا قُلْتَ فِي هَذَا: إِنِّي مُخْبِرُكُمْ غَدًا. وَاسْتَنْ شَيْئَةَ اللَّهِ^{٢٦٧}، وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ، وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِخَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ رَشَدًا، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَنَا صَانِعٌ فِي ذَلِكَ.

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ^{٢٦٨} وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ (الكهف ٢٥/١٨) أَي سَيَقُولُونَ ذَلِكَ.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ، وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ٢٦/١٨) أَي لَمْ يَخَفْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا سَأَلُوكَ عَنْهُ.

٢٦٦ في الكلام حذف وإضمار تقديره: وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا ذَاكَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، أَوْ ناطقًا بِأَنْ يَشَاءَ اللَّهُ.

٢٦٧ والشبهة: مصدر شَاءَ يَشَاءُ. وَفِي سَائِرِ الْأُصُولِ: «مَشِئَةً».

٢٦٨ كَانَ الْفَيَّاسُ أَنْ يَقُولَ «سَنَةٌ» بَدَلًا مِنْ «سِنِينَ». وَلَكِنْ سِنِينَ هُنَا بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ وَلَيْسَتْ مُضَافَةً. وَفِي الْعُدُولِ عَنْ الْإِضَافَةِ إِلَى الْبَدَلِ حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ «سَنَةٌ» لَكَانَ الْكَلَامُ كَأَنَّهُ جَوَابٌ لَطَائِفَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ النَّاسِ. وَالنَّاسُ فِيهِمْ طَائِفَتَانِ: طَائِفَةٌ عَرَفُوا طُولَ لَبْثِهِمْ وَلَمْ يَعْلَمُوا مِقْدَارَ السِّنِينَ، فَعَرَفَهُمْ أَنَّهَا ثَلَاثُ مِائَةٍ، وَطَائِفَةٌ لَمْ يَعْرِفُوا طُولَ لَبْثِهِمْ وَلَا شَيْئًا مِنْ خَبَرِهِمْ، فَلَمَّا قَالَ ثَلَاثَ مِائَةٍ مُعْرِفًا لِلْأُولَى بِالْمَدَّةِ الَّتِي شَكَوْا فِيهَا، مُبَيِّنًا لِلْآخَرِينَ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ مِائَةَ سَنُونَ وَلَيْسَتْ أَيَّامًا وَلَا شَهْرًا. فَانْتَظَمَ الْبَيَّانَ لِلطَّائِفَتَيْنِ مِنْ ذِكْرِ الْعَدَدِ. وَجَمَعَ الْمُعْدُودَ وَتَبَيَّنَ أَنَّهُ بَدَلٌ، إِذْ الْبَدَلُ يُرَادُ بِهِ تَبَيَّنَ مَا قَبْلَهُ. (الرُّوضُ الْإِنْفِ)

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَبَرِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ)

وَقَالَ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا. إِنَّا مَكَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَاتِّبَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف ١٨/٨٣-٨٥) حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِ قِصَّةِ خَبَرِهِ.

وَكَانَ مِنْ خَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَنَّهُ أُوتِيَ مَا لَمْ يُؤْتَ أَحَدٌ غَيْرُهُ، فَمَدَّتْ لَهُ الْأَسْبَابُ حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْبِلَادِ إِلَى مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، لَا يَطَأُ أَرْضًا إِلَّا سُلِّطَ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى انْتَهَى مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَى مَا لَيْسَ وَرَاءَهُ شَيْءٌ مِنَ الْخَلْقِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مِنْ يَسُوقِ الْأَحَادِيثِ عَنِ الْأَعَاجِمِ فِيمَا تَوَارَثُوا مِنْ عِلْمِهِ: أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مِصْرَ. اسْمُهُ مَرْزُبَانُ بْنُ مَرْذُوبَةَ الْيُونَانِيِّ، مِنْ وَلَدِ يُونَانَ بْنِ يَافِثَ بْنِ نُوحٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُهُ الْإِسْكَندَرُ، وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْإِسْكَندَرِيَّةَ فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ الْكَلَاعِيِّ، وَكَانَ رَجُلًا قَدْ أَدْرَكَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقَالَ: مَلِكٌ مَسَحَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا بِالْأَسْبَابِ. وَقَالَ خَالِدٌ: سَمِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ رَجُلًا يَقُولُ: يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ غَفِرًا، أَمَا رَضِيتُمْ أَنْ تَسْمُوا بِالْأَنْبِيَاءِ حَتَّى تَسْمِيْتُمْ بِالْمَلَائِكَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: اللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ، أَقَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، أَمْ لَا؟ فَإِنْ كَانَ قَالَهُ، فَالْحَقُّ مَا قَالَ.



(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ الرُّوحِ)

وَقَالَ تَعَالَى فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ أَمْرِ الرُّوحِ:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

(الإسراء ٨٥ / ١٧)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثْتُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَتْ أَحْبَابُ يَهُودَ: يَا مُحَمَّدُ، أَرَأَيْتَ قَوْلَكَ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء ٨٥ / ١٧) إِنَّا نَأْتِيكَ بِكُلِّ شَيْءٍ، أَمْ قَوْمُكَ؟ قَالَ: كَلَّا، قَالُوا:

فَإِنَّكَ تَتْلُو فِيمَا جَاءَكَ: أَنَا قَدْ أُوتِينَا التَّوْرَةَ فِيهَا بَيَانُ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ، وَعِنْدَكُمْ فِي ذَلِكَ مَا يَكْفِيكُمْ لَوْ أَقْمَتُمُوهُ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلُوهُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ:

﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (لقمان ٢٧ / ٣١)

أَيُّ أَنَّ التَّوْرَةَ فِي هَذَا مِنْ عِلْمِ اللَّهِ قَلِيلٌ.

(مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِ طَلَبِهِمْ تَسْيِيرَ الْجِبَالِ):

قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيمَا سَأَلَهُ قَوْمُهُ لِأَنفُسِهِمْ مِنْ تَسْيِيرِ الْجِبَالِ، وَتَقْطِيعِ الْأَرْضِ، وَبَعَثَ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى:

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ، أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ، أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى، بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ (الزمر ٣١ / ١٣)

أَيُّ لَا أَصْنَعُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا مَا شِئْتُ.

﴿مَا أَنزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ: خُذْ لِنَفْسِكَ:﴾

وَأَنزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ: خُذْ لِنَفْسِكَ، مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَ لِنَفْسِهِ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ جَنَّاًا وَقُصُورًا وَكُنُوزًا، وَيَبْعَثَ مَعَهُ مَلَكًا يُصَدِّقُهُ بِمَا يَقُولُ، وَيَرُدُّ عَنْهُ:

﴿وَقَالُوا مَا لِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا. أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ. أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا. وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا، تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ...﴾ أَيُّ مَنْ أَنْ تَمْشِيَ فِي الْأَسْوَاقِ وَتَلْتَمِسَ الْمَعَاشَ... جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، وَيَجْعَلَ لَكَ قُصُورًا﴾ (الفرقان ٢٥ / ٧-١٠)

وَأَنزَلَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً، أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ (الفرقان ٢٥ / ٢٠)

أَيَّ جَعَلْتُ بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ بَلَاءً لَتَصْبِرُوا، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَجْعَلَ الدُّنْيَا مَعَ رُسُلِي فَلَا يُخَالَفُوا لَفَعَلْتُ.

﴿مَا أَنزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ:﴾

وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا. أَوْ تَكُونُ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُجَرَّ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا. أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا، أَوْ تَأْتِي بَالِلَهُ وَالْمَلَأِئِكَةَ قَبِيلًا. أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ، وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ (الأنعام ٩٠-٩٣)



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْيَبُوعُ: مَا نَبَعَ مِنَ الْمَاءِ مِنَ الْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، وَجَمْعُهُ يَنْابِيعُ. قَالَ ابْنُ هَرَمَةَ، وَاسْمُهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَلِيٍّ الْفَهْرِيُّ.

وَإِذَا هَرَفَتْ بِكُلِّ دَارٍ عَبْرَةً... نُزِفَ الشُّنُونُ وَدَمَعَكَ الْيَبُوعُ^{٢٦٩}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالْكِسْفُ: الْقَطْعُ مِنَ الْعَذَابِ، وَوَاحِدُهُ: كِسْفَةٌ، مِثْلُ سِدْرَةٍ وَسِدْرٍ. وَهِيَ أَيْضًا: وَاحِدَةُ الْكِسْفِ.

وَالْقَبِيلُ: يَكُونُ مُقَابَلَةً وَمُعَايَنَةً، وَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾ (الكهف ٥٥/١٨) أَيَّ عِيَانًا. وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ لِأَعَشَى بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

أَصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتَهَا قَبِيلُهَا

يَعْنِي الْقَابِلَةَ، لِأَنَّهَا تُقَابِلُهَا وَتَقْبَلُ وَلَدَهَا. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَيُقَالُ: الْقَبِيلُ: جَمْعُهُ قُبْلٌ، وَهِيَ الْجَمَاعَاتُ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا﴾ (الأنعام ١١١/٦)

فَقُبْلٌ: جَمْعُ قَبِيلٍ، مِثْلُ سُبُلٍ: جَمْعُ سَبِيلٍ، وَسُرُرٍ: جَمْعُ سَرِيرٍ، وَقُمْصٍ: جَمْعُ قَمِيصٍ.

وَالْقَبِيلُ (أَيْضًا): فِي مِثْلِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: مَا يَعْرِفُ قَبِيلًا مِنْ دَبِيرٍ: أَيُّ لَا يَعْرِفُ مَا أَقْبَلَ مِمَّا أَذْبَرَ، قَالَ الْكَمَيْتُ ابْنُ زَيْدٍ:

تَفَرَّقْتُ الْأُمُورَ بِوَجْهَتَيْهِمْ ... فَمَا عَرَفُوا الدَّبِيرَ مِنَ الْقَبِيلِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ،

وَيَقَالُ: إِنَّمَا أُريدَ بِهَذَا الْقَبِيلِ: الْفُتْلُ، فَمَا فُتِلَ إِلَى الدَّرَاعِ فَهُوَ الْقَبِيلُ، وَمَا فُتِلَ إِلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ فَهُوَ الدَّيْبُ، وَهُوَ مِنَ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ الَّذِي ذَكَرْتُ. وَيَقَالُ: فُتِلَ الْمَغْزَلُ. فَإِذَا فُتِلَ الْمَغْزَلُ إِلَى الرُّكْبَةِ فَهُوَ الْقَبِيلُ، وَإِذَا فُتِلَ إِلَى الْوَرِكِ فَهُوَ الدَّيْبُ.

وَالْقَبِيلُ (أَيْضًا): قَوْمُ الرَّجُلِ.

وَالزُّخْرُفُ: الذَّهَبُ. وَالْمَرْخَرَفُ: الْمُزَيْنُ بِالذَّهَبِ. قَالَ الْعَجَّاجُ:

مِنْ طَلَلِ أَمْسَى تَخَالَ الْمُصْحَفَا ... رُسُومُهُ وَالْمُذْهَبُ الْمَرْخَرَفَا

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ،

وَيَقَالُ أَيْضًا لِكُلِّ مُزَيْنٍ: مَرْخَرَفٌ.

(مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّا قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّكَ إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ

بِالْيَمَامَةِ، يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَنُ، وَلَكِنْ نُوْمِنَ بِهِ أَبَدًا:

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَسَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ

يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ، قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ (الرعد ١٣ / ٣٠)

(مَا أَنْزَلَهُ تَعَالَى فِي أَبِي جَهْلٍ وَمَا هَمَّ بِهِ):

وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَمَا هَمَّ بِهِ:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى،

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى، كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ، نَاصِيَةٍ

كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ، فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ، سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ، كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ (العلق ٩٦ / ٩-١٩)



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: لَنَسْفَعًا: لَنَجِدِبْنَ وَلَنَأْخُذَنَّ. قَالَ الشَّاعِرُ:

قَوْمٌ إِذَا سَمِعُوا الصَّرَاحَ رَأَيْتَهُمْ ... مِنْ بَيْنِ مُلْجِمٍ مُهْرِهِ أَوْ سَافِعٍ^{٢٧٠}

وَالنَّادِي: الْمَجْلِسُ الَّذِي يَجْتَمِعُ فِيهِ الْقَوْمُ وَيَقْضُونَ فِيهِ أُمُورَهُمْ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ (العنكبوت ٢٩/٢٩) وَهُوَ النَّدِيُّ. قَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ:

أَذْهَبَ إِلَيْكَ فَإِنِّي مِنْ بَنِي أَسَدٍ ... أَهْلُ النَّدِيِّ وَأَهْلُ الْجُودِ وَالنَّادِي

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (مريم ٧٣/١٩) وَجَمْعُهُ: أَنْدِيَّةٌ. فَلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢/١٢) يُرِيدُ أَهْلَ الْقَرْيَةِ. قَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ، أَحَدُ بَنِي سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ:

يَوْمَانِ يَوْمٌ مَقَامَاتٍ وَأَنْدِيَّةٍ ... وَيَوْمٌ سِيرٍ إِلَى الْأَعْدَاءِ تَأْوِيْبٍ^{٢٧١}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ:

لَا مَهَاذِيرَ فِي النَّدَى مَكَائِرَ ... وَلَا مُضْمِتِينَ بِالْإِفْحَامِ^{٢٧٢}

وَيُقَالُ: النَّادِي: الْجُلَسَاءُ.

وَالزَّبَانِيَّةُ: الْغِلَاطُ الشَّدَادُ، وَهُمْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ: خَزَنَةُ النَّارِ.

وَالزَّبَانِيَّةُ (أَيْضًا) فِي الدُّنْيَا: أَعْوَانُ الرَّجُلِ الَّذِينَ يَخْدُمُونَهُ وَيُعِينُونَهُ، وَالْوَاحِدُ: زَبْنِيَّةٌ. قَالَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ فِي ذَلِكَ:

٢٧٠ الصَّرَاحُ: الاستغاثة. والسافع: الأخذ بالناصية.

٢٧١ التأويب: سير النهار كله.

٢٧٢ المهاذير: جمع مهذار، وهو الكثير الكلام من غير فائدة. وأصمت: تسعمل لازمة ومتعدية. والإفحام: انقطاع الرجل عن الكلام، إمّا عيا وإمّا غلبة.



مَطَاعِيمُ فِي الْمَقَرَى مَطَاعِينَ فِي الْوَعَى ... رَبَانِيَّةٌ غُلْبٌ عِظَامٌ حُلُومُهَا^{٢٧٣}
يَقُولُ: شَدَادٌ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي آيَاتٍ لَهُ. وَقَالَ صَخْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهُدَلِيُّ، وَهُوَ صَخْرُ الْغِيّ:
وَمِنْ كَبِيرٍ نَفَرُ رَبَانِيَّةٍ^{٢٧٤}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي آيَاتٍ لَهُ.

(مَا أَنْزَلَهُ تَعَالَى فِيَمَا عَرَضُوهُ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أُمُومِهِمْ)
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِيَمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ مِنْ أُمُومِهِمْ:
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ، إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدٌ﴾ (سبأ ٣٤/٤٧)

(اسْتِكْبَارُ قُرَيْشٍ عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ ﷺ)
فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، وَعَرَفُوا صِدْقَهُ فِيَمَا حَدَّثَ، وَمَوْقِعَ
ثُبُوتِهِ فِيَمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمِ الْغُيُوبِ حِينَ سَأَلُوهُ عَمَّا سَأَلُوا عَنْهُ، حَالَ الْحَسَدِ مِنْهُمْ لَهُ
بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اتِّبَاعِهِ وَتَصَدِيقِهِ، فَعَتَوْا عَلَى اللَّهِ وَتَرَكُوا أَمْرَهُ عِيَانًا، وَلَجُّوا فِيَمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ
الْكُفْرِ، فَقَالَ قَائِلُهُمْ: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (فصلت ٢٦/٤١)
أَيَّ اجْعَلُوهُ لُغَاً وَبَاطِلًا، وَاتَّخِذُوهُ هُزُؤًا لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ بِذَلِكَ، فَإِنَّكُمْ إِنْ نَظَرْتُمُوهُ أَوْ
خَاصَمْتُمُوهُ يَوْمًا غَلَبَكُمْ.

٢٧٣ المقرئ: من القرى، وَهُوَ الطَّعَامُ الَّذِي يَصْنَعُ لِلضَّيْفِ. وَالْوَعَى: الْحَرْبُ. وَالْغُلْبُ: الْغِلَاطُ الشَّدَادُ.
٢٧٤ وكبير: حَيٌّ مِنْ هُدَيْلٍ، وَهُوَ كَبِيرُ بْنُ طَابِخَةَ ابْنِ لَحْيَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ هُدَيْلٍ. وَفِي أَسَدٍ أَيْضًا: كَبِيرُ بْنُ غَنَمِ
بَنِ دُودَانَ بْنِ أَسَدٍ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ بَنُو جَحْشِ ابْنِ رِيَّانِ بْنِ يَعْمَرَ بْنِ صَبُوءَ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَبِيرٍ. وَلَعَلَّ الرَّاجِزَ
أَرَادَ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُمْ أَشْهُرٌ. وَبَنُو كَبِيرٍ أَيْضًا: بَطْنٌ مِنْ بَنِي غَامِدٍ، وَهُمْ مِنَ الْأَزْدِ.



(تَهَكُّمُ أَبِي جَهْلٍ بِالرَّسُولِ ﷺ وَتَنْفِيرُ النَّاسِ عَنْهُ)

فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ يَوْمًا وَهُوَ يَهْزَأُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّما جُنُودُ اللَّهِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَكُمْ فِي النَّارِ وَيَحْبِسُونَكُمْ فِيهَا تِسْعَةَ عَشَرَ، وَأَنْتُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ عَدَدًا، وَكَثْرَةً، أَفَيُعْجِزُ كُلُّ مِائَةٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ عَنْ رَجُلٍ مِنْهُمْ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً، وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾

(المائدة ٧٤ / ٣١)

إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، جَعَلُوا إِذَا جَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، يَتَفَرَّقُونَ عَنْهُ، وَيَأْبُونَ أَنْ يَسْتَمِعُوا لَهُ، فَكَانَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْتَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ مَا يَتْلُو مِنَ الْقُرْآنِ وَهُوَ يُصَلِّي، اسْتَرَقَ^{٢٧٥} السَّمْعَ دُونَهُمْ فَرَقًا مِنْهُمْ، فَإِنْ رَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ ذَهَبَ خَشْيَةً أَذَاهُمْ فَلَمْ يَسْتَمِعْ، وَإِنْ خَفَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَوْتَهُ، فَظَنَّ الَّذِي يَسْتَمِعُ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَمِعُونَ شَيْئًا مِنْ قِرَاءَتِهِ، وَسَمِعَ هُوَ شَيْئًا دُونَهُمْ أَصَاحَ لَهُ يَسْتَمِعُ مِنْهُ.

(سَبَبُ نُزُولِ آيَةٍ: «وَلَا تَجْهَرُ... إلخ»)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصِينِ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ، أَنَّ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ حَدَّثَهُمْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ ؓ حَدَّثَهُمْ: إِنَّمَا أَنْزِلْتُ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ١٧ / ١١٠)

٢٧٥ في نسخة: «أَتَى سِرًا وَاسْتَمَعَ دُونَهُمْ... إلخ».

مِنْ أَجْلِ أَوْلِيكَ النَّفَرِ. يَقُولُ: لَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ فَيَتَفَرَّقُوا عَنْكَ، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا فَلَا يَسْمَعُهَا مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَسْمَعَهَا مِمَّنْ يَسْتَرِيقُ ذَلِكَ دُونَهُمْ لَعَلَّهُ يَرْعَوِي إِلَى بَعْضِ مَا يَسْمَعُ فَيَنْتَفِعَ بِهِ.

(أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ؓ، قَالَ: اجْتَمَعَ يَوْمًا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا:

وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ قُرَيْشَ هَذَا الْقُرْآنَ يُجْهَرُ لَهَا بِهِ قَطُّ، فَمَنْ رَجُلٌ يَسْمَعُهُمْ؟

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: أَنَا، قَالُوا: إِنَّا نَخْشَاهُمْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا نُرِيدُ رَجُلًا لَهُ عَشِيرَةٌ يَمْنَعُونَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِنْ أَرَادُوهُ، قَالَ: دَعُونِي فَإِنَّ اللَّهَ سَيَمْنَعُنِي. قَالَ: فَغَدَا ابْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَتَى الْمَقَامَ فِي الضُّحَى، وَقُرَيْشٌ فِي أُنْدِيَّتِهَا، حَتَّى قَامَ عِنْدَ الْمَقَامِ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ رَافِعًا بِهَا صَوْتَهُ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ (الرحمن ١/٥٥-٢) قَالَ: ثُمَّ اسْتَقْبَلَهَا يَقْرَؤُهَا. قَالَ: فَتَأَمَّلُوهُ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: مَاذَا قَالَ ابْنُ أُمِّ عَدٍ؟ قَالَ: ثُمَّ قَالُوا: إِنَّهُ لَيَتْلُو بَعْضَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ فِي وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْلُغَ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَقَدْ أَثَرُوا فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا لَهُ: هَذَا الَّذِي خَشِينَا عَلَيْكَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْهُمْ الْآنَ، وَلَئِنْ شِئْتُمْ لِأَعَادِيَتِهِمْ بِمِثْلِهَا عَذًّا، قَالُوا: لَا، حَسْبُكَ، قَدْ أَسْمَعْتَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ.



(قِصَّةُ اسْتِمَاعِ قُرَيْشٍ إِلَى قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَأَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ، وَالْأَخْنَسَ بْنَ شَرِيْقَ بْنَ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيَّ، حَلِيفَ بَنِي زُهْرَةَ، خَرَجُوا لَيْلَةً لِيَسْتَمِعُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فِي بَيْتِهِ، فَأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسًا يَسْتَمِعُ فِيهِ، وَكُلٌّ لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِ صَاحِبِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا. فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَتَلَاوَمُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَعُودُوا، فَلَوْ رَأَيْنَاكُمْ بَعْضُ سُفَهَائِكُمْ لَأَوْفَعْتُمْ فِي نَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّانِيَّةُ، عَادَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى مَجْلِسِهِ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مِثْلَ مَا قَالُوا أَوَّلَ مَرَّةٍ، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا. حَتَّى إِذَا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الثَّالِثَةُ أَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَجْلِسَهُ، فَبَاتُوا يَسْتَمِعُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ تَفَرَّقُوا، فَجَمَعَهُمُ الطَّرِيقُ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَبْرَحْ حَتَّى نَتَعَاهَدَ أَلَّا نَعُودَ: فَتَعَاهَدُوا عَلَى ذَلِكَ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

(ذَهَابُ الْأَخْنَسِ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَبِي جَهْلٍ يَسْأَلُهُمَا عَنْ مَعْنَى مَا سَمِعَهُمَا)

فَلَمَّا أَصْبَحَ الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيْقٍ أَخَذَ عَصَاهُ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا أَبَا حَنْظَلَةَ عَنْ رَأْيِكَ فِيْمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: يَا أَبَا نَعْلَبَةَ وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ أَشْيَاءَ أَعْرِفُهَا وَأَعْرِفُ مَا يُرَادُ بِهَا، وَسَمِعْتُ أَشْيَاءَ مَا عَرَفْتُ مَعْنَاهَا، وَلَا مَا يُرَادُ بِهَا، قَالَ الْأَخْنَسُ: وَأَنَا الَّذِي حَلَفْتُ بِهِ كَذَلِكَ.

قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى أَتَى أَبَا جَهْلٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، فَقَالَ:

يَا أَبَا الْحَكَمِ، مَا رَأَيْكَ فِيمَا سَمِعْتَ مِنْ مُحَمَّدٍ؟ فَقَالَ: مَاذَا سَمِعْتُ، تَنَازَعْنَا نَحْنُ وَبَنُو عَبْدِ مَنَافٍ الشَّرَفَ، أَطْعَمُوا فَأَطْعَمْنَا، وَحَمَلُوا فَحَمَلْنَا، وَأَعْطُوا فَأَعْطَيْنَا، حَتَّى إِذَا تَجَادَيْنَا^{٢٧٦} عَلَى الرِّكْبِ، وَكُنَّا كَفَرَسِي رَهَانٍ، قَالُوا: مِنَّا نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الْوَحْيُ مِنَ السَّمَاءِ، فَمَتَى نُذْرِكُ مِثْلَ هَذِهِ، وَاللَّهِ لَا نُؤْمِنُ بِهِ أَبَدًا وَلَا نُصَدِّقُهُ. قَالَ: فَقَامَ عَنْهُ الْأَخْسَسُ وَتَرَكَهُ.

(تَعَنَّتْ قُرَيْشٌ فِي عَدَمِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أَنْزَلَهُ تَعَالَى)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، «وَقَالُوا» يَهْزَأُونَ بِهِ: «قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ» لَا نَفْقَهُ مَا تَقُولُ «وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ» لَا نَسْمَعُ مَا تَقُولُ «وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ» قَدْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ «فَاعْمَلْ» بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ «إِنَّا عَامِلُونَ» (فصلت ٥ / ٤١) بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ، إِنَّا لَا نَفْقَهُ عَنْكَ شَيْئًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: «وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا»^{٢٧٧} (الإسراء ٤٥ / ١٧) ... إِلَى قَوْلِهِ «وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» (الإسراء ٤٦ / ١٧) أَيَّ كَيْفٍ فَهِمُوا تَوْحِيدَكَ رَبَّكَ إِنْ كُنْتُ جَعَلْتُ عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَةً، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ حِجَابًا بَرَزَعِهِمْ، أَيَّ إِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذَلِكَ. «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ، وَإِذْ هُمْ نَجْوَى، إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» (الإسراء ٤٧ / ١٧) أَيَّ ذَلِكَ مَا تَوَاصَوْا

٢٧٦ وتجادى: ألقى. ورُبَّاء جعلوا الجاذى والجلاني سواء.

٢٧٧ مسطورا: ساترا.



بِهِ مِنْ تَرَكٍ مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ. ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ (الإسراء ٤٨/١٧) أَيِ أَخْطَأُوا الْمَثَلَ الَّذِي ضَرَبُوا لَكَ، فَلَا يُصِيبُونَ بِهِ هُدًى، وَلَا يَعْتَدِلُ لَهُمْ فِيهِ قَوْلٌ ﴿وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَّاهًا لَمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ (الإسراء ٤٩/١٧) أَيِ قَدْ جِئْتَ تُخَبِّرُنَا أَنَّا سَنُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِنَا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا، وَذَلِكَ مَا لَا يَكُونُ. ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا، قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (الإسراء ٥٠-٥١) أَيِ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِمَّا تَعْرِفُونَ، فَلَيْسَ خَلْقُكُمْ مِنْ تَرَابٍ بِأَعَزَّ مِنْ ذَلِكَ عَلَيْهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ؓ، قَالَ: سَأَلَتْهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ (الإسراء ١٧/٥١) مَا الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ؟ فَقَالَ:
الْمَوْتُ. ٢٧٨

ذَكَرَ عُدْوَانَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِالْأَذَى وَالْفِتْنَةِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جُلْدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ؟ قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ؓ: يَا أَبَتُ، إِنِّي إِنَّمَا أُرِيدُ مَا أُرِيدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: فَيَتَحَدَّثُ أَنَّهُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِلَّا فِيهِ، وَفِيمَا قَالَ لَهُ أَبُوهُ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ (الليل ٩٢/٥-٢١) ٢٧٩

(إِسْلَامُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ)

... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ إِسْلَامُ عُمَرَ فِيمَا بَلَغَنِي أَنَّ أُخْتَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ، وَكَانَتْ عِنْدَ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ وَأَسْلَمَ بَعْلُهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَهُمَا مُسْتَخْفِيَانِ بِإِسْلَامِهِمَا مِنْ عُمَرَ، وَكَانَ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّحَّامُ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ قَدْ أَسْلَمَ، وَكَانَ أَيْضًا يَسْتَخْفِي بِإِسْلَامِهِ فَرَقًا مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانَ حَبَابُ بْنُ الْأَرْتِ يَخْتَلِفُ إِلَى فَاطِمَةَ بِنْتَ الْخَطَّابِ يُقْرِئُهَا الْقُرْآنَ، فَخَرَجَ عُمَرُ يَوْمًا مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَرَهْطًا مِنْ أَصْحَابِهِ قَدْ ذُكِرُوا لَهُ أَنَّهُمْ قَدْ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَرْبَعِينَ مَا بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ الصَّدِيقُ، وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﷺ، مِمَّنْ كَانَ أَقَامَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، وَلَمْ يَخْرُجْ فِيمَنْ خَرَجَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَلَقِيَهُ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا عُمَرُ؟ فَقَالَ: أُرِيدُ مُحَمَّدًا هَذَا الصَّابِئَ، الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْشٍ، وَسَفَّهُ أَحْلَامَهَا، وَعَابَ دِينَهَا، وَسَبَّ آلَهِتَهَا، فَأَقْتَلَهُ، فَقَالَ لَهُ نَعِيمٌ: وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَّتْكَ نَفْسُكَ مِنْ نَفْسِكَ يَا عُمَرُ، أَتَرَى بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّدًا! أَفَلَا تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتَقِيمَ أَمْرَهُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ أَهْلِ بَيْتِي؟

قَالَ: خَتْنُكَ وَابْنُ عَمِّكَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو، وَأُخْتُكَ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ، فَقَدْ وَاللَّهِ أَسْلَمَا، وَتَابَعَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، فَعَلَيْكَ بِهِمَا، قَالَ: فَرَجَعَ عُمَرُ عَامِدًا إِلَى أُخْتِهِ وَخَتْنِهِ، وَعِنْدَهُمَا خَبَابُ بْنُ الْأَرْتِّ مَعَهُ صَحِيفَةٌ، فِيهَا: «طه» يُقْرَأُهَا إِيَّاهَا، فَلَمَّا سَمِعُوا حِسَّ عُمَرَ، تَعَيَّبَ خَبَابٌ فِي مَخْدَعٍ^{٢٨٠} لَهُمْ، أَوْ فِي بَعْضِ الْبَيْتِ، وَأَخَذَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ الصَّحِيفَةَ فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا، وَقَدْ سَمِعَ عُمَرُ حِينَ دَنَا إِلَى الْبَيْتِ قِرَاءَةَ خَبَابٍ عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ^{٢٨١} الَّتِي سَمِعْتُ؟ قَالَا لَهُ: مَا سَمِعْتَ شَيْئًا، قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، لَقَدْ أُخْبِرْتُ أَنَّكُمَا تَابَعْتُمَا مُحَمَّدًا عَلَى دِينِهِ، وَبَطَشَ بِخَتْنِهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ أُخْتُ فَاطِمَةَ بِنْتُ الْخَطَّابِ لَتَكْفُهُ عَنْ زَوْجِهَا، فَضَرَبَهَا فَشَجَّجَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ أُخْتُهِ وَخَتْنُهُ: نَعَمْ قَدْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَاصْنَعْ مَا بَدَأَ لَكَ. فَلَمَّا رَأَى عُمَرُ مَا بِأُخْتِهِ مِنَ الدَّمِ نَدِمَ عَلَى مَا صَنَعَ، فَارْعَوَى^{٢٨٢}، وَقَالَ لِأُخْتِهِ: أَعْطِنِي هَذِهِ الصَّحِيفَةَ الَّتِي سَمِعْتُكُمْ تَقْرَأُونَ أَنَا أَنْظُرَ مَا هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ، وَكَانَ عُمَرُ كَاتِبًا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، قَالَتْ لَهُ أُخْتُهِ: إِنَّا نَخْشَاكَ عَلَيْهَا، قَالَ: لَا تَخَافِي، وَحَلَفَ لَهَا بِالْهَيْئَةِ لِيَرَدَّهَا إِذَا قَرَأَهَا إِلَيْهَا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ، طَمِعَتْ فِي إِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَخِي، إِنَّكَ نَجِسٌ، عَلَى شِرْكِكَ، وَإِنَّهُ لَا يَمْسُهَا إِلَّا الطَّاهِرُ، فَقَامَ عُمَرُ فَاعْتَسَلَ، فَأَعْطَتْهُ الصَّحِيفَةَ، وَفِيهَا: «طه»^{٢٨٣}. فَقَرَأَهَا، فَلَمَّا قَرَأَ مِنْهَا صَدْرًا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا

٢٨٠ المخدع: الْبَيْتُ الصَّغِيرُ الَّذِي يَكُونُ دَاخِلَ الْبَيْتِ الْكَبِيرِ، وَتَضُمُّ مِيمَهُ وَتَفْتَحُ: (رَاجِعِ النَّهَاجَةَ لِابْنِ الْأَثِيرِ).

٢٨١ الهَيْئَةُ: صَوْتُ كَلَامٍ لَا يَفْهَمُ.

٢٨٢ ارْعَوَى: رَجَعَ.

٢٨٣ وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ عُمَرَ حِينَ قَرَأَ فِي الصَّحِيفَةِ سُورَةَ «طه» انْتَهَى مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: «لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى» (طه ٢٠/١٥) فَقَالَ: مَا أَطْيَبَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَحْسَنَهُ! وَقِيلَ: إِنَّ الصَّحِيفَةَ كَانَتْ فِيهَا مَعَ سُورَةِ طه، «إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ» (التكوير ٨١/١) وَإِنَّ عُمَرَ انْتَهَى فِي قِرَاءَتِهَا إِلَى قَوْلِهِ: «عَلِمْتُ نَفْسٌ مَا أَحْضَرْتُ» (التكوير ٨١/١٤).



الْكَلَامَ وَأَكْرَمَهُ! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَابٌ خَرَجَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عُمَرُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ أَمْسٍ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَيِّدِ الْإِسْلَامَ بِأَبِي الْحَكَمِ بْنِ هِشَامٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَاللَّهِ اللَّهُ يَا عُمَرُ. فَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ عُمَرُ: فَدَلَّنِي يَا خَبَابُ عَلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى آتِيَهُ فَأُسَلِّمَ، فَقَالَ لَهُ خَبَابٌ:

هُوَ فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، مَعَهُ فِيهِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ سَيْفَهُ فَتَوَشَّحَهُ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمُ الْبَابَ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ، قَامَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَظَرَ مِنْ خَلَلِ الْبَابِ فَرَأَاهُ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فَرَعٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ مُتَوَشِّحًا السَّيْفَ، فَقَالَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: فَأَذِّنْ لَهُ، فَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ خَيْرًا بَدَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ كَانَ جَاءَ يُرِيدُ شَرًّا قَتَلْنَاهُ بِسَيْفِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَذِّنْ لَهُ، فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، وَنَهَضَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى لَقِيَهُ فِي الْحُجْرَةِ، فَأَخَذَ حُجْرَتَهُ، أَوْ بِمَجْمَعِ رِدَائِهِ، ثُمَّ جَبَذَهُ بِهِ جَبْدَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا بَنَ الْخَطَّابِ؟ فَوَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ تَنْتَهِيَ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ قَارِعَةً، فَقَالَ عُمَرُ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، جِئْتُكَ لِأَوْمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَيَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَكْبِيرَةً عَرَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عُمَرَ قَدْ أَسْلَمَ. فَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَانِهِمْ، وَقَدْ عَزَّوْا فِي أَنْفُسِهِمْ حِينَ أَسْلَمَ عُمَرُ مَعَ إِسْلَامِ حَمْزَةَ، وَعَرَفُوا أَنَّهِمَا سَيَمْنَعَانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَتَصَفُّونَ بِهِمَا مِنْ عَدُوِّهِمْ. فَهَذَا حَدِيثُ الرَّوَاةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ عَنْ إِسْلَامِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ أَسْلَمَ. ٢٨٤



خَبَرُ الصَّحِيفَةِ

(تَهَكُّمُ أَبِي لَهَبٍ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ أَبَا لَهَبٍ لَقِيَ هِنْدَ بِنْتَ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، حِينَ فَارَقَ قَوْمَهُ، وَظَاهَرَ عَلَيْهِمْ قُرَيْشًا، فَقَالَ: يَا بِنْتَ عُتْبَةَ، هَلْ نَصَرْتَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَفَارَقْتَ مَنْ فَارَقَهُمَا وَظَاهَرَ عَلَيْهِمَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا يَا أَبَا عُتْبَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ مَا يَقُولُ: يَعِدُنِي مُحَمَّدٌ أَشْيَاءَ لَا أَرَاهَا، يَزْعُمُ أَنَّهَا كَانَتْهُ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَمَاذَا وَضَعَ فِي يَدَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ يَدَيْهِ وَيَقُولُ: تَبًّا لَكُمَا، مَا أَرَى فِيكُمَا شَيْئًا مِمَّا يَقُولُ مُحَمَّدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ﴿تَبَّتْ يُدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد ١/١١١)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَبَّتْ: خَسِرَتْ. وَالتَّبَابُ: الْخُسْرَانُ. قَالَ حَبِيبُ بْنُ خُدْرَةَ الْخَارِجِيُّ: أَحَدُ بَنِي هَلَالٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَعْصَعَةَ:

يَا طَيْبُ إِنَّا فِي مَعْشَرٍ ذَهَبَتْ ... مَسْعَاتُهُمْ فِي التَّبَارِ وَالتَّبَبِ^{٢٨٥}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.^{٢٨٦}

٢٨٥ التبار: الهلاك. والتبب كالالتباب والتتيب، وهي الهلاك.

٢٨٦ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٣٥١-٣٥٢.

(ذِكْرُ مَا لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَذَى)

فَجَعَلَتْ قُرَيْشٌ حِينَ مَنَعَهُ اللَّهُ مِنْهَا، وَقَامَ عُمُهُ وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنِي الْمُطَّلِبِ دُونَهُ، وَحَالُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا أَرَادُوا مِنَ الْبَطْشِ بِهِ، يَهْمُزُونَهُ وَيَسْتَهْزِءُونَ بِهِ وَيَخَاصِمُونَهُ، وَجَعَلَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِي قُرَيْشٍ بِأَحْدَاثِهِمْ، وَفِيمَنْ نُصِبَ لِعِدَاوَتِهِ مِنْهُمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ سُمِّيَ لَنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فِي عَامَّةٍ مَنْ ذَكَرَ اللَّهُ مِنَ الْكُفَّارِ، فَكَانَ مِمَّنْ سُمِّيَ لَنَا مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ عُمُهُ أَبُو لَهَبٍ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَمْرَأَتُهُ أُمُّ جُوَيْلٍ بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ، حَمَالَةَ الْحَطَبِ، وَإِنَّمَا سَمَّاها اللَّهُ تَعَالَى حَمَالَةَ الْحَطَبِ، لِأَنَّهَا كَانَتْ - فِيمَا بَلَغَنِي - تَحْمِلُ الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَمُرُّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ
وَأَمْرَأَتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ (تبت ١١١ / ١-٥)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْحَبْلُ: الْعُنُقُ.

قَالَ أَعْشَىٰ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

يَوْمَ تُبْدَىٰ لَنَا قُتَيْلَةٌ عَنْ جِيدٍ ... أَسِيلٌ تُزِيئُهُ الْأَطْوَاقُ^{٢٨٧}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَجَمَعُهُ: أَجْيَادٌ.

وَالْمَسَدُ: شَجَرٌ يَدْقُ كَمَا يَدْقُ الْكَتَانُ فَتُقْتَلُ مِنْهُ حِبَالٌ. قَالَ النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ، وَاسْمُهُ

زِيَادُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ:

٢٨٧ جيد أسيل: فيه طول. والأطواق: جمع طوق، وهي القلادة.

مَقْدُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بَازِلُهَا ... لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفَ الْقَعْرِ بِالْمَسَدِ^{٢٨٨}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَوَحِدَتْهُ: مَسَدَةٌ.

(أُمُّ جَمِيلٍ وَرَدَّ اللَّهُ كَيْدَهَا عَنِ الرَّسُولِ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي: أَنَّ أُمَّ جَمِيلٍ: حَمَالَةَ الْحَطَبِ، حِينَ سَمِعَتْ مَا نَزَلَ فِيهَا،
وَفِي رَوْجِهَا مِنَ الْقُرْآنِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ
أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَفِي يَدِهَا فَهْرٌ^{٢٨٩} مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا
عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ، فَقَدْ بَلَغَنِي
أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهِذَا الْفَهْرَ فَاهُ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ:
مُذَمَّمًا عَصَيْنَا ... وَأَمْرُهُ أَبِينَا

وَدِينَهُ قَلِينَا^{٢٩٠}

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَيْتَنِي، لَقَدْ أَخَذَ
اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَوْلُهَا «وَدِينَهُ قَلِينَا» عَنْ غَيْرِ ابْنِ إِسْحَاقَ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِنَّمَا تُسَمِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُذَمَّمًا، ثُمَّ يَسُبُّونَهُ، فَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَلَا تَعْجَبُونَ لِمَا يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي مِنْ أَذَى قُرَيْشٍ، يَسُبُّونَ وَيَهْجُونَ
مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ.

٢٨٨ الدخيس: اللحم الكثير. والنحض: اللحم. وبازلها: ناهيا. والصريف: الصوت. والقعو: الذي تدور فيه البكرة،
إذا كان من خشب، فإن كان من حديد فهو الخطاف.

٢٨٩ الفهر: حجر على مقدار ملء الكف. والمعروف في الفهر التأنيث، إلا أنه وقع هنا مذكرا.

٢٩٠ قلىنا: أبغضنا.

(ذِكْرُ مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ أُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)

وَأُمِّيَّةُ بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهْبِ بْنِ خُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، كَانَ إِذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ، نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ. إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة ١٠٤ / ١ - ٩)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْهُمَزَةُ: الَّذِي يَشْتُمُ الرَّجُلَ عَلَانِيَةً، وَيَكْسِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ، وَيَغْمِزُ بِهِ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

هَمَزْتُكَ فَاخْتَضَعْتُ لِذُلِّ نَفْسٍ ... بِقَافِيَةٍ تَأْجِجُ كَالشَّوَاظِ^{٢٩١}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ. وَجَمَعُهُ: هَمَزَاتٌ.

وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ سِرًّا وَيُؤْذِيهِمْ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

فِي ظِلِّ عَصْرِي بَاطِلِي وَلَمَزِي

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ، وَجَمَعُهُ: لَمَزَاتٌ.

(مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ الْعَاصِرِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ فِيهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَالْعَاصِرِ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، كَانَ خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِ، صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَيْنًا بِمَكَّةَ يَعْمَلُ السُّيُوفَ، وَكَانَ قَدْ بَاعَ مِنَ الْعَاصِرِ ابْنَ وَائِلٍ سُيُوفًا عَمِلَهَا لَهُ حَتَّى كَانَ لَهُ عَلَيْهِ مَالٌ، فَجَاءَهُ يَتَقَاضَاهُ فَقَالَ لَهُ يَا خَبَّابُ أَلَيْسَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ

٢٩١ اختضعت: تذلت. وتأجج: تتوقد. والشواظ: لهب النار.

صَاحِبُكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتَ عَلَى دِينِهِ أَنْ فِي الْجَنَّةِ مَا ابْتَغَى أَهْلُهَا مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ فِضَّةٍ، أَوْ ثِيَابٍ، أَوْ خَدَمٍ! قَالَ خَبَابٌ: بَلَى. قَالَ: فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَا خَبَابُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى تِلْكَ الدَّارِ فَأَقْضِيكَ هُنَاكَ حَقَّكَ، فَوَاللَّهِ لَا تَكُونُ أَنْتَ وَصَاحِبُكَ يَا خَبَابُ أَثَرًا عِنْدَ اللَّهِ مَنِيٍّ، وَلَا أَعْظَمَ حَظًّا فِي ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا، أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾...

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَرِئُهُ مَا يَقُولُ، وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ (مريم ١٩ / ٧٧-٨٠)

(مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ أَبُو جَهْلٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ فِيهِ)

وَلَقِيَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - فَقَالَ لَهُ:

وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ، لَسْتُ رَكَنَ سَبِّ آلِهِتِنَا، أَوْ لَنَسُبَنَّ إِلَهَكَ الَّذِي تَعْبُدُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الأنعام ١٠٨ / ٦)

فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَفَّ عَنْ سَبِّ آلِهِتِهِمْ، وَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ.

(مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ النَّضْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ فِيهِ)

وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَلْقَمَةَ بْنِ كَلْدَةَ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ، كَانَ إِذَا

جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا، فَدَعَا فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَتَلَا فِيهِ الْقُرْآنَ، وَحَذَرَ فِيهِ قُرَيْشًا

مَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْخَالِيَةَ، خَلَفَهُ فِي مَجْلِسِهِ إِذَا قَامَ، فَحَدَّثَهُمْ عَنْ رُسْتَمِ السَّنْدِيدِ^{٢٩٢}،

وَعَنْ أَسْفَنْدِيَارَ، وَمُلُوكِ فَارَسَ، ثُمَّ يَقُولُ وَاللَّهِ مَا مُحَمَّدٌ بِأَحْسَنَ حَدِيثًا مِنِّي، وَمَا حَدِيثُهُ

إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، اِكْتَتَبَهَا كَمَا اِكْتَتَبْتُهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ:

٢٩٢ والسنديد (بلغة فارس): طُلُوع الشَّمْسِ، وهم ينسبون إِلَيْهِ كل جميل. وَفِي الْأَصُولِ: «الشديد».

﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (الفرقان ٢٥ / ٢٥-٢٦)

وَنَزَلَ فِيهِ: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (القلم ٦٨ / ١٥)
وَنَزَلَ فِيهِ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ (الحجاثية ٤٥ / ٧-٨)

وَنَزَلَ فِيهِ: ﴿كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا، فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (لقمان ٣١ / ٧)
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَفَّاكُ: الْكَذَّابُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ، وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الصافات ٣٧ / ١٥١-١٥٢)
وَقَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

مَا لِإِمْرِي أَفْكٌ قَوْلًا إِفْكًا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا - فِيمَا بَلَغَنِي - مَعَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَاءَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ حَتَّى جَلَسَ مَعَهُمْ فِي الْمَجْلِسِ، وَفِي الْمَجْلِسِ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ رِجَالِ قُرَيْشٍ، فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَضَ لَهُ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، فَكَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَفْحَمَهُ، ثُمَّ تَلَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ:

﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ، لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾

(الأنبياء ٢١ / ٩٨-١٠٠).



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَصَبُ جَهَنَّمَ: كُلُّ مَا أُوقِدَتْ بِهِ. قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ، وَاسْمُهُ خُوَيْلِدُ بْنُ خَالِدٍ:

فَأَطْفِئْ وَلَا تُوقِدْ وَلَا تَكُ مُحْصَبًا ... لِنَارِ الْعُدَاةِ أَنْ تَطِيرَ شَكَاتُهَا^{٢٩٣}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ. وَيُرْوَى «وَلَا تَكُ مُحْصَبًا». قَالَ الشَّاعِرُ:

حَصَاتُ لَهُ نَارِي فَأَبْصَرَ ضَوْءَهَا ... وَمَا كَانَ لَوْ لَا حَصَاةِ النَّارِ يَهْتَدِي

(مَقَالَةُ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ السَّهْمِيُّ حَتَّى جَلَسَ، فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبْعَرِيِّ: وَاللَّهِ مَا قَامَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ آتِفًا وَمَا قَعَدَ، وَقَدْ زَعَمَ مُحَمَّدٌ أَنَّا وَمَا نَعْبُدُ مِنْ آلِهَتِنَا هَذِهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبْعَرِيِّ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَخَصَمْتُهُ، فَسَلُّوا مُحَمَّدًا: أَكُلَّ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ فِي جَهَنَّمَ مَعَ مَنْ عَبْدَهُ؟ فَنَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ، وَالْيَهُودُ نَعْبُدُ عَزِيرًا، وَالنَّصَارَى نَعْبُدُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ (عَلَيْهِمَا السَّلَامُ)، فَعَجِبَ الْوَلِيدُ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي الْمَجْلِسِ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبْعَرِيِّ، وَرَأَوْا أَنَّهُ قَدْ احْتَجَّ وَخَاصَمَ. فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الزَّبْعَرِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ كُلَّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبْدَهُ، إِنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ، وَمَنْ أَمَرْتُهُمْ بِعِبَادَتِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى، أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا، وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ (الأنبياء ٢١/١٠١-١٠٢)

أَيَّ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، وَعُزَيْرًا، وَمَنْ عُبِدُوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ الَّذِينَ مَضَوْا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، فَاتَّخَذَهُمْ مَنْ يَعْبُدُهُمْ مِنْ أَهْلِ الضَّلَالَةِ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ.

وَنَزَلَ فِيمَا يَذْكُرُونَ، أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْمَلَائِكَةَ، وَأَنَّهَا بَنَاتُ اللَّهِ:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ. لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ، وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ، فَلِذَاكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ، كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأنبياء ٢١/٢٦-٢٩)

وَنَزَلَ فِيمَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ أَنَّهُ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَعَجَبَ الْوَلِيدُ وَمَنْ حَصَرَهُ مِنْ حُجَّتِهِ وَخُصُومَتِهِ:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف ٤٣/٥٧) أَيَّ يَصِدُّونَ عَنْ أَمْرِكَ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ ثُمَّ ذَكَرَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فَقَالَ:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ، وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف ٤٣/٥٩-٦١)

أَيَّ مَا وَضَعْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْآيَاتِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ، فَكَفَى بِهِ دَلِيلًا عَلَى عِلْمِ السَّاعَةِ، يَقُولُ:

﴿فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ، هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (الزخرف ٤٣/٦١)



(الْأَخْسُسُ بْنُ شَرِيْقٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)

(قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ): وَالْأَخْسُسُ بْنُ شَرِيْقٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ وَهْبٍ الثَّقَفِيُّ، حَلِيفُ بَنِي زُهْرَةَ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْقَوْمِ وَمِمَّنْ يُسْتَمَعُ مِنْهُ، فَكَانَ يُصِيبُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُرَدُّ عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَلَا تُطْعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿زَيْنِمُ﴾ (القلم

١٠/١٣-٦٨)

وَلَمْ يَقُلْ: «زَيْنِمُ» لِعَيْبٍ فِي نَسَبِهِ، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَعِيبُ أَحَدًا بِنَسَبٍ، وَلَكِنَّهُ حَقَّقَ بِذَلِكَ نَعْتَهُ لِيُعْرَفَ.

وَالزَّيْنِمُ: الْعَدِيدُ^{٢٩٤} لِلْقَوْمِ. وَقَدْ قَالَ الْخَطِيمُ التَّمِيمِيُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ:

زَيْنِمٌ تَدَاعَاهُ الرِّجَالُ زِيَادَةً... كَمَا زِيدَ فِي عَرْضِ الْأَدِيمِ الْأَكَارِعُ^{٢٩٥}

(الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ)

وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: أَيْنَزَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَتْرُكُ وَأَنَا كَبِيرُ قُرَيْشٍ وَسَيِّدُهَا! وَيُتْرَكُ أَبُو مَسْعُودٍ عَمْرُو بْنُ عَمِيرٍ الثَّقَفِيُّ سَيِّدُ ثَقِيفٍ، وَنَحْنُ عَظِيمَا الْقُرَيْتَيْنِ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، فِيمَا بَلَغَنِي:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (الزخرف ٤٣/٣١-٣٢)

٢٩٤ العديد: من يعد في القوم، وهو الدعي.

٢٩٥ الأكارع: جمع كراع. والكراع من الإنسان: ما دون الركبة إلى الكعب، ومن الدواب، ما دون الكعب.

(أَبِي بْنُ خَلْفٍ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا)

وَأَبِي بْنُ خَلْفٍ بْنُ وَهْبٍ بْنُ حُدَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَكَانَا مُتَصَافِيَيْنِ، حَسَنًا مَا بَيْنَهُمَا. فَكَانَ عُقْبَةُ قَدْ جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ مِنْهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أُبَيًّا، فَأَتَى عُقْبَةَ فَقَالَ لَهُ: أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكَ جَالَسْتَ مُحَمَّدًا وَسَمِعْتَ مِنْهُ! وَجِهِي مِنْ وَجْهِكَ حَرَامٌ أَنْ أَكَلِّمَكَ - وَاسْتَعْلَظَ مِنَ الْيَمِينِ - إِنْ أَنْتَ جَلَسْتَ إِلَيْهِ أَوْ سَمِعْتَ مِنْهُ، أَوْ لَمْ تَأْتِهِ فَتَتَفَلَّ فِي وَجْهِهِ. فَفَعَلَ ذَلِكَ عَدُوُّ اللَّهِ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ لَعَنَهُ اللَّهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِلْإِنْسَانِ حَذُولًا﴾ (الفرقان ٢٥ / ٢٧-٢٩)

وَمَشَى أَبُو بْنُ خَلْفٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَظْمٍ بَالٍ قَدْ ارْفَتَ^{٢٩٦}، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ هَذَا بَعْدَ مَا أَرَمَ^{٢٩٧}، ثُمَّ فَتَّهُ فِي يَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، يَبْعَثُهُ اللَّهُ وَإِيَّاكَ بَعْدَ مَا تَكُونَانِ هَكَذَا، ثُمَّ يَدْخِلُكَ اللَّهُ النَّارَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ، الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ (يس ٣٦ / ٧٨-٨٠)

٢٩٦ أرفت: تحطم وتكسر.

٢٩٧ أرم: بلى.



(سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»)

وَاعْتَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ - فِيمَا بَلَغَنِي - الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ
أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلِ السَّهْمِيِّ،
وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا:

يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدْ مَا نَعْبُدُ، فَنَشْتَرِكَ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ
كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ، كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحِطْطَانِ مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ،
كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحِطْطِكَ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا
عَبَدْتُمْ. وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (الكافرون ١٠٩ / ١-٦)
أَيُّ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، إِلَّا أَنْ أَعْبُدَ مَا تَعْبُدُونَ، فَلَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ مِنْكُمْ،
لَكُمْ دِينُكُمْ جَمِيعًا، وَلِيَ دِينِي.

(أَبُو جَهْلٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ)

وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ تَخَوُّفًا بِهَا لَهُمْ، قَالَ: يَا مَعْشَرَ
قُرَيْشٍ، هَلْ تَدْرُونَ مَا شَجَرَةُ الزَّقُّومِ الَّتِي يُخَوِّفُكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: عَجْوَةٌ
يَثْرَبُ بِالزُّبْدِ، وَاللَّهُ لَئِنْ اسْتَمَكْنَا مِنْهَا لَتَتَزَقَّمَنَّهَا تَزَقُّمًا^{٢٩٨}. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ، طَعَامُ الْأَثِيمِ، كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ (الدخان
٤٤ / ٤٦-٤٣) أَيُّ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ.

(تفسير «المهل»)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمُهْلُ: كُلُّ شَيْءٍ أَذْبَتُهُ، مِنْ نَحَاسٍ أَوْ رَصَاصٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فِيمَا أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ.

وَبَلَّغَنَا عَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَالْيَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ، وَأَنَّهُ أَمَرَ يَوْمًا بِفَضَّةٍ فَأُذِيتَتْ، فَجُعِلَتْ تُلُونُ أَلْوَانًا، فَقَالَ: هَلْ بِالْبَابِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَأَدْخِلُوهُمْ، فَأَدْخِلُوا فَقَالَ: إِنَّ أَدْنَى مَا أَنْتُمْ رَأَوْنَ شَبَهَا بِالْمُهْلِ لِهَذَا. وَقَالَ الشَّاعِرُ:

يَسْقِيهِ رَبِّي حَمِيمَ الْمُهْلِ يَجْرَعُهُ ... يَشْوِي الْوُجُوهُ فَهُوَ فِي بَطْنِهِ صَهْرٌ^{٢٩٩}
وَيُقَالُ: إِنَّ الْمُهْلَ: صَدِيدُ الْجَسَدِ.

بَلَّغَنَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه لَمَّا حَضَرَ أَمْرَ بَثْوَيْنَ لَيْسَيْنِ يُغْسَلَانِ فَيُكْفَنُ فِيهِمَا، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: قَدْ أَغْنَاكَ اللَّهُ يَا أَبَتِ عَنْهُمَا، فَاشْتَرِ كَفَنًا، فَقَالَ: إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى الْمُهْلِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

شَابَ بِالْمَاءِ مِنْهُ مُهْلًا كَرِيهًا ... ثُمَّ عَلَّ الْمُتُونَ بَعْدَ النَّهَالِ^{٣٠٠}
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَنَحْوَهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء)

(٦٠ / ١٧)

٢٩٩ صهر: ذائب.

٣٠٠ الْعِلَلُ: الشَّرْبُ بَعْدَ الشَّرْبِ. وَالْمُتُونَ: الظُّهُورُ. وَالنَّهَالُ: جَمْعُ نَهْلٍ، وَهُوَ الشَّرْبُ الْأَوَّلُ.



(ابنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنُزُولُ سُورَةِ «عَبَسَ»)

وَوَقَفَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَلِّمُهُ، وَقَدْ طَمِعَ فِي إِسْلَامِهِ، فَبَيْنَا هُوَ فِي ذَلِكَ، إِذْ مَرَّ بِهِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى، فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يَسْتَفْرِئُهُ الْقُرْآنَ، فَشَقَّ ذَلِكَ مِنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَضْجَرَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ شَغَلَهُ عَمَّا كَانَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْوَلِيدِ، وَمَا طَمِعَ فِيهِ مِنْ إِسْلَامِهِ. فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ أَنْصَرَفَ عَنْهُ عَابِسًا وَتَرَكَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ

مُطَهَّرَةٍ﴾ (عبس ٨٠/١-١٤)

أَيَّ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ بِشِيرًا وَنَذِيرًا، لَمْ أَخْصَّ بِكَ أَحَدًا دُونَ أَحَدٍ، فَلَا تَمْنَعُهُ مِمَّنْ ابْتِغَاهُ، وَلَا تَتَصَدِّقَ بِهِ لِمَنْ لَا يُرِيدُهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، أَحَدَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَاسْمُهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَيُقَالُ: عَمْرُو. ٣٠١

(أَمْرُ وَفِدِ النَّصَارَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ بِمَكَّةَ، عِشْرُونَ رَجُلًا أَوْ قَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مِنَ النَّصَارَى، حِينَ بَلَغَهُمْ خَبَرُهُ مِنَ الْحَبَشَةِ، فَوَجَدُوهُ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسُوا إِلَيْهِ وَكَلَّمُوهُ وَسَلَّوْهُ، وَرِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي أُنْدِيَتِهِمْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، فَلَمَّا فَرَّغُوا مِنْ مَسْأَلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَمَّا أَرَادُوا، دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَتَلَا

عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَاضَتْ أَعْيُنُهُمْ مِنَ الدَّمْعِ، ثُمَّ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ، وَأَمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَعَرَفُوا مِنْهُ مَا كَانَ يُوصَفُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِمْ مِنْ أَمْرِهِ. فَلَمَّا قَامُوا عَنْهُ اعْتَرَضَهُمْ أَبُو جَهْلٍ ابْنُ هِشَامٍ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُمْ: خَيَّبَكُمُ اللَّهُ مِنْ رَكْبٍ! بَعَثَكُمْ مَنْ وَرَاءَكُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِكُمْ تَرْتَادُونَ لَهُمْ لِتَأْتُوهُمْ بِخَبَرِ الرَّجُلِ، فَلَمْ تَطْمَئِنَّ مَجَالِسُكُمْ عِنْدَهُ، حَتَّى فَارَقْتُمْ دِينَكُمْ وَصَدَقْتُمُوهُ بِمَا قَالَ، مَا نَعْلَمُ رَكْبًا أَحَقَّ مِنْكُمْ. أَوْ كَمَا قَالُوا. فَقَالُوا لَهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نُجَاهِلُكُمْ، لَنَا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، وَلَكُمْ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ، لَمْ نَأَلْ أَنْفُسَنَا خَيْرًا. ٣٠٢

وَيُقَالُ: إِنَّ النَّفَرَ مِنَ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيِّ ذَلِكَ كَانَ.

فَيُقَالُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- فِيهِمْ نَزَلَتْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ

﴿الَّذِينَ آمَنُواهُمْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ. وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ، إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (القصص ٥٢-٥٥)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ سَأَلْتُ ابْنَ شِهَابٍ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِيمَنْ أُنْزِلَ فَقَالَ لِي: مَا أَسْمَعُ مِنْ عُلَمَائِنَا أَنَّهُنَّ أُنْزِلْنَ فِي النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ. وَالْآيَةُ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ مِنْ قَوْلِهِ:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيِينَ وَرُهْبَانًا، وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ﴾ (المائدة ٥ / ٨٢-٨٣)

(تَهَكُّمُ الْمُشْرِكِينَ بِمَنْ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَنَزُولُ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، فَجَلَسَ إِلَيْهِ الْمُسْتَضَعْفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ: خَبَّابٌ، وَعَمَّارٌ، وَأَبُو فَكِيهَةَ يَسَارٌ مَوْلَى صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ مُحَرَّرٍ، وَصُهَيْبٌ، وَأَشْبَاهُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، هَزَّتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ كَمَا تَرَوْنَ، أَهْؤُلَاءِ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنَانٍ بِالْهُدَى وَالْحَقِّ! لَوْ كَانَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ خَيْرًا مَّا سَبَقْنَا هَؤُلَاءِ إِلَيْهِ، وَمَا خَصَّصَهُمُ اللَّهُ بِهِ دُونَنَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ، وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ، وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهْؤُلَاءِ مِّنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِّنْ بَيْنَانٍ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ. وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا، فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام ٥٢-٥٤)

(ادْعَاءُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ بِتَعْلِيمِ جَبْرِ لَهُ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ)

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - كَثِيرًا مَّا يَجْلِسُ عِنْدَ الْمَرْوَةِ إِلَى مَبِيعَةِ غُلَامٍ نَصْرَانِيٍّ، يُقَالُ لَهُ: جَبْرٌ، عَبْدٌ لِّبَنِي الْحَضْرَمِيِّ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: وَاللَّهِ مَا يَعْلَمُ مُحَمَّدًا كَثِيرًا مِّمَّا يَأْتِي بِهِ إِلَّا جَبْرُ النَّصْرَانِيِّ، غُلَامُ بَنِي الْحَضْرَمِيِّ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ، وَهَذَا

لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ (النحل ١٠٣/١٦)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ: يَمِيلُونَ إِلَيْهِ. وَالْإِلْحَادُ: الْمِيلُ عَنِ الْحَقِّ. قَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

إِذَا تَبَعَ الضَّحَّاكَ كُلُّ مُلْحِدٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَعْنِي الضَّحَّاكَ الْخَارِجِيَّ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

(نُزُولُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ - فِيمَا بَلَغَنِي - إِذَا ذُكِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ أَبْتَرُ لَا عَقَبَ لَهُ، لَوْ مَاتَ لَا نَقْطَعَ ذِكْرَهُ وَاسْتَرَحْنَمُ مِنْهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: «إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ» (الكوثر ١/١٠٨) مَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا. وَالْكَوْثَرُ: الْعَظِيمُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ لَيْبِدُ بْنُ رَبِيعَةَ الْكِلَابِيُّ:

وَصَاحِبُ مَلْحُوبٍ فُجِعْنَا بِيَوْمِهِ ... وَعِنْدَ الرِّدَاعِ بَيْتٌ آخِرُ كَوْثَرٍ^{٣٠٣}
يَقُولُ: عَظِيمٌ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ. وَصَاحِبُ مَلْحُوبٍ: عَوْفُ بْنُ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، مَاتَ بِمَلْحُوبٍ. وَقَوْلُهُ: «وَعِنْدَ الرِّدَاعِ بَيْتٌ آخِرُ كَوْثَرٍ»: يَعْنِي شَرِيحَ بْنِ الْأَحْوَصِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ، مَاتَ بِالرِّدَاعِ.

وَكَوْثَرٌ: أَرَادَ: الْكَثِيرَ. وَلَفْظُهُ مُشْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الْكَثِيرِ. قَالَ الْكُمَيْتُ بْنُ زَيْدٍ يَمْدَحُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

٣٠٣ ملحوب: اسم ماء لبني أسد بن خزيمة، وقيل: قرية لبني عبد الله بن الدول بن حنيفة باليمامة.
الرداع: ماء لبني الأعرج بن كعب.

وَأَنْتَ كَثِيرٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ طَيْبٌ ... وَكَانَ أَبُوكَ ابْنُ الْعَقَائِلِ كَوْتَرًا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي عَائِدٍ الْهُدَلِيُّ يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ:

يُحَامِي الْحَقِيقَ إِذَا مَا احْتَدَمْنَ ... وَحَمَحَمْنَ فِي كَوْتَرٍ كَالْجَلَالِ^{٣٠٤}

يَعْنِي بِالْكَوْتَرِ: الْغَبَارَ الْكَثِيرَ، شَبَّهَهُ لِكَثْرَتِهِ عَلَيْهِ بِالْجَلَالِ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هُوَ جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو ابْنُ
أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمٍ أَخِي مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ
أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْكَوْتَرُ الَّذِي
أَعْطَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: نَهْرٌ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ إِلَى آيَلَةَ،^{٣٠٥} آيَتُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، تَرِدُّهُ طُيُورٌ
لَهَا أَعْنَاقٌ كَأَعْنَاقِ الْإِبِلِ. قَالَ:

يَقُولُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ لِنَاعِمَةٌ، قَالَ: آكَلَهَا أَنْعَمُ مِنْهَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ سَمِعْتُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَوْ غَيْرِهِ أَنَّهُ قَالَ ﷺ: مَنْ شَرِبَ مِنْهُ
لَا يَظْمَأُ أَبَدًا.

(نُزُولُ «وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ»)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَكَلَّمَهُمْ فَأَبْلَغَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ
لَهُ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَأَبِيُّ بْنُ خَلْفٍ،

٣٠٤ والحقيق: حُرْمَةُ الْإِنْسَانِ وَمَا يَحْمِيهِ، وَيُرِيدُ بِهِ هُنَا أَتَانَهُ. وَالْجَلَالُ: جَمْعُ جَلٍّ (بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ)، وَهُوَ مَا تَلْبَسُهُ الدَّابَّةُ

لنصان به. واحتدمن: أسر عن الجري فأكثرته.

٣٠٥ آيَلَةُ: هِيَ الْعُقْبَةُ الْأَن.

وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ: لَوْ جُعِلَ مَعَكَ يَا مُحَمَّدُ مَلَكٌ يُحَدِّثُ عَنْكَ النَّاسَ وَيَرَى مَعَكَ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ، وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ، وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا، وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ﴾ (الأنعام ٦/٨-٩)

(نُزُولُ «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ»)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - بِالْوَلِيدِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأُمِّيَّةَ بِنِ خَلْفٍ، وَبِأَبِي جَهْلٍ بِنِ هِشَامٍ، فَهَمْزُوهُ وَاسْتَهْزَؤُوا بِهِ، فَغَاطَهُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ:

﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ، فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (الأنعام ٦/١٠)

(ذِكْرُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ قَالَ: ثُمَّ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَهُوَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ مِنْ إِيلِيَاءَ^{٣٠٦} وَقَدْ فَشَا الْإِسْلَامُ بِمَكَّةَ فِي قُرَيْشٍ، وَفِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا.

...وَكَانَ فِي مَسْرَاهُ، وَمَا ذُكِرَ عَنْهُ بَلَاءٌ وَتَمَحِيصٌ، وَأَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ (ﷻ) فِي قُدْرَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فِيهِ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ وَتَبَاتٌ لِمَنْ آمَنَ وَصَدَّقَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى يَقِينٍ، فَأَسْرَى بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ شَاءَ،

٣٠٦ إِيلِيَاءَ (بِكْسَرٍ أَوَّلُهُ وَاللَّامُ وَيَاءُ وَأَلْفٌ مَدْمُودَةٌ): مَدِينَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ.

لِيُرِيَهُ مِنْ آيَاتِهِ مَا أَرَادَ، حَتَّى عَايَنَ مَا عَايَنَ مِنْ أَمْرِهِ وَسُلْطَانِهِ الْعَظِيمِ، وَقُدْرَتِهِ الَّتِي يَصْنَعُ بِهَا مَا يُرِيدُ...

قَالَ الْحَسَنُ فِي حَدِيثِهِ: فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَضَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُ، حَتَّى انْتَهَى بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَوَجَدَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَأَمَّهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَصَلَّى بِهِمْ، ثُمَّ أُتِيَ بِإِنَاءَيْنِ، فِي أَحَدِهِمَا خَمْرٌ، وَفِي الْآخَرِ لَبَنٌ. قَالَ: فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَاءَ اللَّبَنِ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَتَرَكَ إِنَاءَ الْخَمْرِ. قَالَ: فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ:

هُدَيْتَ لِلْفِطْرَةِ، وَهُدَيْتَ أُمَّتَكَ يَا مُحَمَّدٌ، وَحُرِّمْتَ عَلَيْكُمُ الْخَمْرَ. ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى قُرَيْشٍ فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ. فَقَالَ أَكْثَرُ النَّاسِ: هَذَا وَاللَّهِ الْإِمْرُ^{٣٠٧} الْبَيْنُ، وَاللَّهِ إِنَّ الْعِيرَ لَتُطْرَدُ، شَهْرًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ مُدْبِرَةً، وَشَهْرًا مُقْبِلَةً، أَفِيذْهُبُ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَكَّةَ! قَالَ: فَارْتَدَّ كَثِيرٌ مِمَّنْ كَانَ أَسْلَمَ، وَذَهَبَ النَّاسُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالُوا لَهُ: هَلْ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ فِي صَاحِبِكَ، يُزْعَمُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ وَصَلَّى فِيهِ وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّكُمْ تَكْذِبُونَ عَلَيْهِ، فَقَالُوا بَلَى، هَا هُوَ ذَاكَ فِي الْمَسْجِدِ يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ قَالَهُ لَقَدْ صَدَقَ، فَمَا يُعْجِبُكُمْ مِنْ ذَلِكَ! فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَيُخْبِرُنِي أَنَّ الْخَبَرَ لَيَأْتِيهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَأُصَدِّقُهُ، فَهَذَا أَبْعَدُ^{٣٠٨} مِمَّا تَعْجَبُونَ مِنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَحَدَثْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ هَذِهِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ:

٣٠٧ الإمر (بِكسر الهمزة): العجيب المُنكر.

٣٠٨ في نسخة: «أعجب».

يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَصِّفْهُ لِي، فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ- قَالَ الْحَسَنُ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَرُفِعَ لِي حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُهُ لِأَبِي بَكْرٍ، وَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، كُلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئًا، قَالَ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، حَتَّى إِذَا انْتَهَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقُ، فَيَوْمِئِذٍ سَمَّاهُ الصَّدِيقَ. قَالَ الْحَسَنُ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ ارْتَدَّ عَنْ إِسْلَامِهِ لِدَلِّكَ:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ، وَنُحُوفُهُمْ، فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء ١٧/ ٦٠)

فَهَذَا حَدِيثُ الْحَسَنِ عَنْ مَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَمَا دَخَلَ فِيهِ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ آلِ أَبِي بَكْرٍ: أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ تَقُولُ: مَا فَقِدَ جَسَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَسْرَى بِرُوحِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُثْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْرَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَتْ رُؤْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى صَادِقَةً.

فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا، لِقَوْلِ الْحَسَنِ: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ، قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ (الإسراء ١٧/ ٦٠)،

وَلِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْخَبْرِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ قَالَ لِابْنِهِ:

﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (الصافات ٣٧/ ١٠٢) ثُمَّ مَضَى عَلَى ذَلِكَ.

فَعَرَفْتُ أَنَّ الْوَحْيَ مِنَ اللَّهِ يَأْتِي الْأَنْبِيَاءَ أَتْقَاظًا وَنِيَامًا.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - يَقُولُ: تَنَامُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي يَقْظَانُ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ قَدْ جَاءَهُ، وَعَايَنَ فِيهِ مَا عَايَنَ، مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، عَلَى أَيِّ حَالِهِ كَانَ: نَائِمًا، أَوْ يَقْظَانًا، كُلَّ ذَلِكَ حَقٌّ وَصِدْقٌ. ٣٠٩

(كِفَايَةُ اللَّهِ أَمْرَ الْمُسْتَهْزِئِينَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى صَابِرًا مُحْتَسِبًا، مُؤَدِّيًا إِلَى قَوْمِهِ النَّصِيحَةَ عَلَى مَا يَلْقَى مِنْهُمْ مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْأَذَى وَالِاسْتِهْزَاءِ. وَكَانَ عُظَمَاءُ الْمُسْتَهْزِئِينَ، كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، خَمْسَةَ نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ وَشَرَفٍ فِي قَوْمِهِمْ.

... فَلَمَّا تَمَادَوْا فِي الشَّرِّ، وَكَثُرُوا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْإِسْتِهْزَاءَ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ

﴿فَاصْذَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (الحجر ١٥/٩٤-٩٦)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَوْ غَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ جَبْرِيلَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَطُوفُونَ بِالْبَيْتِ، فَقَامَ وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، فَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، فَرَمَى فِي وَجْهِهِ بَوْرَقَةٍ خَضِرَاءَ، فَعَمِيَ. وَمَرَّ بِهِ الْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، فَأَشَارَ إِلَى بَطْنِهِ، فَاسْتَسْقَى بَطْنُهُ فَمَاتَ مِنْهُ حَبْنًا. ٣١٠ وَمَرَّ بِهِ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، فَأَشَارَ إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ بِأَسْفَلِ كَعْبِ رِجْلِهِ، كَانَ أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ بِسِنِينَ، وَهُوَ يَجُرُّ

٣٠٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٣٩١-٤٠٠.

٣١٠ والحبين (محركة): انتفاخ البطن من داء.

سَبَلَهُ،^{٣١١} وَذَلِكَ أَنَّهُ مَرَّ بِرَجُلٍ مِنْ خُزَاعَةَ وَهُوَ يَرِيضُ نَبْلًا لَهُ، فَتَعَلَّقَ سَهْمٌ مِنْ نَبْلِهِ بِأَرَاهِ، فَخَدَشَ فِي رِجْلِهِ ذَلِكَ الْخَدَشَ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، فَانْتَقَضَ بِهِ^{٣١٢} فَقَتَلَهُ.

وَمَرَّ بِهِ الْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، فَأَشَارَ إِلَى أَحْمَصِ^{٣١٣} رِجْلِهِ وَخَرَجَ عَلَى حِمَارٍ لَهُ يُرِيدُ الطَّائِفَ، فَرَبَضَ بِهِ عَلَى شِبَارِقَةٍ،^{٣١٤} فَدَخَلَتْ فِي أَحْمَصِ رِجْلِهِ شَوْكَةٌ فَقَتَلَتْهُ. وَمَرَّ بِهِ الْحَارِثُ بْنُ الطَّلَاطِلَةِ، فَأَشَارَ إِلَى رَأْسِهِ، فَاْمْتَخَضَ قَيْحًا،^{٣١٥} فَقَتَلَهُ.

(قِصَّةُ أَبِي أُزَيْهَرٍ الدَّوْسِيِّ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَلِيدَ الْوَفَاةُ دَعَا بَنِيهِ، وَكَانُوا ثَلَاثَةً: هِشَامَ ابْنَ الْوَلِيدِ، وَالْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَخَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فَقَالَ لَهُمْ: أَيُّ بَنِيٍّ، أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ، فَلَا تُضَيِّعُوا فِيهِنَّ: دَمِي فِي خُزَاعَةَ فَلَا تَطْلُنَّهُ،^{٣١٦} وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ أَنَّهُمْ مِنْهُ بُرَاءً، وَلَكِنِّي أَخَشَى أَنْ تُسَبُّوا بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ، وَرَبَايَ فِي ثَقِيفٍ، فَلَا تَدْعُوهُ حَتَّى تَأْخُذُوهُ، وَعُقْرِي^{٣١٧} عِنْدَ أَبِي أُزَيْهَرٍ، فَلَا يَقُوتَنَّكُمْ بِهِ. وَكَانَ أَبُو أُزَيْهَرٍ قَدْ زَوَّجَهُ بِنْتًا، ثُمَّ أَمْسَكَهَا عَنْهُ، فَلَمْ يَدْخُلْهَا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ...

وَلَمَّا أَسْلَمَ أَهْلُ الطَّائِفِ كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فِي رَبَا الْوَلِيدِ، الَّذِي كَانَ فِي ثَقِيفٍ، لِمَا كَانَ أَبُوهُ أَوْصَاهُ بِهِ.

٣١١ السبل: فضول الثياب.

٣١٢ انتقض الجرح: إذا تجدد بعد ما برى.

٣١٣ الأخص من باطن القدم: ما لم يصب الأرض.

٣١٤ الشبارقة: شجرة عالية، وفي طبعة بهامش الرُّوض الأنف: شبرقة.

٣١٥ أي أن القَيْحَ تحرك في رأسه وانتشر.

٣١٦ طل الدم وأطله: هدره، فلم يثأر به.

٣١٧ أَعْقَرَ (بَضَمَ الْعَيْنَ): دَيَّعَ الْفَرْجَ الْمُغْصُوبَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنْ تَحْرِيمِ مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا بِأَيْدِي النَّاسِ نَزَلْنَ فِي ذَلِكَ مِنْ طَلَبِ خَالِدِ الرَّبَا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَا إِنَّ كُتُمَ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٢/٢٧٨) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ فِيهَا.^{٣١٨}

(وَفَاةُ أَبِي طَالِبٍ وَخَدِيجَةُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا اشْتَكَى أَبُو طَالِبٍ، وَبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقْلُهُ، قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِنَّ حَمْرَةَ وَعُمَرَ قَدْ أَسْلَمَا، وَقَدْ فَشَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِي قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، فَانْطَلَقُوا بِنَا إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَلْيَأْخُذْ لَنَا عَلَى ابْنِ أَخِيهِ، وَلْيُعْطِهِ مِنَّا، وَاللَّهِ مَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَزُّنَا أَمْرًا.^{٣١٩}

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْبِدٍ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَشَوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَكَلَّمُوهُ، وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فِي رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى، وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَادْعُهُ، فَخُذْ لَهُ مِنَّا، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ، لِيَكْفَ عَنَّا، وَنَكْفَ عَنْهُ، وَلِيَدْعَنَا وَدِينَنَا، وَنَدْعَهُ وَدِينَهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُو طَالِبٍ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا بَنَ أَخِي: هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ، قَدْ اجْتَمَعُوا لَكَ، لِيُعْطُوكَ، وَلِيَأْخُذُوا مِنْكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَعَمْ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُونِيهَا تَمْلِكُونَ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِينُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَيُّكَ، وَعَشَرَ كَلِمَاتٍ، قَالَ: تَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَتَخْلَعُونَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ.

٣١٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٠٨-٤١٤.

٣١٩ ابتزه أمره: سلبه إياه وغلبه عليه.

قَالَ: فَصَفُّوا بِأَيْدِيهِمْ، ثُمَّ قَالُوا: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْأِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ! قَالَ: ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ، فَاَنْطَلِقُوا وَامْضُوا عَلَى دِينِ آبَائِكُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ. قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقُوا.

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ يَا بْنَ أَخِي، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا، قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا أَبُو طَالِبٍ طَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِسْلَامِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ لَهُ: أَيُّ عَمٍّ، فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَسْتَحِلَّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ: فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ، قَالَ: يَا بْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَوْ لَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِي أَبِيكَ مِنْ بَعْدِي، وَأَنْ تَظُنَّ قُرَيْشُ أَنِّي إِنَّمَا قُلْتُهَا جَرَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَقُلْتُهَا، لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِأَسْرِكَ بِهَا. قَالَ: فَلَمَّا تَقَارَبَ مِنْ أَبِي طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَ: نَظَرَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ يُحَرِّكُ شَفْتَيْهِ، قَالَ: فَأَصْغَى إِلَيْهِ بِأُذُنِهِ، قَالَ: فَقَالَ يَا بْنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ قَالَ أَخِي الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُولَهَا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ أَسْمَعْ.

قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّهْطِ الَّذِينَ كَانُوا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُمْ مَا قَالَ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا رَدُّوا:

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَجْعَلِ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ. وَأَنْطَلِقُ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ. مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ (ص ٣٨ / ٧-١)

يَعْنُونَ النَّصَارَى، لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ (المائدة ٥ / ٧٣) ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ﴾ (ص ٣٨ / ٧) ثُمَّ هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ: ٣٢٠

سَعَى الرَّسُولُ إِلَى ثَقِيفٍ يَطْلُبُ النُّصْرَةَ
(أَمُرَ الْجِنَّ الَّذِينَ اسْتَمَعُوا لَهُ وَآمَنُوا بِهِ)

قَالَ: ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ رَاجِعًا إِلَى مَكَّةَ، حِينَ يَسَّ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِنَخْلَةَ^{٣٢١} قَامَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَمَرَّ بِهِ النَّفَرُ مِنَ الْجِنَّ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَهُمْ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - سَبْعَةُ نَفَرٍ مِنْ جِنِّ أَهْلِ نَصِيبِينَ،^{٣٢٢} فَاسْتَمَعُوا لَهُ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ، قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا. فَقَصَّ اللَّهُ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ اللَّهُ ﷻ:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ...﴾

إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَيُحِزُّكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الأحقاف ٤٦/٢٩-٣١)

وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنَّ﴾ (الجن ٧٢/١) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ.^{٣٢٣}

(عَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَقَوْمُهُ أَشَدُّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ وَفِرَاقِ دِينِهِ، إِلَّا قَلِيلًا مُسْتَضْعَفِينَ، مِمَّنْ آمَنَ بِهِ. فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُ نَفْسَهُ فِي الْمَوَاسِمِ، إِذَا كَانَتْ، عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ نَبِيُّ مُرْسَلٌ، وَيَسْأَلُهُمْ أَنْ يُصَدِّقُوهُ وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمُ اللَّهُ مَا بَعَثَهُ بِهِ...

٣٢١ نَخْلَةَ: أَحَدُ وَادَيْنِ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا نَخْلَةُ الشَّامِيَّةِ، وَلِلْآخَرِ نَخْلَةُ الْيَمَانِيَّةِ.

٣٢٢ نَصِيبِينَ: قَاعِدَةُ دِيَارِ رِبْعِيَّةِ.

٣٢٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٢١-٤٢٢.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِ، كُلَّمَا اجْتَمَعَ لَهُ النَّاسُ بِالْمُوسِمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ اللَّهِ مِنَ الْهُدَى وَالرَّحْمَةِ، وَهُوَ لَا يَسْمَعُ بِقَادِمٍ يَقْدُمُ مَكَّةَ مِنَ الْعَرَبِ، لَهُ اسْمٌ وَشَرَفٌ، إِلَّا تَصَدَّى لَهُ، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ مَا عِنْدَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ، ثُمَّ الظَّفَرِيُّ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا:

قَدِمَ سُؤَيْدُ بْنُ صَامِتٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، مَكَّةَ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا، وَكَانَ سُؤَيْدٌ إِنَّمَا يُسَمِّيهِ قَوْمُهُ فِيهِمْ: الْكَامِلَ، لِجَلَدِهِ وَشَعْرِهِ وَشَرَفِهِ وَنَسَبِهِ... فَتَصَدَّى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ سَمِعَ بِهِ، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ سُؤَيْدٌ: فَلَعَلَّ الَّذِي مَعَكَ مِثْلُ الَّذِي مَعِي، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا الَّذِي مَعَكَ؟ قَالَ: مَجَلَّةٌ^{٣٢٤} لُقْمَانٍ -يَعْنِي حِكْمَةَ لُقْمَانَ- فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اعْرِضْهَا عَلَيَّ، فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ:

إِنَّ هَذَا لَكَلَامٌ حَسَنٌ، وَالَّذِي مَعِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، قُرْآنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ، هُوَ هُدًى وَنُورٌ. فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، وَدَعَاهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ، وَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلْتَهُ الْخَزَرَجُ، فَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ لَيَقُولُونَ: إِنَّا لَنَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ. وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ.^{٣٢٥}

٣٢٤ المجلة: الصَّحِيفَةُ وَفِي رِوَايَةٍ: حِكْمَةٌ.

٣٢٥ بُعَاثُ (بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ، وَيُرْوَى بِالْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيْضًا): مَوْضِعٌ كَانَتْ فِيهِ حَرْبٌ بَيْنَ الْأَوْسِ

وَالْخَزَرَجِ.



(إِسْلَامُ إِيَّاسَ بْنِ مُعَاذٍ وَقِصَّةُ أَبِي الْحَيْسِرِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ أَبُو الْحَيْسِرِ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، مَكَّةَ وَمَعَهُ فِتْيَةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فِيهِمْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَى قَوْمِهِمْ مِنَ الْخَزَرَجِ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَاهُمْ فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ لَهُمْ: هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ؟ فَقَالُوا لَهُ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعْثَنِي إِلَى الْعِبَادِ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ. قَالَ: ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ. قَالَ: فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَثًا: أَيُّ قَوْمٍ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ. قَالَ: فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسِرِ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ، حَفَنَةً مِنْ تُرَابِ الْبُطْحَاءِ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ، وَقَالَ: دَعْنَا مِنْكَ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ جِئْنَا لِعَيْرٍ هَذَا. قَالَ: فَصَمَتَ إِيَّاسُ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ وَقَعَةُ بُعَاثٍ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ.

قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ لَبِيدٍ: فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ: أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَسْمَعُونَهُ يُهْلِلُ اللَّهَ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيَحْمَدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا، لَقَدْ كَانَ اسْتَسْعَرَ الْإِسْلَامَ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، حِينَ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا سَمِعَ.^{٣٢٦}

(نُزُولُ الْأَمْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبُكَائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ لَمْ يُؤَذَّنْ لَهُ فِي الْحَرْبِ وَلَمْ تُحَلَّلْ لَهُ الدَّمَاءُ، إِنَّمَا يُؤْمَرُ بِالْدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى، وَالصَّفْحِ عَنِ الْجَاهِلِ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ اضْطَهَدَتْ مَنْ اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى فَتَنَوْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَنَفَوْهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَهُمْ مِنْ بَيْنِ مُفْتُونٍ فِي دِينِهِ، وَمَنْ بَيْنَ مُعَذِّبٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَبَيْنَ هَارِبٍ فِي الْبِلَادِ فَرَارًا مِنْهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ بَارِضِ الْحَبَشَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ بِالْمَدِينَةِ، وَفِي كُلِّ وَجْهٍ، فَلَمَّا عَتَتْ قُرَيْشٌ عَلَى اللَّهِ ﷺ، وَرَدُّوا عَلَيْهِ مَا أَرَادَهُمْ بِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ، وَكَذَّبُوا نَبِيَّهٖ ﷺ، وَعَذَّبُوا وَنَفَوْا مَنْ عَبَدَهُ وَوَحَّدَهُ وَصَدَّقَ نَبِيَّهٖ، وَاعْتَصَمَ بِدِينِهِ، أَذِنَ اللَّهُ ﷻ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ وَالْإِنْتِصَارِ مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ وَبَغَى عَلَيْهِمْ، فَكَانَتْ أَوَّلُ آيَةٍ أُنْزِلَتْ فِي إِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَرْبِ، وَإِحْلَالِهِ لَهُ الدَّمَاءَ وَالْقِتَالَ، لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ، فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ، قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلُمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج ٣٩/٢٢-٤١)



أَيَّ أَنِّي إِنَّمَا أَهْلَلْتُ لَهُمُ الْقِتَالَ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَيَبْنَ النَّاسِ، إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَأَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَآتَوْا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ ﷺ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ:

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أَيَّ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ
﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ (البقرة ١٩٣/٢) أَيَّ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ، لَا يَعْبُدُ مَعَهُ غَيْرُهُ.

(إِذْنُهُ ﷺ لِمُسْلِمِي مَكَّةَ بِالْهِجْرَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ﷺ فِي الْحَرْبِ، وَبَايَعَهُ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنُّصْرَةِ لَهُ وَلِمَنْ اتَّبَعَهُ، وَأَوَى إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ قَوْمِهِ، وَمَنْ مَعَهُ بِمَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَالْهِجْرَةِ إِلَيْهَا، وَاللُّحُوقِ بِإِخْوَانِهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمُنُونَ بِهَا. فَخَرَجُوا أَرْسَالًا،^{٣٢٧} وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ رَبُّهُ فِي الْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.^{٣٢٨}

(كلمة «حوب»)

وَالْحُوبُ: التَّوَجُّعُ، وَهُوَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: الْحَاجَةُ، وَيُقَالُ: الْحُوبُ: الْإِثْمُ^{٣٢٩}

٣٢٧ أَرْسَالًا: جَمَاعَةً فِي إِثْرِ جَمَاعَةٍ.

٣٢٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٦٧-٤٦٨.

٣٢٩ انظر: النساء ٤/٢. السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٧١.

(هَجْرَةُ عُمَرُ وَقِصَّةُ عِيَّاشٍ مَعَهُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ الْمَخْزُومِيُّ، حَتَّى قَدِمَا الْمَدِينَةَ. فَحَدَّثَنِي نَافِعٌ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: اتَّعَدْتُ، لَمَّا أَرَدْنَا الْهَجْرَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ، وَهَشَامُ بْنُ الْعَاصِي بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ التَّنَاضِبُ مِنْ أَصَاةِ بَنِي غِفَارٍ، فَوَقَّ سَرِفٍ،^{٣٣٠} وَقُلْنَا: أَيُّنَا لَمْ يُصْبِحْ عِنْدَهَا فَقَدْ حُسِبَ فَلْيَمُضْ صَاحِبَاهُ.

قَالَ: فَأَصْبَحْتُ أَنَا وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبِيعَةَ عِنْدَ التَّنَاضِبِ، وَحُسِبَ عَنَّا هَشَامٌ، وَفُتِنَ فَافْتُنَّ. فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ نَزَلْنَا فِي بَنِي عُمَرِ وَبَنِي عَوْفٍ بِقُبَاءٍ، وَخَرَجَ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هَشَامٍ وَالْحَارِثُ بْنُ هَشَامٍ إِلَى عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رِبِيعَةَ، وَكَانَ ابْنُ عَمِّهِمَا وَأَخَاهُمَا لِأُمِّهِمَا، حَتَّى قَدِمَا عَلَيْنَا الْمَدِينَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَكَلَّمَاهُ وَقَالَ:

إِنَّ أَمَّكَ قَدْ نَذَرَتْ أَنْ لَا يَمَسَّ رَأْسَهَا مُشْطٌ حَتَّى تَرَكَ، وَلَا تَسْتَظِلَّ مِنْ شَمْسٍ حَتَّى تَرَكَ، فَرَّقْ لَهَا، فَقُلْتُ لَهُ: يَا عِيَّاشُ، إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدَكَ الْقَوْمُ إِلَّا لِيَفْتِنُوكَ عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ، فَوَاللَّهِ لَوْ قَدْ آذَى أَمَّكَ الْقَمَلُ لَامْتَشَطْتُ، وَلَوْ قَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا حَرٌّ مَكَّةَ لَا سْتَظَلَّتْ. قَالَ: فَقَالَ: أَبَرُّ قَسَمٍ أُمِّي، وَلِي هُنَالِكَ مَالٌ فَأَخْذُهُ.

قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي لِمَنْ أَكْثَرُ قُرَيْشٍ مَالًا، فَلَكَ نِصْفُ مَالِي وَلَا تَذْهَبْ مَعَهُمَا. قَالَ: فَأَبَى عَلَيَّ إِلَّا أَنْ يُخْرَجَ مَعَهُمَا، فَلَمَّا أَبَى إِلَّا ذَلِكَ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: أَمَّا إِذْ قَدْ

٣٣٠ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «التَّنَاضِبُ»، يُقَالُ: هُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ، وَمِنْ رَوَاهُ بِالْكَسْرِ، فَهُوَ جَمْعُ تَنْضَبٍ وَهُوَ شَجَرٌ وَاحِدَتُهُ تَنْضَبَةٌ، وَقَيْدُهُ الْوَقْشِيُّ: «التَّنَاضِبُ»، بِكَسْرِ الضَّادِ. كَمَا ذَكَرْنَا.
أَصَاةُ بَنِي غِفَارٍ: عَلَى عَشْرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ. سَرْفٌ: مَوْضِعٌ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ. (رَاجِعْ شَرْحَ السِّيَرَةِ لِأَبِي ذَرٍّ، وَمَعْجَمَ الْبُلْدَانِ، وَمَعْجَمَ مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبَكْرِى).



فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ، فَخُذْ نَاقَتِي هَذِهِ، فَإِنَّهَا نَاقَةٌ نَجِيَّةٌ ذُلُولٌ، فَالْزَمْ ظَهْرَهَا، فَإِنْ رَأَيْتَ مِنْ الْقَوْمِ رَيْبٌ، فَأَنْجِ عَلَيْهَا.

فَخَرَجَ عَلَيْهَا مَعَهُمَا، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ: يَا بَنَ أَخِي، وَاللَّهِ لَقَدْ اسْتَعْلَطْتُ بِعِيرِي هَذَا، أَفَلَا تُعْقِبَنِي عَلَى نَاقَتِكَ هَذِهِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَأَنَاخَ، وَأَنَاخَا لِيَتَحَوَّلَ عَلَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَوْا بِالْأَرْضِ عَدَوْا عَلَيْهِ، فَأَوْثَقَاهُ وَرَبَطَاهُ، ثُمَّ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ، وَفَتَنَاهُ فَافْتِنَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي بِهِ بَعْضُ آلِ عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَيْعَةَ: أَنَّهُمَا حِينَ دَخَلَا بِهِ مَكَّةَ دَخَلَا بِهِ نَهَارًا مُوْتَقًا، ثُمَّ قَالَا: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، هَكَذَا فَاذْعَبُوا بِسَفَهَائِكُمْ، كَمَا فَعَلْنَا بِسَفِينِنَا هَذَا.

(كِتَابُ عُمَرَ إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي نَافِعٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ فِي حَدِيثِهِ، قَالَ: فَكُنَّا نَقُولُ: مَا اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنْ أُفْتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةً، قَوْمٌ عَرَفُوا اللَّهَ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ! قَالَ: وَكَانُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ لِأَنفُسِهِمْ. فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ، وَفِي قَوْلِنَا وَقَوْلِهِمْ لِأَنفُسِهِمْ:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ. وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (الزمر ٥٣-٥٥)

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: فَكَتَبْتُهَا بِيَدِي فِي صَحِيفَةٍ، وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِي قَالَ: فَقَالَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِي: فَلَمَّا أَتَتْنِي جَعَلْتُ أَقْرُؤُهَا بِذِي طُوًى،^{٣٣١} أَصْعَدُ بِهَا فِيهِ وَأَصُوبُ وَلَا أَفْهَمُهَا، حَتَّى قُلْتُ: اللَّهُمَّ فَهَمِّنِيهَا. قَالَ: فَأَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِي أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِيْنَا، وَفِيمَا كُنَّا نَقُولُ فِي أَنْفُسِنَا وَيُقَالُ فِيْنَا. قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى بَعِيرِي، فَجَلَسْتُ عَلَيْهِ، فَلَحِقْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَحَدَّثَنِي مَنْ أَثَقَّ بِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ، وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ: مَنْ لِي بِعِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَهِشَامِ بْنِ الْعَاصِي؟ فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ: أَنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِهِمَا، فَخَرَجَ إِلَى مَكَّةَ، فَقَدِمَهَا مُسْتَخْفِيًا، فَلَقِيَ امْرَأَةً تَحْمِلُ طَعَامًا، فَقَالَ لَهَا: أَيْنَ تُرِيدِينَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أُرِيدُ هَذَيْنِ الْمَحْبُوسَيْنِ - تَعْنِيهِمَا - فَتَبِعَهَا حَتَّى عَرَفَ مَوْضِعَهُمَا، وَكَانَا مَحْبُوسَيْنِ فِي بَيْتٍ لَا سَقْفَ لَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى تَسَوَّرَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ مَرْوَةً^{٣٣٢} فَوَضَعَهَا تَحْتَ قَيْدَيْهِمَا، ثُمَّ ضَرَبَهُمَا بِسَيْفِهِ فَقَطَعَهُمَا، فَكَانَ يُقَالُ لِسَيْفِهِ: «ذُو الْمَرْوَةِ» لِذَلِكَ، ثُمَّ حَمَلَهُمَا عَلَى بَعِيرِهِ، وَسَاقَ بِهِمَا، فَعَثَرَ فَدَمِيتَ أَصْبَعُهُ، فَقَالَ:

هَلْ أَنْتِ إِلَّا أَصْبَعُ دَمِيتَ ... وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ

ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ.^{٣٣٣}

٣٣١ ذو طوى (مَقْصُورًا): مَوْضِعٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ.

٣٣٢ الْمَرْوَةُ: الْحَجَرُ.

٣٣٣ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٤٧٤-٤٧٦.



(هَجْرَةُ الرَّسُولِ ﷺ)

فَأَتَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: لَا تَبْتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ الَّذِي كُنْتَ تَبِيتُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَلَمَّا كَانَتْ عَتَمَةٌ مِنَ اللَّيْلِ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرُصُّدُونَهُ مَتَى يَنَامُ، فَيُثْبِنُونَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَانَهُمْ، قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: نَمْ عَلَى فِرَاشِي وَتَسَجْ^{٣٣٤} بِبُرْدِي هَذَا الْخَضَرِ، فَنَمْ فِيهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلَصَ إِلَيْكَ شَيْءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ إِذَا نَامَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعُوا لَهُ، وَفِيهِمْ أَبُو جَهْلٍ بْنُ هِشَامٍ، فَقَالَ وَهُمْ عَلَى بَابِهِ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ، كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، فَجُعِلَتْ لَكُمْ جَنَّاتُ كَجَنَّاتِ الْأُرْدُنِّ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَهُ فِيكُمْ ذَنْبٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ، ثُمَّ جُعِلَتْ لَكُمْ نَارٌ تُحْرَقُونَ فِيهَا. قَالَ: وَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَ حَفَنَةً مِنْ تَرَابٍ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ. وَأَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ، فَلَا يَرَوْنَهُ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التُّرَابَ عَلَى رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يَتْلُو هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ مِنْ يَس:

﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَاعْشَيْنَاهُمْ لَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (يس ١-٩)

حَتَّى فَرَّخَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ، فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ، فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدًا، قَالَ: خَيِّبَكُمْ اللَّهُ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ

٣٣٤ تسجى بالثوب: غطى به جسده ووجهه.

مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ ثُرَابًا، وَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟ قَالَ: فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ، فَإِذَا عَلَيْهِ ثُرَابٌ، ثُمَّ جَعَلُوا يَتَطَلَّعُونَ فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفِرَاشِ مُتَسَجِّيًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُونَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَمُحَمَّدٌ نَائِمًا، عَلَيْهِ بُرْدُهُ. فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا فَقَامَ عَلِيٌّ ﷺ عَنِ الْفِرَاشِ فَقَالُوا: وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ صَدَقْنَا الَّذِي حَدَّثَنَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ مِنْ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا لَهُ:

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال ٨ / ٣٠)

وَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ:

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ. قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ (الطور ٥٢ / ٣٠-٣١)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمُنُونُ: الْمَوْتُ. وَرَيْبُ الْمُنُونِ: مَا يَرِيبُ وَيَعْرِضُ مِنْهَا.

قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبُهَا تَتَوَجَّعُ ... وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مَنْ يَجْزَعُ وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ فِي الْهَجْرَةِ. ٣٣٥



(الْأَعْدَاءُ مِنْ يَهُودَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَحْبَارُ يَهُودَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَدَاوَةَ، بَغِيًّا وَحَسَدًا وَضَغْنًا، لِمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ، وَانْصَافَ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ، مِمَّنْ كَانَ عَسِيٍّ^{٣٣٦} عَلَى جَاهِلِيَّتِهِ فَكَانُوا أَهْلَ نِفَاقٍ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشُّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبُعْثِ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ فَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ، فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ، وَاتَّخَذُوهُ جُنَّةً مِنَ الْقَتْلِ وَنَافَقُوا فِي السِّرِّ، وَكَانَ هَوَاهُمْ مَعَ يَهُودَ، لِتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ ﷺ، وَجُحُودِهِمُ الْإِسْلَامَ. وَكَانَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَتَعَتَّنُونَهُ^{٣٣٧} وَيَأْتُونَهُ بِالْبَلْسِ، لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يَنْزِلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا.^{٣٣٨}

(مَنْ اجْتَمَعَ إِلَى يَهُودَ مِنْ مُنَافِقِي الْأَنْصَارِ)

...وَجُلَاسُ الَّذِي قَالَ- وَكَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ- لَئِنْ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا لَنَحْنُ شَرٌّ مِنَ الْحُمُرِ. فَرَفَعَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، أَحَدَهُمْ، وَكَانَ فِي حِجْرِ جُلَاسَ، خَلَفَ جُلَاسَ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ: وَاللَّهِ يَا جُلَاسُ، إِنَّكَ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَحْسَنُهُمْ عِنْدِي يَدًا، وَأَعَزَّهُمْ عَلَيَّ أَنْ يُصِيبَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَلَقَدْ قُلْتُ مَقَالَةً لَئِنْ رَفَعْتَهَا عَلَيْكَ لَأَفْضَحَنَّكَ،

٣٣٦ عَسَى: أَيُّ بَقِي.

٣٣٧ يتعننونه: يشقون عليه.

٣٣٨ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٥١٣.

وَلَيْتَن صَمْتُ عَلَيْهَا لَيَهْلِكَنَّ دِينِي، وَلَإِخْدَاهُمَا أَيْسُرُ عَلَيَّ مِنَ الْآخَرَى. ثُمَّ مَشَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ جُلَاسٌ، فَحَلَفَ جُلَاسٌ بِاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ عُمَيْرٌ، وَمَا قُلْتُ مَا قَالَ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِ:

﴿يُخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ، وَهُمْ أُولَا مَا لَمْ يَنَالُوا، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ، وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (التوبة ٩ / ٧٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَلِيمُ: الْمَوْجِعُ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ يَصِفُ إِبِلًا:

وَتَرَفَعَ مِنْ صُدُورِ شَمَرْدَلَاتٍ ٣٣٩ ... يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهَجَّ أَلِيمٌ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَرَعَمُوا أَنَّهُ تَابَ فَحَسُنْتَ تَوْبَتُهُ، حَتَّى عُرِفَ مِنْهُ الْخَيْرُ وَالْإِسْلَامُ.

(شَيْءٌ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُؤَيْدٍ)

وَأَخُوهُ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ، الَّذِي قَتَلَ الْمُجَدَّرُ بْنُ ذِيَادٍ الْبَلَوِيَّ، وَقَيْسَ بْنَ زَيْدٍ، أَحَدَ بَنِي ضُبَيْعَةَ، يَوْمَ أُحُدٍ. خَرَجَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ مُتَأَفِّقًا، فَلَمَّا اتَّقَى النَّاسُ عَدَا عَلَيْهِمَا، فَقَتَلَهُمَا ثُمَّ لَحِقَ بِقُرَيْشٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ الْمُجَدَّرُ بْنُ ذِيَادٍ قَتَلَ سُؤَيْدَ بْنَ صَامِتٍ فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ طَلَبَ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ غَرَّةَ الْمُجَدَّرِ

بْنِ ذِيَادٍ، لِيَقْتُلَهُ بِأَبِيهِ، فَقَتَلَهُ وَحْدَهُ، وَسَمِعْتُ غَيْرَ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: وَالِدَيْلٍ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَقْتُلْ قَيْسَ بْنَ زَيْدٍ، أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي قَتْلَى أَحَدٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، قَتَلَ سُؤَيْدَ بْنَ صَامِتٍ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ غِيلَةً، فِي غَيْرِ حَرْبٍ، رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا يَذْكُرُونَ- قَدْ أَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِقَتْلِهِ إِنْ هُوَ ظَفِرَ بِهِ، فَفَاتَهُ، فَكَانَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أَخِيهِ جُلَّاسٍ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ، لِيَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِ -فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ-:

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ٨٦/٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

(مِنْ بَنِي لُؤْذَانَ)

وَمِنْ بَنِي لُؤْذَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: نَبْتُ بْنُ الْحَارِثِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى الشَّيْطَانِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى نَبْتِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ رَجُلًا جَسِيمًا أَذْلَمَ تَائِرَ شَعْرِ الرَّأْسِ^{٣٤٠} أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ أَسْفَعَ الْخَدَّيْنِ^{٣٤١} وَكَانَ يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ فَيَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ يَنْقُلُ حَدِيثَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أَذْنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئًا صَدَقَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِ:

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة ٦١/٩)

٣٤٠ الأذلم: الأسود الطويل، ويُقال: هُوَ المسترخى الشفتين. تَائِرُ شَعْرِ الرَّأْسِ: أَي مَرْتَفَعَةٌ مَنْتَرَةٌ.

٣٤١ السفعة: حمرة تضرب إلى السواد.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ رِجَالِ بَلْعَجَلَانَ أَنَّهُ حَدَّثَ: أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ يَجْلِسُ إِلَيْكَ رَجُلٌ أَذْلَمُ، ثَائِرُ شَعْرِ الرَّأْسِ، أَسْفَعُ الْخَدَيْنِ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، كَأَنَّهُمَا قِدْرَانِ مِنْ صُفْرِ، كَبِدُهُ أَغْلَظُ مِنْ كَبِدِ الْحِمَارِ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ، فَاحْذَرُهُ. وَكَانَتْ تِلْكَ صِفَةً نَبْتِلَ بْنِ الْحَارِثِ، فِيمَا يَذْكُرُونَ.

(مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ)

وَمِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ: أَبُو حَبِيبَةَ بْنُ الْأَزْعَرِ، وَكَانَ مِمَّنْ بَنَى مَسْجِدَ الصَّرَارِ وَتَعْلَبَهُ بَنُ حَاطِبٍ، وَمُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَهُمَا اللَّذَانِ عَاهَدَا اللَّهَ ﴿لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [النَّحْ الْقِصَّةِ. (التوبة ٧٥/٩)]

وَمُعْتَبُ الَّذِي قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ

﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ... يَقُولُونَ لَوْ

كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ (آل عمران ١٥٤/٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

وَهُوَ الَّذِي قَالَ يَوْمَ الْأَحْزَابِ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَفَيْصَرَ، وَأَحَدُنَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِ:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾

(الْأَحْزَابُ ١٢/٣٣) وَالْحَارِثُ بْنُ حَاطِبٍ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: مُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَتَعْلَبَةُ وَالْحَارِثُ ابْنَا حَاطِبٍ، وَهُمْ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَلَيْسُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ فِيمَا ذَكَرَ لِي مَنْ أَتَقُبُّ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَقَدْ نَسَبَ ابْنُ إِسْحَاقَ تَعْلَبَةَ وَالْحَارِثَ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ فِي أَسْمَاءِ أَهْلِ بَدْرٍ.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَعَبَادُ بْنُ حَنِيفٍ، أَخُو سَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ، وَبَحَزَجُ، وَهُمْ مِمَّنْ كَانَ بَنَى مَسْجِدَ الضَّرَارِ، وَعَمَرُوهُ بْنُ خِذَامٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ نَبْتَلٍ.

(مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ)

وَمِنْ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَالِكٍ: وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَهُوَ مِمَّنْ بَنَى مَسْجِدَ الضَّرَارِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَعُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة ٦٥/٩) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

(مِنْ بَنِي النَّبِيتِ)

وَمِنْ بَنِي النَّبِيتِ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: النَّبِيتُ: عَمَرُو بْنُ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ بْنِ عَمَرُو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ: مَرْبَعُ بْنُ قَيْطِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَجَازَ فِي حَائِطِهِ^{٣٤٢} وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَامِدًا إِلَى أُحُدٍ: لَا أُحِلُّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا، أَنْ تَمُرَّ فِي حَائِطِي، وَأَخَذَ فِي يَدِهِ حَفَنَةً مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ أَعْلَمْتُ أَنِّي لَا أُصِيبُ بِهَذَا التُّرَابِ غَيْرَكَ لَرَمَيْتُكَ بِهِ، فَابْتَدَرَهُ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: دَعُوهُ، فَهَذَا الْأَعْمَى، أَعْمَى الْقَلْبِ، أَعْمَى الْبَصِيرَةِ. فَضْرَبَهُ سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ بِالْقَوْسِ فَشَجَّهُ، وَأَخُوهُ أَوْسُ بْنُ قَيْطِيٍّ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةً، فَأَذَنْ لَنَا فَلَنَرْجِعَ إِلَيْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِذْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب ٣٣/١٣)
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَوْرَةٌ، أَيُّ مُعَوَّرَةٍ لِلْعَدُوِّ وَضَائِعَةٍ، وَجَمْعُهَا: عَوْرَاتٌ. قَالَ النَّابِغَةُ
الدُّبَيَانِيُّ:

مَتَى تَلَقَّوهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةٌ... وَلَا الْجَارَ مَحْرُومًا وَلَا الْأَمْرَ ضَائِعًا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَيْبَاتٍ لَهُ.

وَالْعَوْرَةُ (أَيْضًا): عَوْرَةُ الرَّجُلِ، وَهِيَ حُرْمَتُهُ.
وَالْعَوْرَةُ (أَيْضًا) السَّوَاءُ.

(مِنْ بَنِي ظَفَرٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمِنْ بَنِي ظَفَرٍ، وَاسْمُ ظَفَرٍ: كَعْبُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ حَاطِبُ
بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ رَافِعٍ، وَكَانَ شَيْخًا جَسِيمًا قَدْ عَسَا^{٣٤٣} فِي جَاهِلِيَّتِهِ وَكَانَ لَهُ ابْنٌ مِنْ خِيَارِ
الْمُسْلِمِينَ. يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ حَاطِبٍ أُصِيبَ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَاتُ، فَحُمِلَ
إِلَى دَارِ بَنِي ظَفَرٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنَّهُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ بَهَا مِنْ رِجَالِ
الْمُسْلِمِينَ وَنَسَائِهِمْ وَهُوَ بِالْمَوْتِ فَجَعَلُوا يَقُولُونَ أَنْبَشِرْ يَا بَنَ حَاطِبٍ بِالْجَنَّةِ. قَالَ
فَنَجَمَ^{٣٤٤} نِفَاقُهُ حِينَئِذٍ، فَجَعَلَ يَقُولُ أَبُوهُ أَجَلَ جَنَّةٍ وَاللَّهِ مِنْ حَرَمٍ، غَرَزْتُمْ وَاللَّهِ هَذَا
الْمُسْكِينَ مِنْ نَفْسِهِ.

٣٤٣ عسا: أسن وولى.

٣٤٤ نجم: ظهر.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَسِيرُ بْنُ أَبِي رِيقٍ، وَهُوَ أَبُو طُعْمَةَ، سَارِقُ الدَّرْعَيْنِ، الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾
(النساء ١٠٧/٤)، وَقُزْمَانُ: حَلِيفُ لَهُمْ.

(مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ يَعْلَمُ، إِلَّا أَنَّ الضَّحَّاكَ بْنَ ثَابِتٍ، أَحَدَ بَنِي كَعْبٍ، رَهْطِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ، قَدْ كَانَ يَتَّهَمُ بِالنِّفَاقِ وَحُبِّ يَهُودَ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

مَنْ مُبْلَغُ الضَّحَّاكَ أَنْ عُرِيقَهُ ... أَعْيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَمَجَّدَا
أَتَحِبُّ يُهْدَانِ الْحِجَازَ وَدِينَهُمْ ... كَيْدَ الْحِمَارِ، وَلَا تَحِبُّ مُحَمَّدًا
دِينًا لَعَمْرِي لَا يُوَافِقُ دِينَنَا ... مَا اسْتَنَّ آلُ فِي الْفَضَاءِ وَخَوَدَا

وَكَانَ جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدٍ بَنِي صَامِتٍ قَبْلَ تَوْبَتِهِ - فِيمَا بَلَغَنِي - وَمُعْتَبُ بْنُ قُشَيْرٍ، وَرَافِعُ بْنُ زَيْدٍ، وَبِشْرٌ، وَكَانُوا يُدْعَوْنَ بِالْإِسْلَامِ، فَدَعَاهُمْ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي خُصُومَةٍ كَانَتْ بَيْنَهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْكُفَّانِ، حُكَّامُ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء ٦٠/٤) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

(مَنْ بَنِي جُشَمَ)

وَمَنْ بَنِي جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ائْذَنْ لِي، وَلَا تَفْتِنِّي. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي، وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٤٩/٩) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

(مَنْ بَنِي عَوْفٍ)

وَمَنْ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سُلُولٍ، وَكَانَ رَأْسَ الْمُنافِقِينَ وَإِلَيْهِ يَجْتَمِعُونَ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ: لَيْتَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ. وَفِي قَوْلِهِ ذَلِكَ، نَزَلَتْ سُورَةُ الْمُنافِقِينَ بِأَسْرِهَا. (المنافقون ٦٣/١-١١) وَفِيهِ وَفِي وَدِيعَةٍ - رَجُلٍ مِنْ بَنِي عَوْفٍ - وَمَالِكُ بْنُ أَبِي قَوْقَلٍ، وَسُوَيْدٌ، وَدَاعِسٌ، وَهُمْ مِنْ رَهْطِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سُلُولٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بْنِ سُلُولٍ. فَهُؤُلَاءِ النَّفَرُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَدُسُّونَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ حِينَ حَاصَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: أَنْ اثْبَتُوا، فَوَاللَّهِ لَيْتَ أُخْرِجْتُمْ لِنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا، وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الحشر ٥٩/١١) ثُمَّ الْقِصَّةُ مِنَ السُّورَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر ٥٩/١٦) ٣٤٥



(مَا نَزَلَ مِنَ الْبَقَرَةِ فِي الْمُنَافِقِينَ وَيَهُودَ)

فَفِي هَؤُلَاءِ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ، وَالْمُنَافِقِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، نَزَلَ صَدْرُ سُورَةِ
الْبَقَرَةِ إِلَى الْمِائَةِ مِنْهَا -فِيمَا بَلَغَنِي- وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ:

﴿الْم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة ٢/١-٢)، أَي لَا شَكَّ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُوَيْةَ الْهَذَلِيُّ:

فَقَالُوا عَهْدَنَا الْقَوْمَ قَدْ حَصَرُوا بِهِ ... فَلَا رَيْبَ أَنْ قَدْ كَانَ نَمَّ لَحِيمٌ^{٣٤٦}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ،

وَالرَّيْبُ (أَيْضًا): الرَّيْبَةُ. قَالَ خَالِدُ بْنُ زُهَيْرٍ الْهَذَلِيُّ:

كَأَنِّي أَرَبُّهُ بِرَيْبٍ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَرَوِيهِ: كَأَنِّي أَرَيْتُهُ بِرَيْبٍ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ. وَهُوَ ابْنُ أَخِي أَبِي دُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ.

﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢/٢)، أَي الَّذِينَ يَحْذَرُونَ مِنَ اللَّهِ عُقُوبَتَهُ فِي تَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ

مِنَ الْهُدَى، وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ بِالتَّصَدِيقِ بِمَا جَاءَهُمْ مِنْهُ.

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة ٣/٢) أَي

يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ بِفَرْضِهَا، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ احْتِسَابًا لَهَا.

٣٤٦ حَصَرُوا بِهِ: أَحْدَقُوا. وَلَحِيم: أَي قَتِيل.

﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أَيُصَدِّقُونَكَ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنْ قَبْلِكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، لَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ، وَلَا يَجْحَدُونَ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ رَبِّهِمْ.

﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ٤/٢)، أَيُ بِالْبُعْثِ وَالْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ، أَيُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا كَانَ مِنْ قَبْلِكَ، وَبِمَا جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ. ﴿وَأُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أَيُ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَاسْتِقَامَةٍ عَلَى مَا جَاءَهُمْ. ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة ٥/٢)، أَيُ الَّذِينَ أَدْرَكُوا مَا طَلَبُوا وَنَجَوْا مِنْ شَرِّ مَا مِنْهُ هَرَبُوا.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَإِنْ قَالُوا إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِمَا جَاءَنَا قَبْلَكَ. ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٦/٢) أَيُ أَنَّهُمْ قَدْ كَفَرُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ ذِكْرِكَ، وَجَحَدُوا مَا أَخَذَ عَلَيْهِمُ الِمْثَاقُ لَكَ، فَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكَ وَبِمَا عِنْدَهُمْ، مِمَّا جَاءَهُمْ بِهِ غَيْرُكَ، فَكَيْفَ يَسْتَمِعُونَ مِنْكَ إِنْذَارًا أَوْ تَحْذِيرًا، وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِكَ.

﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ أَيُ عَنِ الْهُدَى أَنْ يُصِيبُوهُ أَبَدًا، يَعْنِي بِمَا كَذَّبُوكَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ رَبِّكَ حَتَّى يُؤْمِنُوا بِهِ، وَإِنْ آمَنُوا بِكُلِّ مَا كَانَ قَبْلَكَ.

﴿وَلَهُمْ﴾ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِكَ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة ٧/٢)

فَهَذَا فِي الْأَخْبَارِ مِنْ يَهُودَ، فِيمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مُعْرِفَتِهِ.



(مَا نَزَلَ فِي مُنَافِقِي الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ)

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَالِيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٨/٢) يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى أَمْرِهِمْ.

﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ. فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَتَى شَكُّهُمْ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ أَيَّ شَكًّا

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ، قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ أَيَّ إِنَّمَا نُرِيدُ الْإِصْلَاحَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ، قَالُوا أَنْتُمُ الَّذِينَ آمَنَ السُّفَهَاءُ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ. وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ مِنْ يَهُودَ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْكَذِبِ بِالْحَقِّ، وَخِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ

﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ أَيَّ إِنَّا عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ.

﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾ أَيَّ إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِالْقَوْمِ، وَنَلْعَبُ بِهِمْ.

يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة ٩/٢-١٥)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَعْمَهُونَ: يَحَارُونَ. تَقُولُ الْعَرَبُ: رَجُلٌ عَمَهُ وَعَامَهُ: أَيَّ حَيْرَانٌ قَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ يَصِفُ بَلَدًا:

أَعْمَى الْهُدَى بِالْجَاهِلِينَ الْعُمَّةِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أُزْجُورَةَ لَهُ. فَالْعَمَّةُ: جَمْعُ عَامِهِ، وَأَمَّا عَمَةُ، فَجَمْعُهَا: عَمِهُونُ.
وَالْمَرْأَةُ: عَمِيَّةٌ وَعَمَهَاءُ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ أَيُّ الْكُفْرِ بِالْإِيمَانِ ﴿فَمَا رَبَحَتْ بِتِجَارَتِهِمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٦/٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ صَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا، فَقَالَ تَعَالَى:
﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي
ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة ١٧/٢)

أَيُّ لَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ وَيَقُولُونَ بِهِ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا بِهِ مِنْ ظُلُمَةِ الْكُفْرِ أَطْفَأُوهُ
بِكُفْرِهِمْ بِهِ وَنَفَاقِهِمْ فِيهِ، فَتَرَكَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلُمَاتٍ الْكُفْرِ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ هُدًى، وَلَا
يَسْتَقِيمُونَ عَلَى حَقٍّ.

﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيَّ فُهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨/٢)
أَيُّ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْهُدَى، صُمُّ بُكْمٌ عُمِّيٌّ عَنِ الْخَيْرِ، لَا يَرْجِعُونَ إِلَى خَيْرٍ وَلَا
يُصَيِّبُونَ نَجَاةً مَا كَانُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ

﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ
الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ١٩/٢)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الصَّيْبُ: الْمَطَرُ، وَهُوَ مِنْ صَابَ يَصُوبُ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ: السَّيِّدُ، مَنْ
سَادَ يَسُودُ، وَالْمَيِّتُ: مَنْ مَاتَ يَمُوتُ، وَجَمْعُهُ: صَيَائِبُ. قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدِ، أَحَدُ بَنِي
رَبِيعَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ زَيْدٍ مَنَاءَ بْنِ تَمِيمٍ:

كَانَهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ حَابَةٌ ... صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَيِّبُ



وَفِيهَا:

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَمَّرٍ^{٣٤٧} ... سَقَتَكَ رَوَايَا الْمُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ
وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيُّ هُمُ مِنْ ظُلْمَةٍ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالْحَذَرِ مِنَ الْقَتْلِ، مِنَ الَّذِي
هُمُ عَلَيْهِ مِنَ الْخِلَافِ وَالتَّخَوُّفِ لَكُمْ، عَلَى مِثْلِ مَا وُصِفَ، مِنَ الَّذِي هُوَ فِي ظُلْمَةٍ
الصَّيْبِ، يَجْعَلُ أَصَابِعَهُ فِي أُذُنَيْهِ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ.

يَقُولُ: وَاللَّهِ مُنْزِلُ ذَلِكَ بِهِمْ مِنَ النَّقْمَةِ، أَيُّ هُوَ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ
﴿بِكَادِ الْبَرْقِ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ أَيُّ لِسَدَّةِ ضَوْءِ الْحَقِّ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ،
﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ أَيُّ يَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَيَتَكَلَّمُونَ بِهِ، فَهُمْ مِنْ قَوْلِهِمْ بِهِ عَلَى
اسْتِقَامَةٍ، فَإِذَا ارْتَكَسُوا مِنْهُ فِي الْكُفْرِ قَامُوا مُتَحِيرِينَ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ أَيُّ لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ
﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٠ / ٢)

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا، مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، أَيُّ
وَحَدُّوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ.

﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ
الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢١ - ٢٢)

(تفسير بعض الكلمات العربية)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَنْدَادُ: الْأَمْثَالُ، وَأَحَدُهُمْ نَذٌّ. قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْعَةَ:

أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَذَّ لَهُ... بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلَ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قصيدة لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيُّ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ غَيْرُهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِي لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرُهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ الَّذِي يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ أَيُّ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ،

﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيُّ مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ

أَعْوَانِكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ

﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَقُّ

﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢٣-٢٤)

أَيُّ لِمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ. ثُمَّ رَغَّبَهُمْ وَحَذَّرَهُمْ نَقْصَ الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْهِمْ لِنَبِيِّهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُمْ، وَذَكَرَ لَهُمْ بَدْءَ خَلْقِهِمْ حِينَ خَلَقَهُمْ، وَشَأْنَ أَبِيهِمْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَمْرَهُ، وَكَيْفَ صَنَعَ بِهِ حِينَ خَالَفَ عَنْ طَاعَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ لِلْأَخْبَارِ مِنْ يَهُودَ ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّ بَلَائِي عِنْدَكُمْ وَعِنْدَ آبَائِكُمْ، لَمَّا كَانَ نَجَاهُمْ بِهِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الَّذِي أَخَذْتُ فِي أَعْنَاقِكُمْ لِنَبِيِّي أَحْمَدَ إِذَا جَاءَكُمْ ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ أَنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدْتُكُمْ عَلَى تَصْدِيقِهِ وَاتِّبَاعِهِ بِوَضْعِ مَا كَانَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَعْنَاقِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ الَّتِي كَانَتْ مِنْ



أَحْدَاثِكُمْ ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة ٢/٤٠) أَيَّ أَنْ أُنْزِلَ بِكُمْ مَا أُنْزِلْتُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مِنَ النَّقَمَاتِ الَّتِي قَدْ عَرَفْتُمْ، مِنْ الْمَسْخِ وَغَيْرِهِ.

﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنْزِلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ، وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ وَعِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ فِيهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ.

﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ. وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢/٤١-٤٢) أَيَّ لَا تَكْتُمُوا مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِرَسُولِي وَبِمَا جَاءَ بِهِ، وَأَنْتُمْ تَجِدُونَهُ عِنْدَكُمْ فِيمَا تَعْلَمُونَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٢/٤٤) أَيَّ أَتَنْهَوْنَ النَّاسَ عَنِ الْكُفْرِ بِمَا عِنْدَكُمْ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْعَهْدِ مِنَ التَّوْرَةِ وَتَتْرَكُونَ أَنْفُسَكُمْ، أَيَّ وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ بِمَا فِيهَا مِنْ عَهْدِي إِلَيْكُمْ فِي تَصْدِيقِ رَسُولِي، وَتَنْقُضُونَ مِيثَاقِي، وَتَجْحَدُونَ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ كِتَابِي. ثُمَّ عَدَدَ عَلَيْهِمْ أَحْدَاثَهُمْ، فَذَكَرَ لَهُمُ الْعَجَلَ وَمَا صَنَعُوا فِيهِ، وَتَوَيْتَهُ عَلَيْهِمْ، وَإِقَالَتَهُ إِيَّاهُمْ، ثُمَّ قَوْلَهُمْ: ﴿أَرَأَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (النساء ٤/١٥٣)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: جَهْرَةً، أَيَّ ظَاهِرًا لَنَا لَا شَيْءَ يَسْتُرُهُ عَنَّا. قَالَ أَبُو الْأَخْزَرِ الْحَمَانِيُّ، وَاسْمُهُ قُتَيْبَةُ:

يَجْهَرُ أَجَوَافَ الْمِيَاهِ السَّدْمِ^{٣٤٨}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

٣٤٨ المِيَاهُ السَّدْمُ: الْقَدِيمَةُ الْعَهْدُ بِالْوَارِدَةِ، حَتَّى كَادَتْ تَنْدْفِنُ.

يَجْهَرُ: يَقُولُ: يُظْهِرُ الْمَاءَ، وَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا يَسْتُرُهُ مِنَ الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَخَذَ الصَّاعِقَةَ إِيَّاهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ لِيُغَرِّبَهُمْ، ثُمَّ إَحْيَاهُ إِيَّاهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ، وَتَظْلِيلَهُ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ، وَإِنزَالَهُ عَلَيْهِمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَقَوْلُهُ لَهُمْ: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ (البقرة ٥٨/٢)، أَيُّ قُولُوا مَا أَمَرَكُم بِهِ أَحْطُ بِهِ ذُنُوبَكُمْ عَنْكُمْ، وَتَبْدِيلُهُمْ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ اسْتَهِزَاءً بِأَمْرِهِ، وَإِقَالَتُهُ إِيَّاهُمْ ذَلِكَ بَعْدَ هُزْنِهِمْ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَنُّ: شَيْءٌ كَانَ يَسْقُطُ فِي السَّحَرِ عَلَى شَجَرِهِمْ، فَيَجْتَنُونَهُ حُلُومًا مِثْلَ الْعَسَلِ، فَيَشْرَبُونَهُ وَيَأْكُلُونَهُ. قَالَ أَعَشَى بَنِي قَيْسٍ بَنِ ثَعْلَبَةَ:

لَوْ أَطْعِمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طَعْمًا فِيهِمْ نَجْعًا^{٣٤٩}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالسَّلْوَى: طَيْرٌ، وَاحِدَتُهَا: سَلَوَاءٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا السَّمَانِيُّ، وَيُقَالُ لِلْعَسَلِ (أَيْضًا): السَّلْوَى. وَقَالَ خَالِدُ بْنُ زُهَيْرٍ الْهُذَلِيُّ:

وَقَاسَمَهَا بِاللَّهِ حَقًّا لَا تَنْتُمْ ... أَلَدُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.
وَحِطَّةٌ: أَيُّ حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِنْ تَبْدِيلِهِمْ ذَلِكَ، كَمَا حَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ عَنْ صَالِحِ مَوْلَى التَّوَامَةِ بِنْتِ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَمَنْ لَا أَتَهُمْ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ



رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: دَخَلُوا الْبَابَ الَّذِي أُمِرُوا أَنْ يَدْخُلُوا مِنْهُ سَجْدًا يَزْحَفُونَ، وَهُمْ يَقُولُونَ حِنْطٌ فِي شَعِيرٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُرَوَّى: حِنْطَةٌ فِي شَعِيرَةٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَاسْتَسْقَاءَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ إِيَّاهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاهُ الْحَجَرَ، فَانْفَجَرَتْ لَهُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا، لِكُلِّ سِبْطٍ ٣٥٠ عَيْنٌ يَشْرَبُونَ مِنْهَا، قَدْ عَلِمَ كُلُّ سِبْطٍ عَيْنَهُ الَّتِي مِنْهَا يَشْرَبُ، وَقَوْلُهُمْ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِثُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ (البقرة ٦١/٢)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْفُومُ: الْحِنْطَةُ. قَالَ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ الثَّقَفِيُّ:

فَوْقَ شِيزَى مِثْلُ الْجَوَابِي عَلَيْهَا ... قِطْعٌ كَالْوَذِيلِ فِي نَفَى فُومٍ ٣٥١

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْوَذِيلُ: قِطْعُ الْفِصَّةِ وَالْفُومُ: الْقَمْحُ، وَاحِدَتُهُ: فُومَةٌ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَعَدَسُهَا وَبَصَلُهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ. اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة ٦١/٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمْ يَفْعَلُوا، وَرَفَعَهُ الطُّورُ فَوْقَهُمْ لِيَأْخُذُوا مَا أُوتُوا، وَالْمَسَخَ الَّذِي كَانَ فِيهِمْ، إِذْ جَعَلَهُمْ قَرْدَةً بِأَحْدَاثِهِمْ، وَالْبَقْرَةَ الَّتِي أَرَاهُمْ اللَّهُ ﷻ بِهَا الْعِبْرَةُ فِي الْقِتَالِ

٣٥٠ الأسباط في بني إِسْحَاقَ، كالقبائل في بني إِسْمَاعِيلَ.

٣٥١ الشيزى: جفان تصنع من خشب يُقال لَهُ: الشيز وهو خشب أسود والجوابى: جمع جابية. وهي الحياض يجى فيها الماء، أي يجمع.

الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، حَتَّى بَيَّنَّ اللَّهُ لَهُمْ أَمْرَهُ، بَعْدَ التَّرْدُّدِ عَلَى مُوسَى عليه السلام فِي صَفَةِ الْبَقَرَةِ، وَقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ حَتَّى كَانَتْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أَيَّ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَأَلَيْنُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمَّا تَدْعُونَ إِلَيْهِ مِنْ الْحَقِّ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ٧٤ / ٢)

ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُؤَيِّسُهُمْ مِنْهُمْ ﴿اقتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ (البقرة ٧٥ / ٢)، وَلَيْسَ قَوْلُهُ يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ، أَنَّ كُلَّهُمْ قَدْ سَمِعَهَا، وَلَكِنَّهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، أَيَّ خَاصَّةٌ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ، فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: قَالُوا لِمُوسَى: يَا مُوسَى، قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَا اللَّهِ، فَأَسْمِعْنَا كَلَامَهُ حِينَ يُكَلِّمُكَ، فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَى عليه السلام مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ، مَرَّهْمُ فَلْيُطَهَّرُوا، أَوْ لْيُطَهَّرُوا ثِيَابُهُمْ، وَلْيُصُومُوا، فَفَعَلُوا. ثُمَّ خَرَجَ بِهِمْ حَتَّى أَتَى بِهِمُ الطُّورَ، فَلَمَّا غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ أَمَرَهُمْ مُوسَى فَوَقَعُوا سُجَّدًا، وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، فَسَمِعُوا كَلَامَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ، حَتَّى عَقَلُوا عَنْهُ مَا سَمِعُوا، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ حَرَفَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَقَالُوا، حِينَ قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تعالى: إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا، خِلَافًا لِمَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ، فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ تعالى لِرَسُولِهِ عليه السلام.



ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ أَيِّ بِصَاحِبِكُمْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَكِنَّهُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةٌ. ﴿وَإِذَا خَلَا بِعُضُومِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾: لَا تَحْدُثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ فِيهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَا بِعُضُومِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٦/٢)

أَيُّ تُقَرِّونَ بَأَنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ، وَهُوَ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ وَنَجِدُ فِي كِتَابِنَا، اجْعَدُوهُ وَلَا تُقَرِّوْا لَهُمْ بِهِ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ (البقرة ٧٧-٧٨)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ: إِلَّا أَمَانِي: إِلَّا قِرَاءَةً، لِأَنَّ الْأُمِّيَّ: الَّذِي يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ. يَقُولُ: لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَنَّهُمْ يَقْرَءُونَهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَيُونُسَ أَنَّهُمَا تَأَوَّلَا ذَلِكَ عَنِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ، حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بِذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ النَّحْوِيُّ وَأَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: تَمَنَّى، فِي مَعْنَى قَرَأَ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾

قَالَ: وَأَنْشَدَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ النَّحْوِيُّ:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ ... وَآخِرَهُ وَافَى حِمَامُ الْمَقَادِرِ
وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا:

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ خَالِيًا ... تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ
وَوَاحِدَةَ الْأَمَانِيِّ: أُمْنِيَّةً.

وَالْأَمَانِيُّ (أَيْضًا): أَنْ يَتَمَنَّى الرَّجُلُ الْمَالَ أَوْ غَيْرَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (البقرة ٧٨ / ٢) أَيَّ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَلَا
يَدْرُونَ مَا فِيهِ، وَهُمْ يَجْحَدُونَ نُبُوتَكَ بِالظَّنِّ.

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً، قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ
عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٨٠ / ٢)

(دَعَا الْيَهُودَ قِلَّةَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَوْلَى لَزِيدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ عِكْرَمَةَ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ،
عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَالْيَهُودُ تَقُولُ: إِنَّمَا مُدَّةُ الدُّنْيَا سَبْعَةُ
آلَافِ سَنَةٍ، وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ اللَّهُ النَّاسَ فِي النَّارِ بِكُلِّ أَلْفِ سَنَةٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا يَوْمًا وَاحِدًا
فِي النَّارِ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ، وَإِنَّمَا هِيَ سَبْعَةُ أَيَّامٍ ثُمَّ يَنْقَطِعُ الْعَذَابُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ
مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً. قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ

عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾



أَيُّ مَنْ عَمِلَ بِمِثْلِ أَعْمَالِكُمْ، وَكَفَرَ بِمِثْلِ مَا كَفَرْتُمْ بِهِ، يُحِيطُ كُفْرُهُ بِمَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حَسَنَةٍ، ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٨٠-٨١) أَيُّ خُلْدٌ أَبَدًا. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٨٢/٢) أَيُّ مَنْ آمَنَ بِمَا كَفَرْتُمْ بِهِ، وَعَمِلَ بِمَا تَرَكْتُمْ مِنْ دِينِهِ، فَلَهُمُ الْجَنَّةُ خَالِدِينَ فِيهَا، يُخْبِرُهُمْ أَنَّ الثَّوَابَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرُّ مُقِيمٌ عَلَى أَهْلِهِ أَبَدًا، لَا انْقِطَاعَ لَهُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ (اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) يُؤَبِّدُهُمْ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أَيُّ مِيثَاقَكُمْ ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (البقرة ٨٣/٢) أَيُّ تَرَكْتُمْ ذَلِكَ كُلَّهُ لَيْسَ بِالتَّنْقِصِ. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ (البقرة ٨٤/٢)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَسْفِكُونَ: تَصُبُّونَ. تَقُولُ الْعَرَبُ: سَفَكَ دَمَهُ، أَيُّ صَبَّهُ، وَسَفَكَ الزُّقَّ، أَيُّ هَرَّاقَهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَكُنَّا إِذَا مَا الصَّيْفُ حَلَّ بِأَرْضِنَا ... سَفَكْنَا دِمَاءَ الْبُذْنِ فِي ثُرْبَةِ الْحَالِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَعْنِي «بِالْحَالِ»: الطِّينَ الَّذِي يُخَالِطُهُ الرَّمْلُ، وَهُوَ الَّذِي تَقُولُ لَهُ الْعَرَبُ: السَّهْلَةُ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: أَنَّ جَبْرِيلَ لَمَّا قَالَ فِرْعَوْنَ:

﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ﴾ (يونس ٩٠/١٠)

أَخَذَ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ وَحَمَائِهِ فَضَرَبَ بِهِ وَجْهَ فِرْعَوْنَ. وَالْحَالُ: مِثْلُ الْحَمَاءَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ (البقرة ٢/ ٨٤) عَلَى
أَنَّ هَذَا حَقٌّ مِنْ مِيثَاقِي عَلَيْكُمْ،

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، تَظَاهَرُونَ
عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾

أَيُّ أَهْلِ الشَّرِّ، حَتَّى يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ مَعَهُمْ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَعَهُمْ.
﴿وَإِنْ يَأْتَوْكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ﴾ وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فِي دِينِكُمْ ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ
عَلَيْكُمْ﴾ فِي كِتَابِكُمْ ﴿إِخْرَاجُهُمْ، أَفْتَوْمُنُونِ بَعْضُ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ أَيُّ
أَتَفَادُونَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ، وَتُخْرِجُونَهُمْ كُفَّارًا بِذَلِكَ.

﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى
أَشَدِّ الْعَذَابِ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ،
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ، وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة ٢/ ٨٥-٨٦)

فَأَنبَهُمُ اللَّهُ ﷻ بِذَلِكَ مِنْ فَعْلِهِمْ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ،
وَأَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَاهُمْ.

فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنَقَاعَ وَلَفْئُهُمْ^{٣٥٢}، حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ، وَالنَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ
وَلَفْئُهُمْ، حُلَفَاءُ الْأَوْسِ. فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنَقَاعَ
مَعَ الْخَزْرَجِ وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حُلَفَاءَهُ
عَلَى إِخْوَانِهِ، حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ، وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةَ يَعْرِفُونَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَا

٣٥٢ لفهم: أي من عد فيهم.

لَهُمْ، وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةَ وَلَا نَارًا، وَلَا بَعَثًا وَلَا قِيَامَةً، وَلَا كِتَابًا، وَلَا حَلَالًا وَلَا حَرَامًا، فَإِذَا وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا أَسَارَهُمْ تَصَدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ، وَأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنِقَاعَ مَنْ كَانَ مِنْ أَسْرَاهُمْ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ وَتَفْتَدِي النَّصِيرُ وَقُرَيْظَةُ مَا فِي أَيْدِي الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ. وَيُطْلُونَ^{٣٥٣} مَا أَصَابُوا مِنَ الدِّمَاءِ، وَقَتَلَى مَنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ، مُظَاهَرَةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ حِينَ أَتَبَهُمْ بِذَلِكَ: ﴿أَفْتَوْنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة ٨٥ / ٢) أَيُّ تَفَادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ وَتَقْتُلُهُ، وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا تَفْعَلَ، تَقْتُلُهُ وَتُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ وَتُظَاهِرُ عَلَيْهِ مَنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ، وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ، ائْتِغَاءَ عَرَضِ الدُّنْيَا. فَبَيَّ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ -فِيمَا بَلَغَنِي- نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ، وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ أَيُّ الْآيَاتِ الَّتِي وَضَعَتْ عَلَى يَدَيْهِ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَخَلْقِهِ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ، وَالْخَبَرِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا يَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ، وَمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ مَعَ الْإِنْجِيلِ، الَّذِي أَحَدَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ. ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ، فَقَالَ:

﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ، فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة ٨٧ / ٢)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ فِي أَكِنَّةٍ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢/٨٨-٨٩)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ عَنْ أَشْيَاحٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالَ: قَالُوا: فِينَا وَاللَّهِ وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ، كُنَّا قَدْ عَلَوْنَاهُمْ ظَهْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ أَهْلُ شِرْكٍ وَهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ فَكَانُوا يَقُولُونَ لَنَا: إِنَّ نَبِيًّا يَبْعَثُ الْآنَ نَتَّبِعُهُ قَدْ أَظَلَّ زَمَانُهُ، نَقْتُلُكُمْ مَعَهُ قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمَ. فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ مِنْ قُرَيْشٍ فَاتَّبَعْنَاهُ كَفَرُوا بِهِ. يَقُولُ اللَّهُ:

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ. بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَنِيَّ أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أَيَّ أَنْ جَعَلَهُ فِي غَيْرِهِمْ ﴿فَبَاؤُا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (البقرة ٢/٨٩-٩٠)

تفسير بعض الكلمات الغريبة

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَبَاءُ وَبَغَضٍ: أَيَّ اعْتَرَفُوا بِهِ وَاحْتَمَلُوهُ. قَالَ أَغَشَى بَنِي قَيْسٍ بْنُ ثَعْلَبَةَ:

أَصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتُهَا قَيْلُهَا^{٣٥}

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَسْرَتُهَا: أَجْلَسَتْهَا لِلْوِلَادَةِ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَالْغَضَبُ عَلَى الْغَضَبِ لِعَظَمَةِ عَلَيْهِمْ فِيمَا كَانُوا ضَيَعُوا مِنَ التَّوْرَةِ، وَهِيَ مَعَهُمْ، وَغَضَبُ كُفْرِهِمْ بِهَذَا النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ.



ثُمَّ أَنبَهُمْ بِرَفْعِ الطُّورِ عَلَيْهِمْ، وَاتَّخَذِهِمُ الْعِجْلَ إِلَهًا دُونَ رَبِّهِمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى
لِمُحَمَّدٍ ﷺ:

﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ، فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٩٤ / ٢)

أَيُّ أَدْعُوا بِالْمَوْتِ عَلَى أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ أَكْذَبُ عِنْدَ اللَّهِ، فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة ٩٥ / ٢)
أَيُّ بَعْلِمِهِمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بَكْ، وَالْكَفْرِ بِذَلِكَ، فَيَقَالُ: لَوْ تَمَنَّوْهُ يَوْمَ قَالَ ذَلِكَ
لَهُمْ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يَهُودِيٌّ إِلَّا مَاتَ. ثُمَّ ذَكَرَ رَغْبَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَطُولِ
الْعُمُرِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾ الْيَهُودَ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ
يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَزَّحٍ مِنْ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ (البقرة ٩٦ / ٢)

أَيُّ مَا هُوَ بِمُنْجِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُشْرِكَ لَا يَرْجُو بَعْثًا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَهُوَ
يُحِبُّ طُولَ الْحَيَاةِ، وَأَنَّ الْيَهُودِيَّ قَدْ عَرَفَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخِزْيِ بِمَا ضَيَّعَ مِمَّا
عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٩٧ / ٢)

(سُؤَالَ الْيَهُودِ الرُّسُولَ، وَإِجَابَتُهُ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ الْمَكِّيُّ، عَنْ شَهْرِ
بْنِ حَوْشَبٍ الْأَشْعَرِيِّ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَجْبَارِ يَهُودَ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ،

أَخْبَرَنَا عَنْ أَرْبَعٍ نَسَأَكَ عَنْهُمْ، فَإِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ اتَّبَعْنَاكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَأَمَّا بِكَ. قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ لِيْن أَنَا أَخْبَرْتُكُمْ بِذَلِكَ لَتَصَدَّقَنِي، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْأَلُوا عَمَّا بَدَا لَكُمْ، قَالُوا: فَأَخْبَرْنَا كَيْفَ يُشْبِهُ الْوَلَدُ أُمَّهُ، وَإِنَّمَا النُّطْفَةُ مِنَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نُّطْفَةَ الرَّجُلِ بَيِّضَاءُ غَلِيظَةٌ، وَنُّطْفَةُ الْمَرْأَةِ صَفْرَاءُ رَقِيقَةٌ، فَأَيُّهُمَا عَلَتْ صَاحِبَتَهَا كَانَ لَهَا الشَّبَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالُوا:

فَأَخْبَرْنَا كَيْفَ نَوْمُكَ؟ فَقَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ نَوْمَ الَّذِي تَزْعُمُونَ أَنِّي لَسْتُ بِهِ تَنَامُ عَيْنُهُ وَقَلْبُهُ يَقْظَانُ؟ فَقَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَكَذَلِكَ نَوْمِي، تَنَامُ عَيْنِي وَقَلْبِي يَقْظَانُ، قَالُوا: فَأَخْبَرْنَا عَمَّا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ؟ قَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُ الْإِبِلِ وَلُحُومُهَا، وَأَنَّهُ اشْتَكَى شَكْوَى، فَعَافَاهُ اللَّهُ مِنْهَا، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ شُكْرًا لِلَّهِ، فَحَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لُحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانَهَا؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالُوا: فَأَخْبَرْنَا عَنِ الرُّوحِ؟ قَالَ: أَنْشِدُكُمْ بِاللَّهِ وَبِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُونَهُ جِبْرِيلُ، وَهُوَ الَّذِي يَأْتِينِي؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، وَلَكِنَّهُ يَا مُحَمَّدُ لَنَا عَدُوٌّ، وَهُوَ مَلَكٌ، إِنَّمَا يَأْتِي بِالشَّدَةِ وَبِسَفْكِ الدَّمَاءِ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَاتَّبَعْنَاكَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٩٧/٢) ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْكُلُوا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ. وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ

نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ؑ أَيُّ السَّحَرِ ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ (البقرة ١٠٠/٢-١٠٢)

(إِنكَارُ الْيَهُودِ بُنْيَاةَ دَاوُدَ ﷺ، وَرَدُّ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -فِيمَا بَلَغَنِي- لَمَّا ذَكَرَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ فِي الْمُرْسَلِينَ، قَالَ بَعْضُ أَحْبَابِهِمْ: أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ، يَزْعُمُ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ كَانَ نَبِيًّا، وَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا سَاحِرًا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُّ بِاتِّبَاعِهِمُ السَّحَرَ وَعَمَلِهِمْ بِهِ. ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ (البقرة ١٠٢/٢)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ مَنْ لَا أَتَّهِمُ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الَّذِي حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ زَائِدَتَا الْكَيْدِ وَالْكُلَيْتَانِ وَالشَّحْمَ، إِلَّا مَا كَانَ عَلَى الظَّهْرِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ يَقْرَبُ لِلْقُرْبَانِ، فَتَأْكُلُهُ النَّارُ.

(كِتَابُهُ ﷺ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَهُودِ خَيْبَرَ، فِيمَا حَدَّثَنِي مَوْلَى لَالٍ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، صَاحِبِ مُوسَى وَأَخِيهِ، وَالْمُصَدِّقِ لِمَا جَاءَ بِهِ مُوسَى: أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ التَّوْرَةِ، وَإِنِّكُمْ لَتَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ:

﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ٢٩/٤٨)

وَإِنِّي أَنشُدُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَنشُدُكُمْ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ، وَأَنشُدُكُمْ بِالَّذِي أَطْعَمَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ أَسْبَاطِكُمُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وَأَنشُدُكُمْ بِالَّذِي أَيْسَرَ الْبَحْرَ لِأَبَائِكُمْ حَتَّى أَنْجَاهُمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ، إِلَّا أَخْبَرْتُموني: هَلْ تَجِدُونَ فِيَمَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ أَنَّ تَوَّعُّبُوا بِمُحَمَّدٍ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ فَلَا كُرْهَ عَلَيْكُمْ. ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة ٢/٢٥٦) فَأَدْعُوكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى نَبِيِّهِ.

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَطْوَةٌ: فِرَاحُهُ، وَوَاحِدَتُهُ: شِطَاءٌ. تَقُولُ الْعَرَبُ: قَدْ أَشْطَأَ الزَّرْعُ، إِذَا أَخْرَجَ فِرَاحَهُ.

وَأَزَرَهُ: عَاوَنَهُ، فَصَارَ الَّذِي قَبْلَهُ مِثْلَ الْأُمَّهَاتِ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيُّ:

بِمَحْنَةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَّ نَبْهَهَا ... مَجَرَّ جُيُوشِ غَانِمِينَ وَخَيْبٍ^{٣٥٥}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ حُمَيْدُ بْنُ مَالِكٍ الْأَرْقَطُ، أَحَدُ بَنِي رِبْعَةَ بْنِ مَالِكٍ

ابْنُ زَيْدٍ مَنَاءَ:

٣٥٥ المحنية: مَا انحنى من الوادي وانعطف. والضال: شجر يشبه السدر تعمل منه القسي.

رَزَعًا وَقَضْبًا مُؤَزَّرَ النَّبَاتِ ٣٥٦

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ،

وَسُوقُهُ (غَيْرُ مَهْمُوزٍ): جَمْعُ سَاقٍ، لِسَاقِ الشَّجَرَةِ.

(مَا نَزَلَ فِي أَبِي يَاسِرٍ وَأَخِيهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، بِخَاصَّةٍ مِنَ الْأَخْبَارِ وَكُفَّارِ يَهُودَ، الَّذِي كَانُوا يَسْأَلُونَهُ وَيَتَعَنَّتُونَهُ لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ - فِيمَا ذَكَرَ لِي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَبَّابٍ - أَنَّ أَبَا يَاسِرٍ بْنَ أَخْطَبَ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَتْلُو فَاتِحَةَ الْبَقَرَةِ: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ (البقرة ١/٢-٢) فَأَتَى أَخَاهُ حُيَيَّ بْنَ أَخْطَبَ فِي رِجَالٍ مِنْ يَهُودَ، فَقَالَ: تَعْلَمُوا وَاللَّهِ، لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّدًا يَتْلُو فِيمَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ فَقَالُوا: أَنْتَ سَمِعْتَهُ؟ فَقَالَ: نَعَمْ فَمَنْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ فِي أَوْلَيْكَ النَّفَرِ مِنْ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَلَمْ يَذْكُرْ لَنَا أَنَّكَ تَتْلُو فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ: ﴿الْمَ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بَلَى، قَالُوا: أَجَاءَكَ بِهَا جَبْرِيلُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: لَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ قَبْلَكَ أَنْبِيَاءَ، مَا نَعْلَمُهُ بَيْنَ لِنَبِيِّ مِنْهُمْ مَا مُدَّةُ مُلْكِهِ، وَمَا أَكُلَ أُمَّتِهِ ٣٥٧ غَيْرَكَ، فَقَالَ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، وَأَقْبَلَ عَلَى مَنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: الْأَلْفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً، أَفَتَدْخُلُونَ فِي دِينٍ إِنَّمَا مُدَّةُ مُلْكِهِ وَأَكُلَ أُمَّتِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ سَنَةً؟

٣٥٦ الفضب: الفصفصة الرطبة.

٣٥٧ الأكل (بالصم): الرزق والطعام. ويُريد «بأكل أمته»: طول مدتهم.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَاذَا؟ قَالَ: «المص» (الأعراف ١/٧) قَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالصَّادُ تِسْعُونَ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَسِتُّونَ وَمِائَةً سَنَةٍ، هَلْ مَعَ هَذَا يَا مُحَمَّدُ غَيْرُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ «الر» (يونس ١/١٠) قَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالرَّاءُ مِائَتَانِ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَتَانِ، هَلْ مَعَ هَذَا غَيْرُهُ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: نَعَمْ «المر» (الرعد ١/١٣) قَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ أَثْقَلُ وَأَطْوَلُ، الْأَلِفُ وَاحِدَةٌ، وَاللَّامُ ثَلَاثُونَ، وَالْمِيمُ أَرْبَعُونَ، وَالرَّاءُ مِائَتَانِ، فَهَذِهِ إِحْدَى وَسَبْعُونَ وَمِائَتًا سَنَةٍ، ثُمَّ قَالَ: لَقَدْ لُبَّسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ، حَتَّى مَا نَذَرِي أَقِيلًا أُعْطِيتَ أَمْ كَثِيرًا؟ ثُمَّ قَامُوا عَنْهُ، فَقَالَ أَبُو يَاسِرٍ لِأَخِيهِ حُيَّيِّ بْنِ أَخْطَبَ وَلِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ: مَا يَذَرِيكُمْ لَعَلَّهُ قَدْ جُمِعَ هَذَا كُلُّهُ لِمُحَمَّدٍ، إِحْدَى وَسَبْعُونَ، وَإِحْدَى وَسِتُّونَ وَمِئَةً، وَإِحْدَى وَثَلَاثُونَ وَمِائَتَانِ، وَإِحْدَى وَسَبْعُونَ وَمِئَتَانِ، فَذَلِكَ سَبْعُ مِئَةٍ وَأَرْبَعُ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، فَقَالُوا: لَقَدْ تَشَابَهَ عَلَيْنَا أَمْرُهُ. فَيَزْعُمُونَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِيهِمْ:

﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران ٧/٣)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ سَمِعْتُ مَنْ لَا أَتَّهَمُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي أَهْلِ نَجْرَانَ، حِينَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ، أَنَّهُ قَدْ سَمِعَ: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي نَفَرٍ مِنْ يَهُودَ، وَلَمْ يُفَسِّرْ ذَلِكَ لِي. فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.



(كُفِّرَ الْيَهُودُ بِهِ ﷺ بَعْدَ اسْتِفْتَا حِهِمْ بِهِ، وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ عِكْرِمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ يَهُودَ كَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ مَبْعَثِهِ، فَلَمَّا بَعَثَهُ اللَّهُ مِنَ الْعَرَبِ كَفَرُوا بِهِ، وَجَحَدُوا مَا كَانُوا يَقُولُونَ فِيهِ. فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. وَبِشْرِ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلِمُوا، فَقَدْ كُتِبَ تَسْتَفْتِحُونَ عَلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ وَنَحْنُ أَهْلُ شَرْكِ، وَتُخْبِرُونَنَا أَنَّهُ مَبْعُوثٌ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، أَحَدُ بَنِي النَّضِيرِ: مَا جَاءَنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا هُوَ بِالَّذِي كُنَّا نَذْكُرُهُ لَكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٢/٨٩)

(مَا نَزَلَ فِي نُكْرَانِ مَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ الْعَهْدَ إِلَيْهِمْ بِالنَّبِيِّ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ، حِينَ بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، - وَذَكَرَ لَهُمْ مَا أَخَذَ عَلَيْهِمْ لَهُ مِنَ الْمِيثَاقِ، وَمَا عَاهَدَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِيهِ: وَاللَّهِ مَا عَاهَدَ إِلَيْنَا فِي مُحَمَّدٍ عَهْدٌ، وَمَا أَخَذَ لَهُ عَلَيْنَا مِنْ مِيثَاقٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ:

﴿أَوْكَلِمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة ٢/١٠٠)

(مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ أَبِي صَلُوبَا: «مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ»)

وَقَالَ أَبُو صَلُوبَا الْفُطَيْوْنِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ آيَةٍ تَتَّبِعُكَ لَهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ (البقرة ٢/٩٩)

(مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ ابْنِ حُرَيْمَةَ وَوَهْبٍ)

وَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ، وَوَهْبُ بْنُ زَيْدٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَيْنَا بِكِتَابٍ تُنَزِّلُهُ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرُؤُهُ، وَفَجَّرَ لَنَا أَنْهَارًا نَتَّبِعُكَ وَنُصَدِّقُكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة ٢/١٠٨)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْعَرَبِيَّةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: سَوَاءُ السَّبِيلِ: وَسَطُ السَّبِيلِ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:
يَا وَبِحَ أَنْصَارِ النَّبِيِّ وَرَهْطِهِ ... بَعْدَ الْمُغِيبِ فِي سَوَاءِ الْمُلْحَدِ^{٣٥٨}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ سَأَذْكُرُهَا فِي مَوْضِعِهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى:

(مَا نَزَلَ فِي صَدِّ حَيٍّ وَأَخِيهِ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ حَيٌّ بْنُ أَخْطَبَ وَأَخُوهُ أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ، مِنْ أَشَدِّ يَهُودَ لِلْعَرَبِ حَسَدًا، إِذْ خَصَّهْمُ اللَّهُ تَعَالَى بِرَسُولِهِ ﷺ، وَكَانَا جَاهِدَيْنِ فِي رَدِّ النَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ بِمَا اسْتَطَاعَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢/١٠٩)



(تَنَازُعُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عِنْدَ الرَّسُولِ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَتَتْهُمْ أَخْبَارُ يَهُودَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَكَفَرَ بَعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ: مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَجَحَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ، قَالَ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (البقرة ١١٣/٢)

أَيُّ كُلِّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ، أَيُّ يَكْفُرُ الْيَهُودُ بِعِيسَى، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ مُوسَى ﷺ بِالتَّصْدِيقِ بِعِيسَى ﷺ، وَفِي الْإِنْجِيلِ مَا جَاءَ بِهِ عِيسَى ﷺ، مِنْ تَصْدِيقِ مُوسَى ﷺ، وَمَا جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْرَةِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكُلُّ يَكْفُرُ بِمَا فِي يَدِ صَاحِبِهِ.

(مَا نَزَلَ فِي طَلَبِ ابْنِ حُرَيْمَةَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ كُنْتُ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ كَمَا تَقُولُ، فَقُلْ لِلَّهِ فَلْيُكَلِّمْنَا حَتَّى نَسْمَعَ كَلَامَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِ:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة ١١٨/٢)

(مَا نَزَلَ فِي سُؤَالِ ابْنِ صُورِيَّا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِأَن يَتَهَوَّدَ)

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَّا الْأَعْوَرُ الْفَطْيُونِيُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَا الْهُدَى إِلَّا مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَاتَّبِعْنَا يَا مُحَمَّدُ تَهْتَدِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى مِثْلَ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَّا وَمَا قَالَتِ النَّصَارَى:

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (البقرة ١٣٥/٢) ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ، وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ١٤١/٢)

(مَقَالَةُ الْيَهُودِ عِنْدَ صَرْفِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكُعْبَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ عَنِ الشَّامِ إِلَى الْكُعْبَةِ، وَصُرِفَتْ فِي رَجَبٍ عَلَى رَأْسِ سَبْعَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رِفَاعَةَ بْنَ قَيْسٍ، وَفَرْدَمُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ، وَرَافِعُ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو، حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَكِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، فَقَالُوا:

يَا مُحَمَّدُ، مَا وَلَّاكَ عَنْ قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا وَأَنْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ؟ ارْجِعْ إِلَى قِبْلَتِكَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا تَتَّبِعُكَ وَنُصَدِّقُكَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ فِتْنَتَهُ عَنْ دِينِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا



لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴿١٤٣﴾ أَيُّ ابْتِلَاءٍ وَاخْتِبَارًا ﴿١٤٤﴾ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴿١٤٥﴾ أَيُّ مِنَ الْفِتَنِ: أَيُّ الَّذِينَ ثَبَّتَ اللَّهُ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴿١٤٧﴾ أَيُّ إِيمَانِكُمْ بِالْقِبْلَةِ الْأُولَى، وَتَصْدِيقَكُمْ بِنَبِيِّكُمْ، وَاتِّبَاعَكُمْ إِيَّاهُ إِلَى الْقِبْلَةِ الْآخِرَةِ، وَطَاعَتَكُمْ بِنَبِيِّكُمْ فِيهَا: أَيُّ لِيُعْطِيَنَّكُمْ أَجْرَهُمَا جَمِيعًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٩﴾ (البقرة ١٤٢/٢ - ١٤٣)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلْتُوَلِّينَا قِبْلَةً تَرْضَاهَا، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (البقرة ١٤٤/٢)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: شَطْرُهُ: نَحْوُهُ وَقَصْدُهُ. قَالَ عَمْرُو بْنُ أَحْمَرَ الْبَاهِلِيُّ - وَبَاهِلَةُ ابْنُ يَعْقِبَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ - يَصِفُ نَاقَةً لَهُ:

تَعْدُو بِنَا شَطْرَ جَمْعٍ وَهِيَ عَاقِدَةٌ ... قَدْ كَارَبَ الْعُقْدَ مِنْ إِيْفَادِهَا الْحَقْبَا^{٣٥٩}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ خُوَيْلِدٍ الْهُذَلِيُّ يَصِفُ نَاقَتَهُ:

إِنَّ النَّعُوسَ بِهَا دَاءٌ مُخَامِرُهَا ... فَشَطْرَهَا نَظَرَ الْعَيْنَيْنِ مَحْسُورُ^{٣٦٠}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ:

٣٥٩ عاقدة: يصف ناقته بأنّها عقدت ذنبها بين فخذيهما، وذلك أول ما تحمل. والإيفاد: الإشراف. والحقب: حبل يشد به الرجل إلى بطن البعير.

٣٦٠ النعوس: الكثرة النعاس. ويروى: «العسير»، وهي الناقة التي تركب قبل أن تراض وتلين. مخامرها: مخالطها. ومحسور: أي معجز.



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالنَّعْوَسُ: نَاقَتُهُ، وَكَانَ بِهَا دَاءٌ فَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظَرَ حَسِيرٍ، مِنْ قَوْلِهِ: وَهُوَ حَسِيرٌ.

﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ. وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِيلَتَكَ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِيلَتِهِمْ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِيلَةَ بَعْضٍ، وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ، إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة ٢/١٤٤-١٤٧)

(كَيْتَمَانُهُمْ مَا فِي التَّوْرَةِ مِنَ الْحَقِّ)

وَسَأَلَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، أَخُو بَنِي سَلِمْةَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَخَارِجَةُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَلْحَارِثِ بْنِ الْخَزَرَجِ، نَفَرًا مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ عَنْ بَعْضِ مَا فِي التَّوْرَةِ، فَكْتَمُوهُمْ إِيَّاهُ، وَأَبَوْا أَنْ يُخْبِرُوهُمْ عَنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ (البقرة ٢/١٥٩)

(جَوَابُهُمْ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ حِينَ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ)

قَالَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْيَهُودَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرَغِبَهُمْ فِيهِ، وَحَذَّرَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ وَنَقَمَتَهُ، فَقَالَ لَهُ رَافِعُ بْنُ خَارِجَةَ، وَمَالِكُ ابْنُ عَوْفٍ: بَلْ نَتَّبِعُ يَا مُحَمَّدُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، فَهُمْ كَانُوا أَعْلَمَ وَخَيْرًا مِنَّا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ

لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة ٢/١٧٠)



(جَمْعُهُمْ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنَقَاعَ)

وَلَمَّا أَصَابَ اللَّهُ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنَقَاعَ، حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِمِثْلِ مَا أَصَابَ بِهِ قُرَيْشًا، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرُّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ، كَانُوا أَغْمَارًا^{٣٦١} لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ وَاللَّهِ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلَقْ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ، قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَالِ، فَتَةً تَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران ١٢/٣-١٣)

(دُخُولُهُ ﷺ بَيْتِ الْمَدْرَاسِ)

قَالَ: وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ الْمَدْرَاسِ^{٣٦٢} عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ النُّعْمَانُ بْنُ عَمْرٍو، وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، قَالَا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلُمَّ إِلَى التَّوْرَةِ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، فَأَيُّمَا عَلَيْهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، وَغَرَّبَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (آل عمران ٢٣/٣-٢٤)

٣٦١ الأغمار: جمع غمر، وهو الذي لم يجرب الأمور.

٣٦٢ بَيْتِ الْمَدْرَاسِ: هُوَ بَيْتُ الْيَهُودِ حَيْثُ يَتَدَارَسُونَ فِيهِ كِتَابَهُمْ. وَفِي سَائِرِ الْأَصُولِ: «بَيْتِ الْمَدَارِسِ»

(اِخْتِلَافُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام)

وَقَالَ أَحْبَارُ يَهُودَ وَنَصَارَى نَجْرَانَ، حِينَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنَازَعُوا، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ. مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ٦٥-٦٨)

(مَا نَزَلَ فِيمَا هُمْ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ غَدَوَةٌ، وَالْكَفْرِ عَشِيَّةٌ)

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَيْفٍ، وَعَدِي بْنُ زَيْدٍ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: تَعَالَوْا نُؤْمِنْ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ غَدَوَةٌ، وَنَكْفُرُ بِهِ عَشِيَّةً، حَتَّى نَلْبِسَ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَصْنَعُونَ كَمَا نَصْنَعُ، وَيَرْجِعُونَ عَنْ دِينِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ. وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ، قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ، قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٧١-٧٣)



(مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ أَبِي رَافِعٍ وَالنَّجْرَانِيِّ «أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى»)

وَقَالَ أَبُو رَافِعٍ الْقُرْطُبِيُّ، حِينَ اجْتَمَعَتِ الْأَخْبَارُ مِنْ يَهُودَ، وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ: أَتُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدٌ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؟ وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٍّ، يُقَالُ لَهُ: الرَّيِّسُ، (وَيُرْوَى: الرَّيْسُ، وَالرَّيِّسُ): أَوَذَاكَ تُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدٌ وَإِلَيْهِ تَدْعُونَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ أَوْ أَمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، فَمَا بِذَلِكَ بَعْثَنِي اللَّهُ، وَلَا أَمَرَنِي، أَوْ كَمَا قَالَ. فَانْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٧٩-٨٠)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الرَّبَّانِيُّونَ: الْعُلَمَاءُ الْفُقَهَاءُ السَّادَةُ، وَاحِدُهُمْ: رَبَّانِيٌّ.^{٣٦٣}
قَالَ الشَّاعِرُ:

لَوْ كُنْتُ مُرْتَهِنًا^{٣٦٤} فِي الْقَوْسِ أَفْتَنَنِي ... مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِي أَحْبَارِ

٣٦٣ وَقِيلَ الرَّبَّانِيُّونَ: الَّذِينَ يَرْبُونَ النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَقِيلَ: نَسَبُوا إِلَى عِلْمِ الرَّبِّ وَالْفِقْهِ فِيمَا أُنْزِلَ، وَزِيدَتْ فِيهِ الْأَلْفُ وَالنُّونُ لِتَضَخِيمِ الْإِسْمِ (عَنِ السَّهِيلِيِّ).

٣٦٤ مَرْتَهِنًا: أَيُّ مُقْبِيَا. وَيُرْوَى: «مَرْتَهَبًا» بِالْبَاءِ بَدَلَ النُّونِ، وَهُوَ مِنَ الرَّهْبَانِيَّةِ، وَهِيَ عِبَادَةُ النَّصَارَى.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْقَوْسُ: صَوْمَعَةُ الرَّاهِبِ. وَأَفْتَنِي، لُغَةٌ تَمِيمٍ. وَفَتَنِي، لُغَةٌ قَيْسٍ.^{٣٦٥}
قَالَ جَرِيرٌ:

لَا وَصَلَ إِذْ صَرَمْتَ هِنْدُ وَلَوْ وَقَفْتُ ... لَا سَتَرْتُ لَتَنِي وَذَا الْمُسْحَيْنِ فِي الْقَوْسِ
أَيَّ صَوْمَعَةِ الرَّاهِبِ.

وَالرَّبَّانِيُّ: مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّبِّ، وَهُوَ السَّيِّدُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾ (يوسف
٤١/١٢) أَيَّ سَيِّدُهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ
بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٨٠/٣)

(مَا نَزَلَ فِي أَخَذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ ذَكَرَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى أَنْبِيَائِهِمْ مِنَ الْمِيثَاقِ بِتَصَدِيقِهِ إِذْ
هُوَ جَاءَهُمْ، وَإِقْرَارُهُمْ، فَقَالَ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي، قَالُوا أَقْرَرْنَا،
قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران ٨١/٣) إِلَىٰ آخِرِ الْقِصَّةِ.

٣٦٥ قَالَ السَّهْلِيُّ: وَمَالُ هَذَا الْفَرْقِ إِلَى أَنْ «فَتَنَتْهُ» صَرْفَتْهُ، فَجَاءَ عَلَى وَزْنِهِ، لِأَنَّ الْمُفْتُونَ مَصْرُوفٌ عَنْ حَقِّهِ، وَ«أَفْتَنَتْهُ» أَضْلَلَتْهُ وَأَغْوَيْتَهُ، فَجَاءَ عَلَى وَزْنِ مَا هُوَ فِي مَعْنَاهُ. وَأَمَّا «فَتَنَتْ» الْحَدِيدَةُ فِي النَّارِ، فَعِلٌ وَزَنَ فَعَلْتُ لَا غَيْرَ، لِأَنَّهَا فِي
مَعْنَى خَبَرْتَهَا وَبَلَوْتَهَا وَنَحَوَ ذَلِكَ.



(سَعْيُهُمْ فِي الْوَقِيعَةِ بَيْنَ الْأَنْصَارِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَمَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا^{٣٦٦}، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضَّغْنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ. فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَعَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَّاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ^{٣٦٧} بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إِذَا اجْتَمَعَ مَلَأُهُمْ بِهَا مِنْ فَرَارٍ. فَأَمَرَ فُتًى شَابًّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمِدْ إِلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ أَذْكَرُ يَوْمَ بُعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدُهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنَ الْأَشْعَارِ.

وَكَانَ يَوْمَ بُعَاثَ يَوْمًا افْتَتَلَتْ فِيهِ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ، وَكَانَ الظُّفْرُ فِيهِ يَوْمِيذٍ لِلْأَوْسِ عَلَى الْخَزَرَجِ، وَكَانَ عَلَى الْأَوْسِ يَوْمِيذٍ حُضَيْرُ بْنُ سَمَّاكِ الْأَشْهَلِيُّ، أَبُو أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ، وَعَلَى الْخَزَرَجِ عَمْرُو بْنُ النُّعْمَانِ الْبِيَّاضِيُّ، فَقُتِلَا جَمِيعًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْأَسْلَتِ:

عَلَى أَنْ قَدْ فُجِعْتُ بِذِي حِفَاطٍ ... فَعَاوَدَنِي لَهُ حُزْنٌ رَصِينٌ^{٣٦٨}

فِيمَا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْرًا ... أَعْصَ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ سَنِينٌ^{٣٦٩}

٣٦٦ عسا: أسن وولى.

٣٦٧ مَلَأُ الْقَوْمُ: أَشْرَافُهُمْ، وَقِيلَ جَمَاعَتُهُمْ.

٣٦٨ الحفاظ: الغضب. ورصين: ثابت دائم.

٣٦٩ العضب: السيف القاطع.

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَحَدِيثُ يَوْمِ بُعَاثٍ أَطْوَلُ مِمَّا ذَكَرْتُ، وَإِنَّمَا مَنَعَنِي مِنْ اسْتِقْصَائِهِ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْقَطْعِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: سَنِينَ: مَسْنُونٌ، مِنْ سَنَنَهُ، إِذَا شَحَدَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَفَعَلَ. فَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ عِنْدَ ذَلِكَ وَتَنَازَعُوا وَتَفَاحَرُوا حَتَّى تَوَاثَبَ رَجُلَانِ مِنَ الْحَيِّينَ عَلَى الرُّكْبِ، أَوْسُ بْنُ قَيْطِيٍّ، أَحَدُ بَنِي حَارِثَةَ بْنِ الْحَارِثِ، مِنْ الْأَوْسِ، وَجَبَّارُ بْنُ صَخْرٍ، أَحَدُ بَنِي سَلَمَةَ مِنَ الْخَزَرَجِ، فَتَقَاوَلَا ثُمَّ قَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: إِنْ شِئْتُمْ رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَةً^{٣٧٠}، فَغَضِبَ الْفَرِيقَانِ جَمِيعًا، وَقَالُوا: قَدْ فَعَلْنَا، مَوْعِدَكُمْ الظَّاهِرَةَ- وَالظَّاهِرَةَ: الْحَرَّةُ- السَّلَاحُ السَّلَاحُ. فَخَرَجُوا إِلَيْهَا. فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى جَاءَهُمْ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُ اللَّهُ، أَبَدَعَوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بَعْدَ أَنْ هَدَاكُمْ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَأَكْرَمَكُمْ بِهِ، وَقَطَعَ بِهِ عَنْكُمْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَاسْتَقْدَكُمْ بِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَأَلْفَ بِهِ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، فَعَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّهَا نَزْعَةٌ^{٣٧١} مِنَ الشَّيْطَانِ، وَكَيْدٌ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَبَكَوْا وَعَانَقَ الرَّجَالُ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ انْصَرَفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، قَدْ أَطْفَأَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَيْدَ عَدُوِّ اللَّهِ شَأْسَ بْنِ قَيْسٍ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي شَأْسِ بْنِ قَيْسٍ وَمَا صَنَعَ:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران ٩٨-٩٩)

٣٧٠ رددناها الآن جَذَعَةً: أي رددنا الآخر إلى أوله.

٣٧١ النزعة: الإفساد بين الناس.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَوْسَ بْنِ قَيْطِيٍّ وَجَبَّارِ بْنِ صَخْرٍ وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا مِنْ قَوْمِهِمَا الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا عَمَّا أَدْخَلَ عَلَيْهِمْ شَأْسٌ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ. وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ، وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران ١٠٠/٣-١٠٥)

(مَا نَزَلَ فِي قَوْلِهِمْ: «مَا آمَنَ إِلَّا شِرَارُنَا»)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَتَعَلَّبَهُ بْنُ سَعِيَّةَ، وَأَسِيدُ بْنُ سَعِيَّةَ، وَأَسَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودَ مَعَهُمْ، فَأَمَنُوا وَصَدَّقُوا وَرَغَبُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَرَسَخُوا فِيهِ، قَالَتْ أَحْبَارُ يَهُودَ، أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْهُمْ: «مَا آمَنَ بِمُحَمَّدٍ وَلَا اتَّبَعَهُ إِلَّا شِرَارُنَا، وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَخْيَارِنَا مَا تَرَكُوا دِينَ آبَائِهِمْ وَذَهَبُوا إِلَى غَيْرِهِ». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

(آل عمران ١١٣/٣)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ):

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: آنَاءَ اللَّيْلِ: سَاعَاتِ اللَّيْلِ: وَوَاحِدُهَا: إِنِّي. قَالَ الْمُتَنَخِّلُ الْهُذَلِيُّ، وَاسْمُهُ مَالِكُ بْنُ عُويَيْرٍ، يَرِثِي أُنَيْلَةَ ابْنَتَهُ:

حُلُوٌّ وَمُرٌّ كَعَطْفِ الْقَدَحِ شِمِيمَتُهُ^{٣٧٢}... فِي كُلِّ إِنِّي فَضَاهُ اللَّيْلِ يَتَنَعَّلُ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ لَبِيدُ بْنُ رَبِيعَةَ، يَصِفُ حِمَارَ وَحْشٍ:

يُطْرَبُ آتَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ ... غَوِي سَقَاهُ فِي التَّجَارِ نَدِيمٌ^{٣٧٣}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، وَيُقَالُ: إِنِّي (مَقْصُورٌ)، فِيمَا أَخْبَرَنِي يُونُسُ.^{٣٧٤}

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ١١٤/٣)

(مَا نَزَلَ فِي نَهْيِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مُبَاطَنَةِ الْيَهُودِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَاصِلُونَ رِجَالًا مِنَ الْيَهُودِ، لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْجَوَارِ وَالْحِلْفِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ بَيْنَهُمْ عَنْ مُبَاطَنَتِهِمْ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾

أَيُّ تُوْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ، وَبِمَا مَضَى مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِكِتَابِكُمْ، فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ أَحَقَّ بِالْبَغْضَاءِ لَهُمْ مِنْهُمْ لَكُمْ ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ، قُلْ مُؤْمِنُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ (آل عمران ١١٨-١١٩) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

٣٧٣ الغوى: المفسد. والتجار: جمع تاجر، وهو بائع الخمر، وفي نسخة: «النجار» بالنون.

٣٧٤ قَالَ السَّهْبِيُّ: وَهَذِهِ لُغَةُ الْقُرْآنِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ نَاطِرِينَ إِنَاءً﴾ (الأحزاب ٥٣/٣٣)



(مَا كَانَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَفِنْحَاصٍ)

وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى يَهُودَ، فَوَجَدَ مِنْهُمْ نَاسًا كَثِيرًا قَدْ اجْتَمَعُوا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ فِنْحَاصُ، وَكَانَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ وَأَخْبَارِهِمْ، وَمَعَهُ حَبِيرٌ مِنْ أَحْبَارِهِمْ، يُقَالُ لَهُ: أَشِيعُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِفِنْحَاصٍ: وَيْحَكَ يَا فِنْحَاصُ! اتَّقِ اللَّهَ وَأَسْلِمَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا لَرَسُولُ اللَّهِ، قَدْ جَاءَكُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِهِ، تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَقَالَ فِنْحَاصُ لِأَبِي بَكْرٍ: وَاللَّهِ يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ فَقْرٍ، وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ، وَمَا تَنْصَرِّعُ إِلَيْهِ كَمَا يَتَصَرَّعُ إِلَيْنَا، وَإِنَّا عَنْهُ لَا غِنَاءَ، وَمَا هُوَ عَنَّا بِغَنِيٍّ، وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا اسْتَقْرَضْنَا أَمْوَالَنَا، كَمَا يَزْعُمُ صَاحِبُكُمْ، يَنْهَاكُمُ عَنِ الرَّبَا وَيُعْطِينَاهُ وَلَوْ كَانَ عَنَّا غَنِيًّا مَا أَعْطَانَا الرَّبَا. قَالَ: فَغَضِبَ أَبُو بَكْرٍ، فَضْرَبَ وَجْهَ فِنْحَاصَ ضَرْبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْلَا الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، لَضَرَبْتُ رَأْسَكَ، أَيُّ عَدُوِّ اللَّهِ. قَالَ: فَذَهَبَ فِنْحَاصُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْ مَا صَنَعَ بِي صَاحِبُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَأَنَّهُمْ أَغْنِيَاءُ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ غَضِبْتُ لِلَّهِ مِمَّا قَالَ، وَضَرَبْتُ وَجْهَهُ. فَجَحَدَ ذَلِكَ فِنْحَاصُ، وَقَالَ: مَا قُلْتُ ذَلِكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيْمَا قَالَ فِنْحَاصُ رَدًّا عَلَيْهِ، وَتَصْدِيقًا لِأَبِي بَكْرٍ:

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا، وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (آل عمران ٣/ ١٨١)

وَنَزَلَ فِي أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ﷺ، وَمَا بَلَغَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْغَضَبِ:

﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا. وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (آل عمران ١٨٦/٣)
ثُمَّ قَالَ فِيمَا قَالَ فَنَحَاصُّ وَالْأَخْبَارُ مَعَهُ مِنْ يَهُودَ:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ. لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ١٨٧/٣-١٨٨)

يَعْنِي فَنَحَاصُّ، وَأَشْبَاهَهُمَا مِنَ الْأَخْبَارِ، الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصَيِّوْنَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى مَا زَيَّنُوا لِلنَّاسِ مِنَ الصَّلَاحِ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: عُلَمَاءُ، وَلَيْسُوا بِأَهْلِ عِلْمٍ، لَمْ يَحْمِلُوهُمْ عَلَى هُدًى وَلَا حَقٍّ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: قَدْ فَعَلُوا.

(أَمْرُهُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْبُخْلِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ كَرْدَمُ بْنُ قَيْسٍ، حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَأَسَامَةُ بْنُ حَبِيبٍ، وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ، وَبَحْرِيُّ بْنُ عَمْرِو، وَحَيِيُّ بْنُ أَخْطَبٍ، وَرَفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، يَأْتُونَ رِجَالًا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانُوا يُخَالِطُونَهُمْ، يَتَصَحَّحُونَ لَهُمْ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ: لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ فِي ذَهَابِهَا، وَلَا تُسَارِعُوا فِي التَّفَقُّةِ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ عَلَامَ يَكُونُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ:

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (النساء ٣٧/٤)

أَيُّ مِنَ التَّوَرَةِ، الَّتِي فِيهَا تَصَدِّقُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا.



﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ (النساء ٣٧-٣٩)

(جَحَدُهُمُ الْحَقَّ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ مِنْ عُظَمَاءِ يَهُودَ، إِذَا كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَوَى لِسَانَهُ، وَقَالَ: أَرَعْنَا سَمْعَكَ يَا مُحَمَّدُ، حَتَّى نَفْهِمَكَ، ثُمَّ طَعَنَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَابَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا. مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ، وَرَاعِنَا أَيْ رَاعِنَا سَمْعَكَ﴾ لَيَّا بِالْسِتِّهِمْ، وَطَعَنَّا فِي الدِّينِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ، وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء ٤٤-٤٦)

وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَارِ يَهُودَ، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ صُورِيَّا الْأَعْوَرُ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْلَمُوا، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ الْحَقَّ، قَالُوا: مَا نَعْرِفُ ذَلِكَ يَا مُحَمَّدُ: فَجَحَدُوا مَا عَرَفُوا، وَأَصْرُوا عَلَى الْكُفْرِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ، وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ

مَفْعُولًا﴾ (النساء ٤٧)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: نَطَمَسَ: نَمَسَحَهَا فَنَسَوِيهَا، فَلَا يُرَى فِيهَا عَيْنٌ وَلَا أَنْفٌ وَلَا قَمٌّ، وَلَا شَيْءٌ مِمَّا يُرَى فِي الْوَجْهِ، وَكَذَلِكَ ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ (القمر ٥٤ / ٣٧)

الْمَطْمُوسُ الْعَيْنُ: الَّذِي لَيْسَ بَيْنَ جَفْنَيْهِ شَيْءٌ. وَيُقَالُ: طَمَسْتُ الْكِتَابَ وَالْأَثَرَ، فَلَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ. قَالَ الْأَخْطَلُ، وَاسْمُهُ الْغَوْثُ بْنُ هُبَيْرَةَ بْنِ الصَّلْتِ التَّغْلِبِيُّ، يَصِفُ إِبِلًا كَلَّفَهَا مَا ذَكَرَ:

وَتَكْلِفُنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصُّوَى ... شَطُونٍ تَرَى حِرْبَاءَهَا يَتَمَلَّمُلُ^{٣٧٥}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاحِدَةُ الصُّوَى: صَوَّةٌ. وَالصُّوَى: الْأَعْلَامُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الطَّرِيقِ وَالْمِيَاهِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَقُولُ: مُسِحَتْ فَاسْتَوَتْ بِالْأَرْضِ، فَلَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ نَاتِيءٌ.

(النَّفَرُ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ مِنْ قُرَيْشٍ وَعَظَفَانَ وَبَنِي قُرَيْظَةَ: حَيٍّ بْنُ أَخْطَبَ، وَسَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ، أَبُو رَافِعٍ، وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَبُو عَمَّارٍ، وَوَحُوحٌ بْنُ عَامِرٍ، وَهُودَةُ بْنُ قَيْسٍ. فَأَمَّا وَحُوحٌ، وَأَبُو عَمَّارٍ، وَهُودَةُ، فَمِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَكَانَ سَائِرُهُمْ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ. فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ قَالُوا: هَؤُلَاءِ أَحْبَابُ

٣٧٥ شطون: بعيد. والحرباء: دويبة أكبر من العظاءة، يستقبل الشمس ويدور معها أينما دارت. ويتململ: يتقلب من شدة الحر.

يَهُودَ، وَأَهْلَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، فَسَلَوْهُمْ: دِينُكُمْ خَيْرٌ أَمْ دِينُ مُحَمَّدٍ؟ فَسَأَلُوهُمْ، فَقَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَهْدَى مِنْهُ وَمَنْ أَتَّبَعَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (النساء ٥١ / ٤)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْجِبْتِ (عِنْدَ الْعَرَبِ): مَا عُبدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وَالطَّاغُوتُ: كُلُّ مَا أَصَلَ عَنِ الْحَقِّ. وَجَمْعُ الْجِبْتِ: جُبُوتٌ، وَجَمْعُ الطَّاغُوتِ طَوَاغِيتٌ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَعْنَا عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ أَنَّهُ قَالَ: الْجِبْتُ: السَّحَرُ وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ.

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (النساء ٥١ / ٤)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ (النساء ٥٤ / ٤)

(إنكارهم التنزيل)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ سُكَيْنٌ وَعَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ: يَا مُحَمَّدُ، مَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ بَعْدَ مُوسَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ،

وَأَتَيْنَا دَاوُدَ رَبُّورًا. وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا. رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿النساء ٤/١٦٣-١٦٥﴾

وَدَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ جَمَاعَةً مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، وَمَا نَشْهَدُ عَلَيْهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء ٤/١٦٦)

(اجْتَمَاعُهُمْ عَلَى طَرَحِ الصَّخْرَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيِّينَ الَّذِينَ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الصَّمْرِيُّ. فَلَمَّا خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالُوا: لَنْ تَجِدُوا مُحَمَّدًا أَقْرَبَ مِنْهُ الْآنَ، فَمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ عَلَى هَذَا النَّيْتِ، فَيَطْرَحَ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيَرِيحَنَا مِنْهُ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشٍ بْنِ كَعْبٍ: أَنَا، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، وَفِيمَا أَرَادَ هُوَ وَقَوْمُهُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة ٥/١١)

(ادِّعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ أَحِبَّاءُ اللَّهِ)

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نُعْمَانُ بْنُ أَصَاءَ، وَبَحْرِيُّ بْنُ عَمْرِو، وَشَأْسُ بْنُ عَدِيٍّ، فَكَلَّمُوهُ وَكَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَدَعَاَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَحَذَّرَهُمْ نِقْمَتَهُ، فَقَالُوا: مَا نَخَوْفُنَا يَا مُحَمَّدُ، نَحْنُ وَاللَّهِ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُؤُهُ، كَقَوْلِ النَّصَارَى. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:



﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة ١٨/٥)

(إِنْكَارُهُمْ نُزُولَ كِتَابٍ بَعْدَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَهُودَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ، وَحَذَرَهُمْ غَيْرَ اللَّهِ وَعُقُوبَتَهُ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، وَكَفَرُوا بِمَا جَاءَهُمْ بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ وَهَبٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَذْكُرُونَهُ لَنَا قَبْلَ مَبْعَثِهِ، وَتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ حُرَيْمَلَةَ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُودَا: مَا قُلْنَا لَكُمْ هَذَا قَطُّ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ بَعْدَ مُوسَى، وَلَا أَرْسَلَ بَشِيرًا وَلَا نَذِيرًا بَعْدَهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمَا:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة ١٩/٥)

ثُمَّ قَصَّ عَلَيْهِمْ خَبَرَ مُوسَى وَمَا لَقِيَ مِنْهُمْ، وَانْتِقَاضَهُمْ عَلَيْهِ^{٣٧٦}، وَمَا رَدُّوا عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَاهُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً عُقُوبَةً.

(رُجُوعُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي حُكْمِ الرَّجْمِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ مَزْيَنَةَ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يُحَدِّثُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ: أَنَّ أَحْبَارَ يَهُودَ اجْتَمَعُوا

فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ، حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ يَهُودَ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَقَالُوا: ابْعَثُوا بِهِذَا الرَّجُلَ وَهَذِهِ الْمَرْأَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَسَلُوهُ كَيْفَ الْحُكْمُ فِيهِمَا، وَوَلُّوهُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ عَمِلَ فِيهِمَا بِعَمَلِكُمْ مِنَ التَّجْبِيَةِ - وَالتَّجْبِيَةُ: الْجَلْدُ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفٍ مَطْلِيٍّ بِقَارٍ، ثُمَّ تُسَوَّدُ وَجُوهُهُمَا، ثُمَّ يُحْمَلَانِ عَلَى حِمَارَيْنِ، وَتُجْعَلُ وَجُوهُهُمَا مِنْ قَبْلِ أَدْبَارِ الْحِمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلَكٌ، وَصَدُقُوهُ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلُبَكُمُوهُ. فَاتَّوَهُ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَاحْكُمْ فِيهِمَا، فَقَدْ وَلَيْنَاكَ الْحُكْمَ فِيهِمَا. فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَخْرِجُوا إِلَيَّ عُلَمَاءَكُمْ، فَأُخْرِجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ، ابْنُ صُورِيَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ: أَنَّهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ، مَعَ ابْنِ صُورِيَا، أَبَا يَاسِرَ بْنَ أَخْطَبَ، وَوَهْبَ بْنَ يَهُوذَا، فَقَالُوا: هَؤُلَاءِ عُلَمَاؤُنَا. فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى حَصَلَ أَمْرُهُمْ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ صُورِيَا: هَذَا أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: مِنْ قَوْلِهِ: «وَحَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ» إِلَى «أَعْلَمُ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ» مِنْ قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ.

فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحَدِثِهِمْ سِنًا، فَأَلْظَمَ بِهِ ^{٣٧٧} رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْأَلَةَ، يَقُولُ لَهُ: يَا بَنَ صُورِيَا، أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَأَذْكُرْكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ

تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيمَنْ رَزَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ لَنَبِيٍّ مُرْسَلٌ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ. قَالَ: فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجَمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَنِي غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ. ثُمَّ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ابْنُ صُورِيَّاءَ، وَجَحَدَ بُيُوتَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾^{٣٧٨} أَيُّ الَّذِينَ بَعَثُوا مِنْهُمْ مَنْ بَعَثُوا وَتَخَلَّفُوا، وَأَمَرُواهُمْ بِمَا أَمَرُواهُمْ بِهِ مِنْ تَحْرِيفِ الْحُكْمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ. ثُمَّ قَالَ:

﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ﴾^{٣٧٩} أَيُّ الرَّجْمِ ﴿فَاخْذَرُوا﴾ (المائدة ٤١/٥) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ طَلْحَةَ بْنِ يَزِيدَ بْنِ رُكَانَةَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِرَجْمِهِمَا، فَرَجَمَا بِبَابِ مَسْجِدِهِ، فَلَمَّا وَجَدَ الْيَهُودِيُّ مَسَّ الْحِجَارَةَ قَامَ إِلَى صَاحِبَتِهِ فَجَنَأَ عَلَيْهَا^{٣٧٨}، يَقِيهَا مَسَّ الْحِجَارَةَ، حَتَّى قُتِلَا جَمِيعًا.

قَالَ: وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي تَحْقِيقِ الزَّنَا مِنْهُمَا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي صَالِحُ بْنُ كَيْسَانَ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: لَمَّا حَكَّمُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيهِمَا، دَعَاهُمْ بِالتَّوْرَةِ، وَجَلَسَ حَبْرٌ

٣٧٨ جَنَأَ عَلَيْهَا: أَيُّ انْحَنَى عَلَيْهَا.

مِنْهُمْ يَتْلُوهَا، وَقَدْ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، قَالَ: فَضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ يَدَ الْحَبْرِ، ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ يَا نَبِيَّ اللَّهِ آيَةُ الرَّجْمِ، يَا بَنِي أَنْ يَتْلَوْهَا عَلَيْكَ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَيَحْكُمُ يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! مَا دَعَاكُمْ إِلَى تَرْكِ حُكْمِ اللَّهِ وَهُوَ بِأَيْدِيكُمْ؟ قَالَ: فَقَالُوا: أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ قَدْ كَانَ فِينَا يُعْمَلُ بِهِ، حَتَّى زَنَى رَجُلٌ مِنَّا بَعْدَ إِحْصَانِهِ، مِنْ بَيُوتِ الْمُلُوكِ وَأَهْلِ الشَّرَفِ، فَمَنَعَهُ الْمُلْكُ مِنَ الرَّجْمِ، ثُمَّ زَنَى رَجُلٌ بَعْدَهُ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْجُمَهُ، فَقَالُوا: لَا وَاللَّهِ، حَتَّى تَرْجُمَ فُلَانًا، فَلَمَّا قَالُوا لَهُ ذَلِكَ اجْتَمَعُوا فَأَصْلَحُوا أَمْرَهُمْ عَلَى التَّجْبِيَةِ، وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الرَّجْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَ اللَّهِ وَكِتَابَهُ وَعَمِلَ بِهِ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِمَا فَرَجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: فَكُنْتُ فِيمَنْ رَجَمَهُمَا.

(ظَلَمُهم فِي الدِّيَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصِينِ عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْآيَاتِ مِنْ الْمَائِدَةِ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا:

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا. وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة ٤٢/٥)

إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي الدِّيَةِ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ، وَذَلِكَ أَنَّ قَتْلَى بَنِي النَّضِيرِ، وَكَانَ لَهُمْ شَرَفٌ، يُؤَدُّونَ الدِّيَةَ كَامِلَةً، وَأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ كَانُوا يُؤَدُّونَ نِصْفَ الدِّيَةِ، فَتَحَاكَمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِيهِمْ، فَحَمَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ، فَجَعَلَ الدِّيَةَ سَوَاءً.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.



(قَصْدُهُمُ الْفِتْنَةَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَابْنُ صَلُوبَا، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا، وَشَأْسُ بْنُ قَيْسٍ، بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَذْهَبُوا بِنَا إِلَى مُحَمَّدٍ، لَعَلَّنَا نَفْتِنَهُ عَنْ دِينِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ بَشَرٌ، فَاتَّوَهُ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنَّا أَحْبَابُ يَهُودَ وَأَشْرَافُهُمْ وَسَادَتُهُمْ، وَأَنَا إِنَّا تَبِعْنَاكَ اتَّبَعْنَاكَ يَهُودُ، وَلَمْ يُخَالِفُونَا، وَأَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ بَعْضِ قَوْمِنَا خُصُومَةٌ، أَفَنَحَاكُمُهُمْ إِلَيْكَ فَتَقْضِيَ لَنَا عَلَيْهِمْ، وَتُؤْمِنُ بِكَ وَتُصَدِّقُكَ، فَأَبَى ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ. أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة ٥/ ٤٩-٥٠)

(جُحُودُهُمْ نُبُوَّةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفَرٌ مِنْهُمْ: أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ، وَنَافِعُ بْنُ أَبِي نَافِعٍ، وَعَازِرُ بْنُ أَبِي عَازِرٍ، وَخَالِدٌ، وَزَيْدٌ، وَإِزَارُ بْنُ أَبِي إِزَارٍ، وَأَشِيعُ، فَسَأَلُوهُ عَمَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ مِنَ الرُّسُلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نُوْمِنُ

﴿بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا، وَمَا أَنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَنْبِيَاءِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى، وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَهُ

مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٦/٢)

فَلَمَّا ذَكَرَ عِيسَىٰ بن مَرْيَمَ عليه السلام جَحَدُوا نُبُوَّتَهُ، وَقَالُوا: لَا نُؤْمِنُ بِعِيسَىٰ بن مَرْيَمَ وَلَا بِمَنْ آمَنَ بِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ، وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ (المائدة ٥ / ٥٩)

(ادْعَاؤُهُمْ أَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ)

وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَافِعُ بْنُ حَارِثَةَ، وَسَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ، وَرَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ عَلَىٰ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، وَتُؤْمِنُ بِمَا عِنْدَنَا مِنَ التَّوْرَةِ، وَتَشْهَدُ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ حَقٌّ؟

قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أَحَدَّثْتُمْ وَجَحَدْتُمْ مَا فِيهَا مِمَّا أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الْمِيثَاقِ فِيهَا، وَكَتَمْتُمْ مِنْهَا مَا أُمِرْتُمْ أَنْ تَبَيَّنُوهُ لِلنَّاسِ، فَبَرِئْتُ مِنْ إِحْدَاثِكُمْ، قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُ بِمَا فِي أَيْدِينَا، فَإِنَّا عَلَى الْهُدَى وَالْحَقِّ، وَلَا نُؤْمِنُ بِكَ، وَلَا نَتَّبِعُكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ فِيهِمْ:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة ٥ / ٦٨)

(إِشْرَاكُهُمْ بِاللَّهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ النَّحَّامُ بْنُ زَيْدٍ، وَقُرْدَمُ ابْنُ كَعْبٍ، وَبَحْرِيُّ بْنُ عَمْرِو، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ، وَإِلَىٰ ذَلِكَ أَدْعُو. فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ:



﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَأَوْحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ، أَلَيْسَ لَكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى، قُلْ لَا أَشْهَدُ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ، وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ، الَّذِينَ اتَّيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام ٦/ ١٩-٢٠)

(نَهَيْهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَادَّتِهِمْ)

وَكَانَ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ، وَسُوَيْدُ بْنُ الْحَارِثِ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ وَنَافَقًا فَكَانَ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُوَادُّونَهُمَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُومَ مُؤْمِنِينَ﴾...

إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَاؤُكُمْ قَالُوا آمَنَّا، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ (المائدة ٥/ ٥٧-٦١)

(سُئِلَهُمْ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ)

وَقَالَ جَبَلُ بْنُ أَبِي قُسَيْرٍ، وَشَمُوِيلُ بْنُ زَيْدٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنَا، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف ٧/ ١٨٧)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَيَّانَ مُرْسَاهَا: مَتَى مُرْسَاهَا. قَالَ قَيْسُ بْنُ الْحَدَّادِيةِ الْخَزَاعِيُّ:

فَجِئْتُ وَمُخْفَى السَّرِّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... لِأَسْأَلَهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعٌ؟

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَمُرْسَاهَا: مُنْتَهَاهَا، وَجَمْعُهُ: مَرَاسٍ. قَالَ الْكُمَيْتُ ابْنُ زَيْدٍ الْأَسَدِيُّ:

وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّاسَ ... وَمُرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَمُرْسَى السَّفِينَةِ: حَيْثُ تَنْتَهِي.

وَحَفِيٌّ عَنْهَا (عَلَى التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ). يَقُولُ: يَسْأَلُونَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ

فَتُخَبِّرُهُمْ بِمَا لَا تُخَبِّرُ بِهِ غَيْرُهُمْ.

وَالْحَفِيُّ: الْبَرُّ الْمُتَعَهِّدُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (مريم ٤٧/١٩) وَجَمْعُهُ:

أَحْفِيَاءُ. وَقَالَ أُعْشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

فَإِنْ تَسْأَلِي عَنِّي فَيَا رَبَّ سَائِلٍ ... حَفِيٌّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا^{٣٧٩}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالْحَفِيُّ (أَيْضًا): الْمُسْتَحْفِي عَنْ عِلْمِ الشَّيْءِ، الْمُبَالِغُ فِي طَلَبِهِ.

(ادْعَاؤُهُمْ أَنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى أَبُو أَنَسٍ، وَمَحْمُودُ بْنُ دَحِيَّةٍ، وَشَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَمَالِكُ بْنُ الصَّيْفِ، فَقَالُوا لَهُ: كَيْفَ نَتَّبِعُكَ وَقَدْ تَرَكْتَ قِبَلَتَنَا، وَأَنْتَ لَا تَزْعُمُ أَنَّ عَزِيرًا ابْنُ اللَّهِ؟

فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرُ ابْنُ اللَّهِ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (التوبة ٣٠ / ٩) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَضَاهَوْنَ: أَيُّ يُشَاكِلُ قَوْلُهُمْ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا، نَحْوُ أَنْ تُحَدِّثَ بِحَدِيثٍ، فَيُحَدِّثَ آخَرُ بِمِثْلِهِ، فَهُوَ يُضَاهِيكَ.

(طَلَبُهُمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَآتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَحْمُودُ بْنُ سَيْحَانَ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَضَاءَ، وَبَحْرِيُّ بْنُ عَمْرِو، وَعَزِيرُ بْنُ أَبِي عَزِيرٍ، وَسَلَامُ بْنُ مِشْكَمٍ، فَقَالُوا: أَحَقُّ يَا مُحَمَّدُ أَنْ هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ لِحَقٍّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَإِنَّا لَا نَرَاهُ مُتَّبِعًا كَمَا تَتَّبَعُ التَّوْرَةَ؟ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَتَعْرِفُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. تَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَلَوْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ مَا جَاءُوا بِهِ، فَقَالُوا عِنْدَ ذَلِكَ، وَهُمْ جَمِيعٌ: فَنَحَاصُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا، وَابْنُ صَلُوبَا، وَكِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ، وَأَشِيعُ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَشَمُوِيلُ بْنُ زَيْدٍ، وَجَبَلُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سُكَيْنَةَ:

يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يَعْلَمُكَ هَذَا إِنْسٌ وَلَا جِنٌّ؟ قَالَ: فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَمَا وَاللَّهِ
إِنَّكُمْ لَتَعْمُونَ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَإِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ: تَجِدُونَ ذَلِكَ مَكْتُوبًا عِنْدَكُمْ فِي
التَّوْرَةِ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَصْنَعُ لِرَسُولِهِ إِذَا بَعَثَهُ مَا يَشَاءُ وَيَقْدِرُ مِنْهُ عَلَى مَا
أَرَادَ، فَأَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرُوهُ وَنَعْرِفُهُ، وَإِلَّا جِئْنَاكَ بِمِثْلِ مَا تَأْتِي بِهِ. فَأَنْزَلَ
اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِيمَا قَالُوا:

﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ٨٨/١٧)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الظَّهِيرُ: الْعَوْنُ. وَمِنْهُ قَوْلُ الْعَرَبِ: تَظَاهَرُوا عَلَيْهِ، أَيُّ تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ.
قَالَ الشَّاعِرُ:

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدِّينِ ... قَوَامًا وَلِلْإِمَامِ ظَهِيرًا
أَيُّ عَوْنًا، وَجَمْعُهُ: ظَهْرَاءُ.

(سؤالهم له ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَالَ حُبَيْ بْنُ أَخْطَبَ، وَكَعْبُ بْنُ أَسَدٍ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَأَشِيعُ،
وَشَمُوِيلُ بْنُ زَيْدٍ، لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ حِينَ أَسْلَمَ: مَا تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِي الْعَرَبِ وَلَكِنْ
صَاحِبُكَ مَلَكٌ. ثُمَّ جَاءُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلُوهُ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ فَقَصَّ عَلَيْهِمْ مَا جَاءَهُ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، مِمَّا كَانَ قَصٌّ عَلَى قُرَيْشٍ، وَهُمْ كَانُوا مِمَّنْ أَمَرَ قُرَيْشًا أَنْ يَسْأَلُوا
رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ، حِينَ بَعَثُوا إِلَيْهِمُ النَّضَرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعَقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ.



(تَهَجُّمُهُمْ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ، وَغَضَبُ الرَّسُولِ ﷺ لِذَلِكَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^{٣٨٠}: وَحَدَّثْتُ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّهُ قَالَ: أَتَى رَهْطٌ مِنْ يَهُودَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَعَ لَوْنُهُ^{٣٨١}، ثُمَّ سَاوَرَهُمْ^{٣٨٢} غَضَبًا لِرَبِّهِ. قَالَ: فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ فَسَكَّنَهُ، فَقَالَ: خَفِّضْ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، وَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ عَنْهُ:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (الإخلاص ١-٤)

قَالَ: فَلَمَّا تَلَاهَا عَلَيْهِمْ، قَالُوا: فَصِفْ لَنَا يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ خَلَقَهُ؟ كَيْفَ ذِرَاعُهُ؟ كَيْفَ عِضْدُهُ؟ فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشَدَّ مِنْ غَضَبِهِ الْأَوَّلِ، وَسَاوَرَهُمْ. فَاتَاهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِجَوَابٍ مَا سَأَلُوهُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر ٣٩/٦٧)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عُتْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ، مَوْلَى بَنِي تَيْمٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ابْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ
«يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ حَتَّى يَقُولَ قَائِلُهُمْ: هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَإِذَا قَالُوا ذَلِكَ فَقُولُوا: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾» (الإخلاص ١١٢/٤-١) ثُمَّ لَيْتَنِلَ الرَّجُلُ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلَيْسَتَعِدْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

٣٨٠ في نسخة: «قَالَ ابْنُ هِشَامٍ».

٣٨١ انتفع لونه: تغير.

٣٨٢ ساورهم: واثبهم وباطشهم.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الصَّمَدُ: الَّذِي يُصَمَدُ إِلَيْهِ، وَيُقَرَّعُ إِلَيْهِ، قَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ مَعْبِدِ بْنِ نَضْلَةَ تَبْكِي عَمْرَو بْنَ مَسْعُودٍ، وَخَالِدَ بْنَ نَضْلَةَ، عَمَّيْهَا الْأَسَدِيَّيْنِ، وَهُمَا اللَّذَانِ قَتَلَ النُّعْمَانُ بْنُ الْمُنْذِرِ اللَّخْمِيُّ، وَبَنَى الْغُرَيَّيْنِ^{٣٨٣} اللَّذَيْنِ بِالْكُوفَةِ عَلَيْهِمَا:

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرِي بَنِي أَسَدٍ^{٣٨٤}... بِعَمْرِو بْنِ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ^{٣٨٥}

(أَمْرُ السَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ وَذِكْرُ الْمُبَاهِلَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَدُ نَصَارَى نَجْرَانَ، سِتُونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةُ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فِي الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يُثُولُ أَمْرُهُمْ: الْعَاقِبُ، أَمِيرُ الْقَوْمِ وَذُو رَأْيِهِمْ، وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ، وَالَّذِي لَا يُصْدِرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ، لَهُمْ ثِمَالُهُمْ^{٣٨٦}، وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، وَاسْمُهُ الْأَيُّهُمْ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، أَحَدُ بَنِي بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ، أَسْقَفُهُمْ^{٣٨٧} وَخَبَرَهُمْ وَإِمَامَهُمْ، وَصَاحِبُ مَدْرَاسِهِمْ.

وَكَانَ أَبُو حَارِثَةَ قَدْ شَرَفَ فِيهِمْ، وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ، حَتَّى حَسَنَ عِلْمُهُ فِي دِينِهِمْ، فَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَفُوهُ وَمَوْلُوهُ وَأَخْدَمُوهُ، وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ، وَبَسَطُوا عَلَيْهِ الْكَرَامَاتِ، لِمَا يَبْلُغُهُمْ عَنْهُ مِنْ عِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي دِينِهِمْ.

٣٨٣ الغريان: بناءان طويلان: يُقَالُ هُمَا قَبْرُ مَالِكٍ وَعَقِيلُ نَدِيمِي جَذِيمَةُ الْأَبْرَشِ، وَاسْمَا الْغُرَيَّيْنِ، لِأَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ كَانَ يَغْرِيهِمَا بِدَمٍ مِنْ يَقْتَلُهُ فِي يَوْمِ بُوْسِهِ. (لِسَانَ الْعَرَبِ)
٣٨٤ الناعِي: الَّذِي يَأْتِي بِخَبَرِ الْمَيِّتِ.

٣٨٥ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٥٣٠-٥٧٢.

٣٨٦ ثمال الْقَوْمِ: هُوَ أَصْلُهُمُ الَّذِي يَقْصِدُونَ إِلَيْهِ، وَيَقُومُ بِأُمُورِهِمْ وَشُؤْنِهِمْ.

٣٨٧ الأسقف (بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ وَتَخْفِيفِهَا): عَظِيمُ النَّصَارَى.



(سَبَبُ إِسْلَامِ كُوزِ بْنِ عَلْقَمَةَ)

فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَجْرَانَ، جَلَسَ أَبُو حَارِثَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ مُوجَّهًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَى جَنْبِهِ أَخُو لَهُ، يُقَالُ لَهُ: كُوزُ بْنُ عَلْقَمَةَ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: كُرْزٌ - فَعَثَرَتْ بَغْلَةُ أَبِي حَارِثَةَ، فَقَالَ كُوزٌ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ: يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: فَقَالَ لَهُ أَبُو حَارِثَةَ: بَلْ أَنْتَ تَعَسْتَ! فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَخِي؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ، فَقَالَ لَهُ كُوزٌ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ قَالَ: مَا صَنَعَ بِنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ، شَرَفُونَا وَمَوَّلُونَا وَآكَرَمُونَا، وَقَدْ أَبَوْا إِلَّا خِلَافَهُ، فَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا مِنَّا كُلَّ مَا تَرَى. فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخُوهُ كُوزُ بْنُ عَلْقَمَةَ، حَتَّى أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَهُوَ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ فِيمَا بَلَغَنِي.

(رُؤَسَاءُ نَجْرَانَ وَإِسْلَامُ أَحَدِهِمْ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي أَنَّ رُؤَسَاءَ نَجْرَانَ كَانُوا يَتَوَارَثُونَ كُتُبًا عَنْدهُمْ. فَكُلَّمَا مَاتَ رَئِيسٌ مِنْهُمْ فَأَفْضَتْ الرِّئَاسَةُ إِلَى غَيْرِهِ، خَتَمَ عَلَى تِلْكَ الْكُتُبِ خَاتَمًا مَعَ الْخَوَاتِمِ الَّتِي كَانَتْ قَبْلَهُ وَلَمْ يَكْسِرْهَا، فَخَرَجَ الرَّئِيسُ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يَمْشِي فَعَثَرَ، فَقَالَ لَهُ ابْنُهُ: تَعَسَّ الْأَبْعَدُ! يُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ: لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَاسْمُهُ فِي الْوَضَائِعِ، يَعْنِي الْكُتُبَ.

فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَكُنْ لِابْنِهِ هِمَّةٌ إِلَّا أَنْ شَدَّ فَكَسَرَ الْخَوَاتِمَ، فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامَهُ وَحَجَّ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

إِلَيْكَ تَعْدُو قَلْبًا وَضِيئَهَا ... مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينَهَا

مُخَالَفًا دِينَ النَّصَارَى دِينَهَا



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْوَصِيْنُ: الْحِزَامُ، حِزَامُ النَّاقَةِ. وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ: وَزَادَ فِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ:

مُعْتَرِضًا فِي بَطْنِهَا جَنِينُهَا
فَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ فَانْشَدَنَاهُ فِيهِ.

(صَلَاتُهُمْ إِلَى الْمَشْرِقِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنُ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ مَسْجِدَهُ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الْحَبْرَاتِ^{٣٨٨}، جُبُّ وَأُرْدِيَّةٌ، فِي جَمَالِ رِجَالِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ.

قَالَ: يَقُولُ بَعْضُ مَنْ رَأَاهُمْ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَئِذٍ: مَا رَأَيْنَا وَفَدًا مِثْلَهُمْ، وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ، فَقَامُوا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُصَلُّونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُمْ، فَصَلُّوا إِلَى الْمَشْرِقِ».

(أَسْمَاءُ الْوَفْدِ وَمُعْتَقِدِهِمْ، وَمُنَاقَشَتِهِمُ الرَّسُولَ ﷺ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَتْ تَسْمِيَةُ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ، الَّذِينَ يُتَوَلَّى إِلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ: الْعَاقِبُ، وَهُوَ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ وَهُوَ الْأَيُّهُمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عُلْقَمَةَ أَخُو بَنِي بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ، وَأَوْسٌ، وَالْحَارِثُ، وَزَيْدٌ، وَقَيْسٌ، وَيَزِيدٌ، وَنَبِيهٌ، وَخُوَيْلِدٌ، وَعَمْرُو، وَخَالِدٌ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَيُحْنَسُ، فِي سِتِّينَ رَاكِبًا. فَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ أَبُو حَارِثَةَ بْنُ عُلْقَمَةَ، وَالْعَاقِبُ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالْأَيُّهُمُ السَّيِّدُ - وَهُمْ مِنَ النَّصْرَانِيَّةِ عَلَى دِينِ الْمَلِكِ، مَعَ اخْتِلَافٍ مِنْ أَمْرِهِمْ،

٣٨٨ الحبرات: برود من برود اليمن، الواحدة: حبرة.

يَقُولُونَ: هُوَ اللَّهُ، وَيَقُولُونَ: هُوَ وَلَدُ اللَّهِ، وَيَقُولُونَ: هُوَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُ النَّصْرَانِيَّةِ. فَهُمْ يَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ: «هُوَ اللَّهُ» بِأَنَّهُ كَانَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَيُبْرِئُ الْأَسْقَامَ، وَيُخْبِرُ بِالْغُيُوبِ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ (مريم ١٩/٢١)

وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ «إِنَّهُ وَلَدُ اللَّهِ» بِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبٌ يَعْلَمُ، وَقَدْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ، وَهَذَا لَمْ يَصْنَعْهُ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ آدَمَ قَبْلَهُ. وَيَحْتَجُّونَ فِي قَوْلِهِمْ: «إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ» بِقَوْلِ اللَّهِ: فَعَلْنَا، وَأَمَرْنَا، وَخَلَقْنَا، وَقَضَيْنَا، فَيَقُولُونَ: لَوْ كَانَ وَاحِدًا مَا قَالَ إِلَّا فَعَلْتُ، وَقَضَيْتُ، وَأَمَرْتُ، وَخَلَقْتُ، وَلَكِنَّهُ هُوَ وَعِيسَى وَمَرْيَمُ. فَفِي كُلِّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ - فَلَمَّا كَلَّمَهُ الْحَبْرَانِ، قَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَسْلِمَا، قَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا، قَالَ: إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا فَأَسْلِمَا، قَالَا: بَلَى، قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ:

قَالَ: كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبِ، وَأَكَلُكُمَا الْخَزِيرِ، قَالَا: فَمَنْ أَبُوهُ يَا مُحَمَّدُ؟ فَصَمَتَ عَنْهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يَجِبْهُمَا.

(مَا نَزَلَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ فِيهِمْ)

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَاخْتِلَافِ أَمْرِهِمْ كُلِّهِ، صَدَرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ إِلَى بُضْعِ وَثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿الْمَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (آل عمران ٣/٢-١) فَافْتَتَحَ السُّورَةَ بِتَنْزِيهِ نَفْسِهِ عَمَّا قَالُوا، وَتَوْحِيدِهِ إِيَّاهَا بِالْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهِ، رَدًّا عَلَيْهِمْ مَا ابْتَدَعُوا مِنَ الْكُفْرِ، وَجَعَلُوا مَعَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ، وَاحْتِجَاجًا بِقَوْلِهِمْ عَلَيْهِمْ فِي صَاحِبِهِمْ، لِيُعَرِّفَهُمْ بِذَلِكَ ضَلَالَتِهِمْ، فَقَالَ:

﴿الَمْ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لَيْسَ مَعَهُ غَيْرُهُ شَرِيكٌ فِي أَمْرِهِ ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَقَدْ مَاتَ عِيسَى وَصُلِبَ فِي قَوْلِهِمْ. وَالْقَيُّومُ: الْقَائِمُ عَلَى مَكَانِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ فِي خَلْقِهِ لَا يَزُولُ، وَقَدْ زَالَ عِيسَى فِي قَوْلِهِمْ عَنْ مَكَانِهِ الَّذِي كَانَ بِهِ، وَذَهَبَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ بِالصِّدْقِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ التَّوْرَةُ عَلَى مُوسَى، وَالْإِنْجِيلُ عَلَى عِيسَى، كَمَا أَنْزَلَ الْكُتُبَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ أَيُّ الْفَصْلَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِيمَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْأَحْزَابُ مِنْ أَمْرِ عِيسَى وَغَيْرِهِ. ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ أَيُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْتَقِمٌ مِمَّنْ كَفَرَ بِآيَاتِهِ، بَعْدَ عِلْمِهِ بِهَا، وَمَعْرِفَتِهِ بِمَا جَاءَ مِنْهُ فِيهَا. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ أَيُّ قَدْ عَلِمَ مَا يُرِيدُونَ وَمَا يَكِيدُونَ وَمَا يُضَاهُونَ بِقَوْلِهِمْ فِي عِيسَى، إِذْ جَعَلُوهُ إِلَهًا وَرَبًّا، وَعِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ غَيْرُ ذَلِكَ، غَرَّةٌ بِاللَّهِ، وَكُفْرًا بِهِ. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ أَيُّ قَدْ كَانَ عِيسَى مِمَّنْ صُوِّرَ فِي الْأَرْحَامِ، لَا يَدْفَعُونَ ذَلِكَ وَلَا يُنْكِرُونَهُ، كَمَا صُوِّرَ غَيْرُهُ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا وَقَدْ كَانَ بِذَلِكَ الْمَنْزِلِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى إِنِّزَاهَا لِنَفْسِهِ، وَتَوَحِيدًا لَهَا مِمَّا جَعَلُوا مَعَهُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، الْعَزِيزُ فِي انتِصَارِهِ مِمَّنْ كَفَرَ بِهِ إِذَا شَاءَ الْحَكِيمُ فِي حُجَّتِهِ وَعُذْرِهِ إِلَى عِبَادِهِ. ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فِيهِنَّ حُجَّةُ الرَّبِّ، وَعِصْمَةُ الْعِبَادِ، وَدَفْعُ الْخُصُومِ وَالْبَاطِلِ، لَيْسَ لَهُنَّ تَصْرِيْفٌ وَلَا تَحْرِيفٌ عَمَّا وُضِعْنَ عَلَيْهِ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لَهُنَّ تَصْرِيْفٌ وَتَأْوِيلٌ، ابْتَلَى اللَّهُ فِيهِنَّ الْعِبَادَ، كَمَا ابْتَلَاهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، أَلَّا يُصْرِفْنَ إِلَى الْبَاطِلِ، وَلَا يُحَرِّفْنَ عَنِ الْحَقِّ. يَقُولُ ﷻ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينٌ﴾ أَيُّ مَيْلٌ عَنِ الْهُدَى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا



تَشَابَهَ مِنْهُ» أَيِّ مَا تَصَرَّفَ مِنْهُ، لِيَصَدِّقُوا بِهِ مَا ابْتَدَعُوا وَأَخَذُوا، لِيَكُونَ لَهُمْ حُجَّةٌ، وَلَهُمْ عَلَى مَا قَالُوا شُبْهَةٌ «ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ» أَيِّ اللَّبْسِ «وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» ذَلِكَ عَلَى مَا رَكِبُوا مِنَ الضَّلَالَةِ فِي قَوْلِهِمْ: خَلَقْنَا وَقَضَيْنَا. يَقُولُ: «وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ» أَيِّ الَّذِي بِهِ أَرَادُوا مَا أَرَادُوا «إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» فَكَيْفَ يَخْتَلِفُ وَهُوَ قَوْلٌ وَاحِدٌ، مِنْ رَبِّ وَاحِدٍ. ثُمَّ رَدُّوا تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ عَلَى مَا عَرَفُوا مِنْ تَأْوِيلِ الْمُحَكَّمَةِ الَّتِي لَا تَأْوِيلَ لِأَحَدٍ فِيهَا إِلَّا تَأْوِيلُ وَاحِدٍ، وَاتَّسَقَ بِقَوْلِهِمُ الْكِتَابُ، وَصَدَّقَ بَعْضُهُ بَعْضًا، فَتَفَذَّتْ بِهِ الْحُجَّةُ، وَظَهَرَ بِهِ الْعُدْرُ، وَزَاحَ بِهِ الْبَاطِلُ، وَدَمَغَ بِهِ الْكُفْرُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مِثْلِ هَذَا: «وَمَا يَذَّكَّرُ» فِي مِثْلِ هَذَا «إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ. رَبَّنَا لَا تَزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا» أَيِّ لَا تُمِلْ قُلُوبَنَا، وَإِنْ مِلْنَا بِأَخْذَانَا. «وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» (آل عمران ٣/ ٨-١)

ثُمَّ قَالَ: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ» بِخِلَافِ مَا قَالُوا «قَائِمًا بِالْقِسْطِ» أَيِّ بِالْعَدْلِ فِيمَا يُرِيدُ «لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ» أَيِّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ يَا مُحَمَّدُ: التَّوْحِيدُ لِلرَّبِّ، وَالتَّصَدِيقُ لِلرَّسُولِ. «وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» أَيِّ الَّذِي جَاءَكَ، أَيِّ أَنَّ اللَّهَ الْوَاحِدَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ «بَغِيًّا بَيْنَهُمْ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. فَإِنْ حَاجُّوكَ» أَيِّ بِمَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ مِنْ قَوْلِهِمْ: خَلَقْنَا وَفَعَلْنَا وَأَمَرْنَا، فَإِنَّمَا هِيَ شُبْهَةٌ بَاطِلٌ قَدْ عَرَفُوا مَا فِيهَا مِنَ الْحَقِّ «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ» أَيِّ وَحْدَهُ «وَمَنْ اتَّبَعَنِي، وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ» الَّذِينَ لَا كِتَابَ لَهُمْ «أَأَسْلَمْتُمْ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا، وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» (آل عمران ٣/ ١٨-٢٠)

﴿مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيمَا أَحَدَتْ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾

ثُمَّ جَمَعَ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ جَمِيعًا، وَذَكَرَ مَا أَحَدْتُوا وَمَا ابْتَدَعُوا، مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران ٢١/٣) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾ أَيَّ رَبِّ الْعِبَادِ، وَالْمَلِكِ الَّذِي لَا يَقْضِي فِيهِمْ غَيْرُهُ

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ أَيَّ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران ٢٦/٣) أَيَّ لَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ بِسُلْطَانِكَ وَقُدْرَتِكَ.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ، وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ ﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران ٢٧/٣) لَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُكَ، وَلَا يَصْنَعُهُ إِلَّا أَنْتَ، أَيَّ فَإِنْ كُنْتَ سَلَطْتَ عِيسَى عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِلَهٌ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ وَالْخَلْقِ لِلطَّيْرِ مِنَ الطِّينِ، وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ، لِأَجْعَلَهُ بِهِ آيَةً لِلنَّاسِ، وَتَصْدِيقًا لَهُ فِي نَبَوِّهِ الَّتِي بَعَثَتْهُ بِهَا إِلَى قَوْمِهِ، فَإِنَّ مِنْ سُلْطَانِي وَقُدْرَتِي مَا لَمْ أُعْطِهِ تَمْلِكَ الْمُلُوكِ بِأَمْرِ النُّبُوَّةِ، وَوَضَعَهَا حَيْثُ شِئْتُ، وَإِيْلَاجِ اللَّيْلِ فِي النَّهَارِ، وَالنَّهَارِ فِي اللَّيْلِ، وَإِخْرَاجِ الْحَيِّ مِنَ الْمَمِيتِ، وَإِخْرَاجِ الْمَمِيتِ مِنَ الْحَيِّ، وَرِزْقِ مَنْ شِئْتُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ أُسَلِّطْ عِيسَى عَلَيْهِ، وَلَمْ أَمْلِكْهُ إِيَّاهُ، أَفَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ عِبْرَةٌ وَبَيِّنَةٌ! أَنْ لَوْ كَانَ إِلَهًا كَانَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَهًا، وَهُوَ فِي عِلْمِهِمْ يَهْرَبُ مِنَ الْمُلُوكِ، وَيَنْتَقِلُ مِنْهُمْ فِي الْبِلَادِ، مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ.



(مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي وَعْظِ الْمُؤْمِنِينَ)

ثُمَّ وَعَظَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَذَّرَهُمْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ أَيُّ إِنْ كَانَ هَذَا مِنْ قَوْلِكُمْ حَقًّا، حُبًّا لِلَّهِ وَتَعْظِيمًا لَهُ ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ أَيُّ مَا مَضَى مِنْ كُفْرِكُمْ ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴿فَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَهُ وَتَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴿أَيُّ عَلَى كُفْرِهِمْ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿آل عمران / ٣١-٣٢﴾

(مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي خَلْقِ عِيسَى)

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ لَهُمْ أَمْرَ عِيسَى عليه السلام، وَكَيْفَ كَانَ بَدْءُ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ، وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ. ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران ٣ / ٣٣-٣٤)

ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ امْرَأَةِ عِمْرَانَ، وَقَوْلَهَا: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ أَيُّ نَذَرْتُهُ فَجَعَلْتُهُ عَتِيقًا، تَعَبُّدُهُ لِلَّهِ، لَا يَنْتَفِعُ بِهِ لِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا ﴿فَتَقَبَّلَ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ، وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ أَيُّ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى لَمَّا جَعَلَتْهَا مُحَرَّرًا^{٣٨٩} لَكَ نَذِيرَةً ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ، وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران ٣ / ٣٥-٣٦)

يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا، وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ (آل عمران ٣ / ٣٧) بَعْدَ أَبِيهَا وَأُمِّهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: كَفَّلَهَا: ضَمَّهَا.

٣٨٩ في نسخة: «محردة». وعبرة كتب اللغة تفيد أن المحرر يُطلق على النذير والنذيرة أي شخصا محررا

(خَبَرُ زَكْرِيَّا وَمَرْيَمَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَهَا بِأَلَيْتِمَ، ثُمَّ قَصَّ خَبَرَهَا وَخَبَرَ زَكْرِيَّا، وَمَا دَعَا بِهِ، وَمَا أَعْطَاهُ إِذْ وَهَبَ لَهُ يَحْيَى. ثُمَّ ذَكَرَ مَرْيَمَ، وَقَوْلَ الْمَلَائِكَةِ لَهَا:

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ. يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (آل عمران ٤٣-٤٢)

يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ، وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أَيَّ مَا كُنْتَ مَعَهُمْ ﴿إِذْ يَقُولُونَ أَأَفَلَا لَهُمْ آيَةٌ يُكْفَلُ مَرْيَمَ﴾ (آل عمران ٤٤)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَفَلَا لَهُمْ: سِهَامُهُمْ، يَعْنِي قَدَاحَهُمُ الَّتِي اسْتَهَمُوا بِهَا عَلَيْهَا، فَخَرَجَ قَدَحُ زَكْرِيَّا فَضَمَّهَا، فِيمَا قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ.

(كَفَالَةُ جُرَيْجِ الرَّاهِبِ لِمَرْيَمَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: كَفَّلَهَا هَاهُنَا جُرَيْجُ الرَّاهِبِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ نَجَّارٌ، خَرَجَ السَّهْمُ عَلَيْهِ بِحَمَلِهَا، فَحَمَلَهَا، وَكَانَ زَكْرِيَّا قَدْ كَفَّلَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَصَابَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَزْمَةٌ شَدِيدَةٌ، فَعَجَزَ زَكْرِيَّا عَنْ حَمَلِهَا، فَاسْتَهَمُوا عَلَيْهَا أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى جُرَيْجِ الرَّاهِبِ بِكُفُولِهَا فَكَفَّلَهَا. ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (آل عمران ٤٤) أَيَّ مَا كُنْتَ مَعَهُمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فِيهَا. يُخْبِرُهُ بِخَفِيِّ مَا كَتَمُوا مِنْهُ مِنَ الْعِلْمِ عَنْهُمْ، لِتَحْقِيقِ نُبُوَّتِهِ وَالْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ مِمَّا أَخَفُوا مِنْهُ. ثُمَّ قَالَ:



﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾
 أَي هَكَذَا كَانَ أَمْرُهُ، لَا كَمَا تَقُولُونَ فِيهِ ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أَي عِنْدَ اللَّهِ
 ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ. وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران ٤٥ -
 ٤٦) يُخَبِّرُهُمْ بِحَالَاتِهِ الَّتِي يَتَقَلَّبُ فِيهَا فِي عُمُرِهِ، كَتَقَلُّبِ بَنِي آدَمَ فِي أَعْمَارِهِمْ،
 صَغَارًا وَكِبَارًا، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ خَصَّهُ بِالْكَلامِ فِي مَهْدِهِ آيَةً لِنُبُوَّتِهِ، وَتَعْرِيفًا لِلْعِبَادِ بِمَوَاقِعِ
 قُدْرَتِهِ.

﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ؟ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾
 أَي يَصْنَعُ مَا أَرَادَ، وَيَخْلُقُ مَا يَشَاءُ مِنْ بَشَرٍ أَوْ غَيْرِ بَشَرٍ
 ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ﴾ مِمَّا يَشَاءُ وَكَيْفَ شَاءَ، ﴿فَيَكُونُ﴾ (آل عمران ٤٧ / ٣)
 كَمَا أَرَادَ.

(مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ آيَاتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِمَا يُرِيدُ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ﴾ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ
 مِنْ عَهْدِ مُوسَى قَبْلَهُ ﴿وَالْإِنْجِيلَ﴾ (آل عمران ٤٨ / ٣) كِتَابًا آخَرَ أَحَدَثَهُ اللَّهُ ﷻ إِلَيْهِ لَمْ يَكُنْ
 عِنْدَهُمْ إِلَّا ذَكَرُهُ أَنَّهُ كَائِنٌ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بَعْدَهُ

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَي يَحَقِّقُ بِهَا نُبُوَّتِي، أَنِّي
 رَسُولٌ مِنْهُ إِلَيْكُمْ

﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ الَّذِي بَعَثَنِي
 إِلَيْكُمْ، وَهُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾ (آل عمران ٤٩ / ٣)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَكْمَةُ: الَّذِي يُولَدُ أَعْمَى. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

هَرَجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الْأَكْمَةِ^{٣٩٠}

وَجَمَعُهُ: كُمُهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَرَجْتُ: صَحْتُ بِالْأَسَدِ، وَجَلَبْتُ عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

﴿وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَتَّبِعُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ﴾ أَيْ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ، وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ أَيْ لِمَا سَبَقَنِي عَنْهَا ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ أَيْ أَخْبَرَكُمْ بِهِ أَنَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ حَرَامًا فَتَرَكْتُمُوهُ، ثُمَّ أَحِلَّهُ لَكُمْ تَخْفِيفًا عَنْكُمْ، فَتُصِيبُونَ يُسْرَهُ وَتَخْرُجُونَ مِنْ تِبَاعَاتِهِ^{٣٩١}

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا، إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾ أَيْ تَبَرَّيَا مِنْ الَّذِينَ يَقُولُونَ فِيهِ، وَاحْتِجَاجًا لِرَبِّهِ عَلَيْهِمْ، ﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ (آل عمران ٥١-٤٩/٣) أَيْ هَذَا الَّذِي قَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَيْهِ وَجِئْتُكُمْ بِهِ. ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ﴾ وَالْعُدْوَانَ عَلَيْهِ، ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ، قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هَذَا قَوْلُهُمُ الَّذِي أَصَابُوا بِهِ الْفَضْلَ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٥٢/٣) لَا مَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَاجُّونَكَ فِيهِ ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (آل عمران ٥٣/٣) أَيْ هَكَذَا كَانَ قَوْلُهُمْ وَإِيمَانُهُمْ.

٣٩٠ ويروى: «هزجت» بالزاي المعجمة، أي زجرت.

٣٩١ التباعات: جمع تباعة (بِالْكَسْرِ) وهي التبعة والظلامة.



(رَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ)

ثُمَّ ذَكَرَ (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) رَفَعَهُ عِيسَى إِلَيْهِ حِينَ اجْتَمَعُوا لِقَتْلِهِ، فَقَالَ: ﴿وَمَكِّرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران ٥٤/٣) ثُمَّ أَخْبَرَهُمْ وَرَدَّ عَلَيْهِمْ فِيمَا أَقْرَأُوا لِلْيَهُودِ بِصَلْبِهِ، كَيْفَ رَفَعَهُ وَطَهَّرَهُ مِنْهُمْ، فَقَالَ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اذْهَبْ فِي هَؤُلَاءِ نَفْسِكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إِذْ هَمُّوا مِنْكَ بِمَا هَمُّوا ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْفِيَاةِ﴾ (آل عمران ٥٥/٣) ثُمَّ الْقِصَّةُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران ٥٨/٣) الْفَاطِحِ الْفَاصِلِ الْحَقِّ، الَّذِي لَا يُخَالِطُهُ الْبَاطِلُ، مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى، وَعَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِهِ، فَلَا تَقْبَلَنَّ خَبْرًا غَيْرَهُ. ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ فَاسْتَمِعْ ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيُّ مَا جَاءَكَ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (آل عمران ٥٩-٦٠)، أَيُّ قَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَمْتَرَنَّ فِيهِ، وَإِنْ قَالُوا: خُلِقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ فَقَدْ خَلَقْتُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، بِتِلْكَ الْقُدْرَةِ مِنْ غَيْرِ أَنتَى وَلَا ذَكَرٍ، فَكَانَ كَمَا كَانَ عِيسَى لَحْمًا وَدَمًا، وَشَعْرًا وَبَشَرًا، فَلَيْسَ خَلَقَ عِيسَى مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا. ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أَيُّ مِنْ بَعْدِ مَا فَصَّصْتُ عَلَيْكَ مِنْ خَبَرِهِ، وَكَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ، ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ، وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ، ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ (آل عمران ٦١/٣)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: نَبْتَهْلُ: نَدْعُو بِاللَّعْنَةِ، قَالَ أَعَشَى بَنِي قَيْسِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ: لَا تَعُودَنَّ وَقَدْ أَكَلْتَهَا حَطْبًا ... نَعُودُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَنَبْتَهْلُ وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.^{٣٩٢} يَقُولُ: نَدْعُو بِاللَّعْنَةِ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: بَهْلُ اللَّهِ فَلَانًا، أَيْ لَعْنَهُ، وَعَلَيْهِ بَهْلَةُ اللَّهِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: بَهْلَةُ اللَّهِ، أَيْ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَنَبْتَهْلُ أَيْضًا: نَجْتَهْدُ، فِي الدَّعَاءِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ:

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الَّذِي جِئْتُ بِهِ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ عِيسَى ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ مِنْ أَمْرِهِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. فَإِنْ تَوَلَّوْا، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران ٦٢-٦٤) فَدَعَاهُمْ إِلَى النِّصْفِ، وَقَطَعَ عَنْهُمْ الْحُجَّةَ.

(إِبَاؤُهُمُ الْمُلَاعَنَةَ)

فَلَمَّا أَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ، وَالْفَضْلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتِهِمْ إِنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ تَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ. فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، ثُمَّ خَلَوْا بِالْعَاقِبِ، وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ، فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، مَاذَا تَرَى؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا

٣٩٢ وفي نسخة بعد هذه الكلمة: «نبتهل: تنضرع».

مَعَشَرَ النَّصَارَى لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَيْرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتْ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِصْالِ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ، ثُمَّ انْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ. فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا تُلَاعِنَكَ، وَأَنْ تَتْرَكَكَ عَلَى دِينِكَ وَتَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمَ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءَ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّكُمْ عِنْدَنَا رَضًا.

(تَوَلَّيَهُ أَبِي عُبَيْدَةَ أُمُورَهُمْ)

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَتُونِي الْعَشِيَّةَ أَبْعَثْ مَعَكُمْ الْقَوِيَّ الْأَمِينَ. قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يَوْمَئِذٍ، رَجَاءً أَنْ أَكُونَ صَاحِبَهَا، فَرَحْتُ إِلَى الظُّهْرِ مُهَجِّرًا، فَلَمَّا صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ سَلَّمَ، ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلْتُ أَتَطَاوُلُ لَهُ لِيَرَانِي، فَلَمْ يَزَلْ يَلْتَمِسُ بَصَرَهُ حَتَّى رَأَى أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَ الْجَرَّاحِ، فَدَعَاهُ فَقَالَ: أَخْرِجْ مَعَهُمْ، فَاقْضِ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ. قَالَ عُمَرُ: فَذَهَبَ بِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ. ٣٩٣

(سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَنَزُولُ: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ»)

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ بْنِ رِثَابٍ الْأَسَدِيَّ فِي رَجَبٍ، مَقْفَلَهُ مِنْ بَدْرِ الْأُولَى، وَبَعَثَ مَعَهُ ثَمَانِيَةَ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، لَيْسَ فِيهِمْ مِنَ الْأَنْصَارِ أَحَدٌ،

وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا وَأَمَرَهُ أَنْ لَا يَنْظُرَ فِيهِ حَتَّى يَسِيرَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ يَنْظُرَ فِيهِ، فِيمَضِي لِمَا أَمَرَهُ بِهِ، وَلَا يَسْتَكْرِهَ مِنْ أَصْحَابِهِ أَحَدًا.

وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ. ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ: أَبُو حُدَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وَمِنْ حَلَفَائِهِمْ: عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ جَحْشٍ، وَهُوَ أَمِيرُ الْقَوْمِ، وَعُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ بْنِ حُرْثَانَ، أَحَدُ بَنِي أَسَدٍ...

فَلَمَّا سَارَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ يَوْمَيْنِ فَتَحَ الْكِتَابَ، فَنَظَرَ فِيهِ فَإِذَا فِيهِ: إِذَا نَظَرْتَ فِي كِتَابِي هَذَا فَاْمْضِ حَتَّى تَنْزِلَ نَخْلَةَ، بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ، فَتَرْصِدْ بِهَا قُرَيْشًا وَتَعْلَمَ لَنَا مِنْ أَحْبَابِهِمْ. فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي الْكِتَابِ، قَالَ: سَمِعَا وَطَاعَةً، ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: قَدْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَمْضِيَ إِلَى نَخْلَةَ، أَرْصِدَ بِهَا قُرَيْشًا، حَتَّى آتِيَهُ مِنْهُمْ بِخَبَرٍ، وَقَدْ نَهَانِي أَنْ أَسْتَكْرِهَ أَحَدًا مِنْكُمْ. فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الشَّهَادَةَ وَيَرْغَبُ فِيهَا فَلْيَنْطَلِقْ، وَمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ فَلْيَرْجِعْ، فَأَمَّا أَنَا فَمَا ضِيَ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَضَى وَمَضَى مَعَهُ أَصْحَابُهُ، لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ. وَسَلَكَ عَلَى الْحِجَازِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِمَعْدِنَ، فَوْقَ الْفُرْعِ، يُقَالُ لَهُ: بَحْرَانُ، أَضَلَّ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ بَعِيرًا لَهُمَا، كَانَا يَعْتَقِبَانِهِ. فَتَخَلَّفَا عَلَيْهِ فِي طَلَبِهِ. وَمَضَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَبَقِيَّتُهُ أَصْحَابُهُ حَتَّى نَزَلَ بِنَخْلَةَ، فَمَرَّتْ بِهِ عِيرٌ لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ زَيْبًا وَأَدَمًا، وَتِجَارَةً مِنْ تِجَارَةِ قُرَيْشٍ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ...

فَلَمَّا رَأَاهُمُ الْقَوْمُ هَابُوهُمْ وَقَدْ نَزَلُوا قَرِيبًا مِنْهُمْ، فَأَشْرَفَ لَهُمْ عُكَاشَةُ بْنُ مُحْصَنٍ، وَكَانَ قَدْ حَلَقَ رَأْسَهُ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَمِنُوا، وَقَالُوا عَمَّارًا، لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ. وَتَشَاوَرَ الْقَوْمُ فِيهِمْ وَذَلِكَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَجَبٍ فَقَالَ الْقَوْمُ وَاللَّهِ لَئِنْ تَرَكْتُمُ الْقَوْمَ هَذِهِ



اللَّيْلَةَ لِيَدْخُلَنَّ الْحَرَمَ، فليَمْتَنِعَنَّ مِنْكُمْ بِهِ وَلَئِنْ قَتَلْتُمُوهُمْ لَتَقْتُلُنَّهُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، فترَدَّدَ الْقَوْمُ، وَهَابُوا الْإِقْدَامَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ شَجَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَجْمَعُوا عَلَى قَتْلِ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَأَخَذَ مَا مَعَهُمْ. فَرَمَى وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّمِيمِيَّ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ، وَاسْتَأْسَرَ عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ، وَأَقْلَتَ الْقَوْمُ نَوْفَلَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَأَعْجَزَهُمْ. وَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ وَأَصْحَابُهُ بِالْعِيرِ وَبِالْأَسِيرِينَ، حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ.

وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ:

أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِمَّا غَنِمْنَا الْخُمْسَ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَفْرِضَ اللَّهُ تَعَالَى الْخُمْسَ مِنَ الْمَغَانِمِ - فَعَزَلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُمْسَ الْعِيرِ، وَقَسَمَ سَائِرَهَا بَيْنَ أَصْحَابِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ. فَوَقَّفَ الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ. وَأَبَى أَنْ يَأْخُذَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَقَطَ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ هَلَكُوا، وَعَنَقَهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِيمَا صَنَعُوا. وَقَالَتْ قُرَيْشٌ قَدْ اسْتَحَلَّ مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ الشَّهْرَ الْحَرَامَ، وَسَفَكُوا فِيهِ الدَّمَ، وَأَخَذُوا فِيهِ الْأَمْوَالَ، وَأَسْرُوا فِيهِ الرِّجَالَ، فَقَالَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِمَّنْ كَانَ بِمَكَّةَ: إِنَّمَا أَصَابُوا مَا أَصَابُوا فِي شَعْبَانَ.

وَقَالَتْ يَهُودُ -تَفَاءَلَ بِذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ- عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ قَتَلَهُ وَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَمْرُو، عُمَرْتُ الْحَرْبُ، وَالْحَضْرَمِيُّ، حَضَرْتُ الْحَرْبُ، وَوَاقِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَقَدْتُ الْحَرْبُ. فَجَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لَا لَهُمْ.

(نُزُولُ الْقُرْآنِ فِي فِعْلِ ابْنِ جَحْشٍ وَإِقْرَارُ الرَّسُولِ لَهُ ﷺ فِي فِعْلِهِ):

فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ، قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ، وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ﴾

أَيَّ إِن كُنْتُمْ قَتَلْتُمْ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَقَدْ صَدُّوْكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَعَ الْكُفْرِ بِهِ، وَعَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ، أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ مَنْ قَتَلْتُمْ مِنْهُمْ ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ أَيَّ قَدْ كَانُوا يَفْتِنُونَ الْمُسْلِمَ فِي دِينِهِ، حَتَّى يَرُدُّوهُ إِلَى الْكُفْرِ بَعْدَ إِيْمَانِهِ، فَذَلِكَ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْقَتْلِ ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة ٢/٢١٧)

أَيَّ ثُمَّ هُمْ مُقِيمُونَ عَلَى أَحَبِّ ذَلِكَ وَأَعْظَمِهِ، غَيْرَ تَائِبِينَ وَلَا نَازِعِينَ. فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْرِ، وَفَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّفَقِ^{٣٩٤} قَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِيرَ وَالْأَسِيرِينَ، وَبَعَثَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فِي فِدَاءِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَالْحَكَمِ ابْنِ كَيْسَانَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا نَفْدِيكُمْوهَا حَتَّى يَقْدَمَ صَاحِبَانَا - يَعْنِي سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعُتْبَةَ بْنَ عَزْوَانَ - فَإِنَّا نَخْشَاكُمْ عَلَيْهِمَا، فَإِن تَقْتُلُوهُمَا، نَقْتُلْ صَاحِبَيْكُمْ. فَقَدِمَ سَعْدٌ وَعُتْبَةُ، فَأَفْدَاهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ.

فَأَمَّا الْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ فَأَسْلَمَ فَحَسَنَ إِسْلَامُهُ، وَأَقَامَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ يَوْمَ بَرْ مَعُونَةَ شَهِيدًا. وَأَمَّا عُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَلَحِقَ بِمَكَّةَ، فَمَاتَ بِهَا كَافِرًا.

(طَمَعَ ابْنُ جَحْشٍ فِي الْأَجْرِ وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ)

فَلَمَّا تَجَلَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَأَصْحَابِهِ مَا كَانُوا فِيهِ حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ، طَمِعُوا فِي الْأَجْرِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنْطَمِعُ، أَنْ تَكُونَ لَنَا غَزْوَةً نُعْطَى فِيهَا أَجْرَ الْمُجَاهِدِينَ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِمْ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة ٢/٢١٨) فَوَضَعَهُمُ اللَّهُ ﷻ مِنْ ذَلِكَ عَلَى أَكْثَرِ الرِّجَاءِ. وَالْحَدِيثُ فِي هَذَا عَنْ الزُّهْرِيِّ وَيَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ آلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَسَمَ الْفَيْءَ حِينَ أَحْلَاهُ، فَجَعَلَ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسٍ لِمَنْ أَفَاءَهُ اللَّهُ، وَخُمْسًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَوَقَعَ عَلَى مَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ صَنَعَ فِي تِلْكَ الْعِيرِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أَوَّلُ غَنِيمَةٍ غَنِمَهَا الْمُسْلِمُونَ. وَعَمَرُو بْنُ الْحَضَرَمِيِّ أَوَّلُ مَنْ قَتَلَهُ الْمُسْلِمُونَ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَالْحَكَمُ بْنُ كَيْسَانَ أَوَّلُ مَنْ أَسَرَ الْمُسْلِمُونَ. ٣٩٥

(صَرَفُ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيُقَالُ: صُرِفَتِ الْقِبْلَةُ فِي شَعْبَانَ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا مِنْ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ. ٣٩٦

٣٩٥ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٦٠١-٦٠٥.

٣٩٦ انظر: البقرة ٢/١٤٤-١٥٠.

(غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبْرَى)

وَأَنَّهُ الْخَبْرُ عَنْ قُرَيْشٍ بِمَسِيرِهِمْ لِيَمْنَعُوا عِيَرَهُمْ، فَاسْتَشَارَ النَّاسَ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ قُرَيْشٍ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ. ثُمَّ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ وَأَحْسَنُ، ثُمَّ قَامَ الْمُقَدَّادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، امْضِ لِمَا أَرَاكَ اللَّهُ فَتَحْنُ مَعَكَ، وَاللَّهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى:

﴿اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا هاهنا قاعدون﴾ (المائدة ٢٤/٥) وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتُ بِنَا إِلَى بَرَكِ الْغَمَادِ^{٣٩٧} لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ، حَتَّى تَبْلُغَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِهِ.^{٣٩٨}

(ذَكَرُ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ نَزَلَ فِيهِمْ: «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ»)

وَكَانَ الْفِتْيَةُ الَّذِينَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ، فَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، فِيمَا ذَكَرَ لَنَا:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ؟ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ، قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا، فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء ٩٧/٤) فِتْيَةٌ مَسْمُومِينَ مِنْ بَنِي أَسَدٍ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ: الْحَارِثُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ أَسَدٍ.

وَمِنْ بَنِي مَخْزُومٍ: أَبُو قَيْسٍ بْنُ الْفَاكِهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ، وَأَبُو قَيْسٍ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ.

^{٣٩٧} برك الغماد، موضع بناحية اليمن، وقيل: هو أقصى حجر. وَقَالَ السَّهْلِيُّ «وجدت في بعض كتب التفسير أنها مدينة الحبسة».

^{٣٩٨} السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٦١٤-٦١٥.



وَمِنْ بَنِي جُمَحَ: عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلْفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحَ.
وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ: الْعَاصِ بْنِ مُنْبِهِ بْنِ الْحَجَّاجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ سَعْدِ ابْنِ
سَهْمٍ.

وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَسْلَمُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى
الْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَعَشَائِرُهُمْ بِمَكَّةَ وَفَتَنُوهُمْ فَافْتَتَنُوا، ثُمَّ سَارُوا مَعَ قَوْمِهِمْ إِلَى
بَدْرٍ فَأُصِيبُوا بِهِ جَمِيعًا. ٣٩٩

(إِسْلَامُ عُمَيْرِ بْنِ وَهْبٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَعُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ، أَوْ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، قَدْ ذَكَرَ لِي أَحَدُهُمَا، الَّذِي
رَأَى إِبْلِيسَ حِينَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: أَيْنَ، أَيُّ سَرَاقٍ؟ وَمَثَلٌ ٤٠٠ عَدُوُّ اللَّهِ
فَذَهَبَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ:

﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، وَإِنِّي جَارٌ
لَكُمْ﴾ فَذَكَرَ اسْتِدْرَاجَ إِبْلِيسَ إِيَّاهُمْ، وَتَشْبِيهُهُ بِسُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشَمٍ لَهُمْ، حِينَ
ذَكَرُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ فِي الْحَرْبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ. يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْقِفْتَانَ﴾ وَنَظَرَ عَدُوُّ اللَّهِ إِلَى جُنُودِ اللَّهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، قَدْ
أَيَّدَ اللَّهُ بِهِمْ رَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ﴿نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ
مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾. وَصَدَقَ عَدُوُّ اللَّهِ، رَأَى مَا لَمْ يَرَوْا، وَقَالَ: ﴿إِنِّي أَخَافُ

٣٩٩ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٦٤١.

٤٠٠ مثل، أي لطفى بالأرض واختفى، وهو من الأضداد، يكون المائل: الْقَائِمُ، ويكون المائل (أَيْضًا):
اللاطئ بالأرض.

اللَّهُ، وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿الأنفال ٨ / ٤٨﴾ فَذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَهُ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ فِي صُورَةِ سُرَاقَةٍ لَا يُنْكِرُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَالتَّقَى الْجَمْعَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ، فَأَوْرَدَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: نَكَصَ: رَجَعَ. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ، أَحَدُ بَنِي أُسَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَيْمٍ: نَكَصْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ يَوْمَ حِجْتُمْ ... تَرْجُونَ أَنْفَالَ الْخَمِيسِ الْعَرْمَرَمِ^{٤٠١} وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةِ لَهُ^{٤٠٢}.

(نُزُولُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا انْقَضَى أَمْرُ بَدْرٍ، أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ الْأَنْفَالَ بِأَسْرِهَا، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ مِنْهَا فِي اخْتِلَافِهِمْ فِي النَّفْلِ حِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ١ / ٨)

فَكَانَ عِبَادَةُ بَنِي الصَّامِتِ - فِيمَا بَلَغَنِي - إِذَا سُئِلَ عَنِ الْأَنْفَالِ، قَالَ: فِينَا مَعْشَرُ أَهْلِ بَدْرٍ نَزَلَتْ، حِينَ اخْتَلَفْنَا فِي النَّفْلِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَانْتَزَعَهُ اللَّهُ مِنْ أَيْدِينَا حِينَ سَاءَتْ فِيهِ أَخْلَاقُنَا، فَرَدَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَسَمَهُ بَيْنَنَا عَنْ بَوَاءٍ - يَقُولُ: عَلَى السَّوَاءِ - وَكَانَ فِي ذَلِكَ تَقْوَى اللَّهِ وَطَاعَتُهُ، وَطَاعَةُ رَسُولِهِ ﷺ، وَصَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ.

٤٠١ تزجون: تساقون سوقاً رقيقاً، وفعله: زجى يزجى (بالتضعيف). والخميس: الجيش. والعمرم: الكثير المجتمع.

٤٠٢ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٦٦٣.



(مَا نَزَلَ فِي خُرُوجِ الْقَوْمِ مَعَ الرَّسُولِ لِمَلَأَةِ قُرَيْشٍ)

ثُمَّ ذَكَرَ الْقَوْمَ وَمَسِيرَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ عَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّ قُرَيْشًا قَدْ سَارُوا إِلَيْهِمْ، وَإِنَّمَا خَرَجُوا يُرِيدُونَ الْعِيرَ طَمَعًا فِي الْغَنِيمَةِ، فَقَالَ:

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِكَ بِالْحَقِّ، وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ. يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ (الأنفال ٨ / ٥-٦) أَيِ كَرَاهِيَةِ لِلِقَاءِ الْقَوْمِ، وَإِنكَارًا لِمَسِيرِ قُرَيْشٍ، حِينَ ذَكَرُوا لَهُمْ

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ، وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أَيِ الْغَنِيمَةِ دُونَ الْحَرْبِ ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ، وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ (الأنفال ٨ / ٧) أَيِ بِالْوَقْعَةِ الَّتِي أَوْقَعَ بِصَنْدِيدِ قُرَيْشٍ وَقَادَتِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ أَيِ لِدُعَائِهِمْ حِينَ نَظَرُوا إِلَى كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ، وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ بِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدُعَائِكُمْ ﴿أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ (الأنفال ٨ / ٩)

﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ أَيِ أَنْزَلْتُ عَلَيْكُمْ الْأَمَنَةَ حِينَ نِمْتُمْ لَا تَخَافُونَ ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لِلْمَطَرِ الَّذِي أَصَابَهُمْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، فَحَبَسَ الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَسْبِقُوا إِلَى الْمَاءِ، وَخَلَّى سَبِيلَ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِ

﴿لِيُظْهِرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رَجْزَ الشَّيْطَانِ، وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ (الأنفال ٨ / ١١) أَيِ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ شَأْنُ الشَّيْطَانِ، لِيَتَخَوِّفَهُ إِيَّاهُمْ عَدُوَّهُمْ، وَاسْتِجْلَادُهُ^{٤٣} الْأَرْضِ لَهُمْ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى مَنَزِلِهِمُ الَّذِي سَبَقُوا إِلَيْهِ عَدُوَّهُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي تَبْشِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُسَاعَدَةِ وَالنَّصْرِ، وَتَحْرِيزِهِمْ):

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ أَيُّ أَزْوَاجٍ الَّذِينَ آمَنُوا
سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ، فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ، وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ
بَنَانٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۖ﴾
(الأنفال ٨ / ١٢-١٣)

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ. وَمَنْ
يُولَهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، وَمَأْوَاهُ
جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الأنفال ٨ / ١٥-١٦)

أَيُّ تَحْرِيزًا لَهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ لِئَلَّا يَنْكُلُوا عَنْهُمْ إِذَا لَقَوْهُمْ، وَقَدْ وَعَدَهُمُ اللَّهُ فِيهِمْ
مَا وَعَدَهُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي رَمْيِ الرَّسُولِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْحَصْبَاءِ)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى فِي رَمْيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِيَّاهُمْ بِالْحَصْبَاءِ مِنْ يَدِهِ، حِينَ رَمَاهُمْ:
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ۚ أَيُّ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِرَمِيَّتِكَ، لَوْلَا الَّذِي جَعَلَ
اللَّهُ فِيهَا مِنْ نَصْرِكَ، وَمَا أَلْقَى فِي صُدُورِ عَدُوِّكَ مِنْهَا حِينَ هَزَمَهُمُ اللَّهُ
ۚ وَلِيُبَيِّنَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا﴾ (الأنفال ٨ / ١٧) أَيُّ لِيُعْرِفَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ نِعْمَتِهِ
عَلَيْهِمْ فِي إِظْهَارِهِمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَقَلَّةِ عَدَدِهِمْ، لِيَعْرِفُوا بِذَلِكَ حَقَّهُ، وَيَشْكُرُوا بِذَلِكَ
نِعْمَتَهُ.



(مَا نَزَلَ فِي الاسْتِفْتَاكِ)

ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ أَيُّ لِقَوْلِ أَبِي جَهْلٍ: اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرِفُ، فَأَحْنَهُ الْغَدَاةَ. وَالِاسْتِفْتَاكِ: الْإِنْصَافُ فِي الدُّعَاءِ. يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:

﴿وَإِنْ تَنْتَهُوا﴾ أَيُّ لِقُرَيْشٍ ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعَذِّبُكُمْ﴾ أَيُّ بِمِثْلِ الْوَقْعَةِ الَّتِي أَصَبْنَاكُمْ بِهَا يَوْمَ بَدْرٍ: ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال ١٩/٨) أَيُّ أَنَّ عَدَدَكُمْ وَكَثَرَتُكُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ شَيْئًا، وَإِنِّي مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْصُرُهُمْ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي حَضِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال ٢٠/٨) أَيُّ لَا تُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ لِقَوْلِهِ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ مِنْهُ،

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (الأنفال ٢١/٨) أَيُّ كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظْهِرُونَ لَهُ الطَّاعَةَ، وَيُسِرُّونَ لَهُ الْمَعْصِيَةَ

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (الأنفال ٢٢/٨) أَيُّ الْمُنَافِقُونَ الَّذِينَ نَهَيْتُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ، بَكْمٍ عَنِ الْخَيْرِ، صُمٌّ عَنِ الْحَقِّ، لَا يَعْقِلُونَ: لَا يَعْرِفُونَ مَا عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّقْمَةِ وَالتَّبَاعَةِ^{٤٤}

﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ أَي لَأَنْفَذَ لَهُمْ قَوْلَهُم الَّذِي قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ، وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ خَالَفَتْ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَلَوْ خَرَجُوا مَعَكُمْ ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ (الأنفال ٢٣/٨) مَا وَفَّوْا لَكُمْ بِشَيْءٍ مِمَّا خَرَجُوا عَلَيْهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال ٢٤/٨) أَي لِلْحَرْبِ الَّتِي أَعَزَّكُمْ اللَّهُ بِهَا بَعْدَ الذَّلَّةِ، وَقَوَّاهُمْ بِهَا بَعْدَ الضَّعْفِ، وَمَنَعَكُمْ بِهَا مِنْ عَدُوِّكُمْ بَعْدَ الْقَهْرِ مِنْهُمْ لَكُمْ،

﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ، فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ، وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الأنفال ٢٦-٢٧) أَي لَا تُظْهِرُوا لَهُ مِنَ الْحَقِّ مَا يَرْضَى بِهِ مِنْكُمْ، ثُمَّ تُخَالِفُوهُ فِي السِّرِّ إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هَلَاكٌ لِأَمَانَاتِكُمْ، وَخِيَانَةٌ لِنَفْسِكُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا، وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال ٢٩/٨) أَي فَصْلًا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، لِيُظْهِرَ اللَّهُ بِهِ حَقَّكُمْ، وَيُطْفِئَ بِهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَكُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي ذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ)

ثُمَّ ذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْهِ، حِينَ مَكَرَ بِهِ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ أَوْ يُشْتَبُوهُ أَوْ يُخْرِجُوهُ ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (الأنفال ٣٠/٨) أَي فَمَكَرْتُ بِهِمْ بِكَيْدِي الْمَتِينِ حَتَّى خَلَصْتُكَ مِنْهُمْ.



(مَا نَزَلَ فِي غَرَّةِ قُرَيْشٍ وَاسْتَفْتَا حَهُمْ)

ثُمَّ ذَكَرَ غَرَّةَ قُرَيْشٍ وَاسْتَفْتَا حَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، «إِذْ قَالُوا: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ» أَيَّ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ «فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ» كَمَا أَمْطَرْتَهَا عَلَى قَوْمِ لُوطٍ «أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (الأنفال ٨ / ٣٢) أَيَّ بَعْضِ مَا عَذَّبْتَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنْ اللَّهُ لَا يُعَذِّبُنَا وَنَحْنُ نَسْتَغْفِرُهُ، وَلَمْ يُعَذِّبْ أُمَّةً وَبَيَّهَا مَعَهَا حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا. وَذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَذْكُرُ جَهَالَتَهُمْ وَغِرَّتَهُمْ وَاسْتَفْتَا حَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، حِينَ نَعَى سُوءَ أَعْمَالِهِمْ:

«وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ، وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ» (الأنفال ٨ / ٣٣) أَيَّ لِقَوْلِهِمْ: إِنَّا نَسْتَغْفِرُ وَمُحَمَّدٌ بَيْنَ أَظْهَرِنَا،

ثُمَّ قَالَ: «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ» وَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، وَإِنْ كَانُوا يَسْتَغْفِرُونَ كَمَا يَقُولُونَ

«وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» أَيَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَعَبَدَهُ: أَيَّ أَنْتَ وَمَنْ اتَّبَعَكَ،

«وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَائُوهُ إِلَّا الْمُتَّفِقُونَ» الَّذِينَ يُحَرِّمُونَ حُرْمَتَهُ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ عِنْدَهُ: أَيَّ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ بِكَ «وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الأنفال ٨ / ٣٤)

«وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ» الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُ يَدْفَعُ بِهَا عَنْهُمْ «إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً» (الأنفال ٨ / ٣٥)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمُكَاءُ: الصَّفِيرُ. وَالتَّصْدِيَةُ: التَّصْفِيقُ. قَالَ عَنَتْرَةُ بِنُ عَمْرِو ابْنِ شَدَادٍ الْعَبْسِيُّ:

وَلَرُبَّ قَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا ... تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشَدَقِ الْأَعْلَمِ^{٤٠٥}

يَعْنِي: صَوْتَ خُرُوجِ الدَّمِ مِنَ الطَّعْنَةِ، كَأَنَّهُ الصَّفِيرُ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ الطَّائِي:

لَهَا كُلَّمَا رِيَعَتْ صَدَاةٌ وَرَكَدَةٌ ... بِمُصْدَانِ أَعْلَى ابْنِي شَمَامِ الْبَوَائِنِ^{٤٠٦}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. يَعْنِي الْأُرُويَّةَ، يَقُولُ: إِذَا فَرَعَتْ فَرَعَتْ بِيَدِهَا الصَّفَاةَ ثُمَّ رَكَدَتْ تَسْمَعُ صَدَى قَرَعِهَا بِيَدِهَا الصَّفَاةَ مِثْلَ التَّصْفِيقِ. وَالْمُصْدَانُ: الْحِرْزُ^{٤٠٧}. وَابْنُ شَمَامٍ: جَبَلَانِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَذَلِكَ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ ﷻ وَلَا يُحِبُّهُ، وَلَا مَا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ، وَلَا مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران ١٠٦/٣) أَيَّ لِمَا أَوْقَعَ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْقَتْلِ.

٤٠٥ مجدلا: أي لاصقا بالجدالة، وهي الأرض. والفريصة: بضعة في مرجع الكتف. ويريد «بالأعلم»: الجمل. وهو في الأصل: المشقوق شفته العليا.

٤٠٦ صداء، أي تصفير. والركدة: السكون. والمصدان: جمع مصاد، وهو الجدار. وابن شمام: هضبتان تتصلان بجبل شمام. وقيل: إنهما رأسان للجبل وتسميهما العرب أبانين. والبوائن: التي بان بعضها عن بعض.

٤٠٧ والحرز: المانع الذي يحرز من لجأ إليه.



(الْمُدَّةُ بَيْنَ «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ» وَبَدْر)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَا كَانَ بَيْنَ نَزُولِ: «يَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ» وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا:

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا. إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا. وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ (المزمل ٧٣ / ١١-١٣) إِلَّا يَسِيرٌ، حَتَّى أَصَابَ اللَّهُ قُرَيْشًا بِالْوَفْعَةِ يَوْمَ بَدْرٍ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَنْكَالُ: الْفَيْدُ، وَاحِدُهَا: نِكْلٌ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

يَكْفِيكَ نِكْلِي بَغْيِي كُلِّ نِكْلٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

(مَا نَزَلَ فِيمَنْ عَاوَنُوا أَبَا سُفْيَانَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﷻ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال ٨ / ٣٦) يَعْنِي النَّفَرُ الَّذِينَ مَشَوْا إِلَىٰ أَبِي سُفْيَانَ، وَإِلَىٰ مَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي تِلْكَ التَّجَارَةِ، فَسَأَلُوهُمْ أَنْ يُقَوُّوهُمْ بِهَا عَلَىٰ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَفَعَلُوا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا لِحَرَبِكَ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال ٨ / ٣٨) أَيَّ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ.

(الْأَمْرُ بِقِتَالِ الْكُفَّارِ)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أَيَّ حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ، وَيَكُونَ التَّوْحِيدُ لِلَّهِ خَالِصًا لَيْسَ لَهُ فِيهِ شَرِيكٌ، وَيُخْلَعَ مَا دُونَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ. وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنْ أَمْرِكَ إِلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ كُفْرِهِمْ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ الَّذِي أَعَزَّكُمْ وَنَصَرَكُمْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فِي كَثْرَةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِكُمْ ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الأنفال ٨/ ٣٩-٤٠)

(مَا نَزَلَ فِي تَقْسِيمِ الْفَيِّءِ)

ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ مَقَاسِمَ الْفَيِّءِ وَحُكْمَهُ فِيهِ، حِينَ أَحَلَّهُ لَهُمْ، فَقَالَ:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفَاقُ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الأنفال ٨/ ٤١) أَيَّ يَوْمَ فَرَّقَتْ فِيهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِقُدْرَتِي يَوْمَ التَّفَاقُ الْجَمْعَانِ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا﴾ مِنَ الْوَادِي ﴿وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ مِنَ الْوَادِي إِلَى مَكَّةَ ﴿وَالرَّكْبُ أَهْلُ الْوَادِي﴾ أَيَّ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ الَّتِي خَرَجْتُمْ لِتَأْخُذُوهَا وَخَرَجُوا لِيَمْنَعُوهَا عَنْ غَيْرِ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ ﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ أَيَّ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ عَنْ مِيعَادٍ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ ثُمَّ بَلَغَكُمْ كَثْرَةُ عَدَدِهِمْ، وَقِلَّةُ عَدَدِكُمْ مَا لَقِيتُمُوهُمْ ﴿وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ أَيَّ لِيَقْضِيَ مَا أَرَادَ بِقُدْرَتِهِ مِنْ إِعْزَازِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ وَإِذْلالِ الْكُفْرِ وَأَهْلِهِ عَنْ غَيْرِ بَلَاءٍ^{٤٠٨} مِنْكُمْ فَفَعَلَ مَا أَرَادَ مِنْ ذَلِكَ بِطُفْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ،

وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيْنَةٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ (الأنفال ٨ / ٤٢) أَي لِيَكْفُرَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ الْحُجَّةِ لِمَا رَأَىٰ مِنَ الْآيَةِ وَالْعِبْرَةِ، وَيُؤْمِنُ مَنْ آمَنَ عَلَىٰ مِثْلِ ذَلِكَ.

(مَا نَزَلَ فِي لُطْفِ اللَّهِ بِالرَّسُولِ)

ثُمَّ ذَكَرَ لُطْفَهُ بِهِ وَكَيْدَهُ لَهُ، ثُمَّ قَالَ:

﴿إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا، وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَاشَلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (الأنفال ٨ / ٤٣) فَكَانَ مَا أَرَاكَ مِنْ ذَلِكَ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ، شَجَعَهُمْ بِهَا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَكَفَّ بِهَا عَنْهُمْ مَا تَخَوَّفَ عَلَيْهِمْ مِنْ ضَعْفِهِمْ، لِعِلْمِهِ بِمَا فِيهِمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تَخَوَّفَ: مُبَدَّلَةٌ مِنْ كَلِمَةٍ ذَكَرَهَا ابْنُ إِسْحَاقَ وَلَمْ أَذْكُرْهَا^{٤٠٩} ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَاقُتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ (الأنفال ٨ / ٤٤) أَي لِيُؤَلَّفَ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ الْحَرْبِ لِلنِّقْمَةِ مِمَّنْ أَرَادَ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُ، وَالْإِنْعَامَ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ إِتِمَامَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، مِنْ أَهْلِ وَلَايَتِهِ.

(مَا نَزَلَ فِي وَعْظِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْلِيمِهِمْ خُطَطَ الْحَرْبِ)

ثُمَّ وَعَظَهُمْ وَفَهَّمَهُمْ وَأَعْلَمَهُمُ الَّذِي يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا بِهِ فِي حَرْبِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ تَقَاتَلُونَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ ﴿فَانْصَبُوا وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الَّذِي لَهُ بَدَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ، وَالْوَفَاءَ لَهُ بِمَا أُعْطِيْتُمُوهُ مِنْ بَيْعَتِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ

٤٠٩ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «يُقَالُ: الْكَلِمَةُ (تَخْوِيف) يَفْتَحُ النَّاءَ وَالْحَاءَ وَالْوَاوَ، وَقِيلَ: كَانَتْ (تَخَوُّفًا) وَأَصْلَحَ ذَلِكَ ابْنُ هِشَامٍ لَشَاعَةِ اللَّفْظِ فِي حَقِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

تُفْلِحُونَ. وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ۖ أَيُّ لَا تَخْتَلِفُوا فَيَتَفَرَّقَ أَمْرُكُمْ
 ﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أَيُّ وَتَذْهَبَ حَدَّتُكُمْ ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال ٤٥-٤٦)
 ٨/ (٤٦-٤٥) أَيُّ إِنِّي مَعَكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا
 وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾ (الأنفال ٨/ ٤٧) أَيُّ لَا تَكُونُوا كَأَبِي جَهْلٍ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ قَالُوا: لَا تَرْجِعْ
 حَتَّى نَأْتِيَ بَدْرًا فَتَنْحَرِبَ بِهَا الْجُزُرُ وَتُسْقَى بِهَا الْخَمَرُ، وَتَعْرِفَ عَلَيْنَا فِيهَا الْقِيَانُ، وَتَسْمَعَ
 الْعَرَبُ: أَيُّ لَا يَكُونُ أَمْرُكُمْ رِيَاءً، وَلَا سُمْعَةً، وَلَا التِّمَاسَ مَا عِنْدَ النَّاسِ وَأَخْلَصُوا لِلَّهِ
 النِّيَّةَ وَالْحِسْبَةَ فِي نَصْرِ دِينِكُمْ، وَمُوَازَرَةِ نَبِيِّكُمْ، لَا تَعْمَلُوا إِلَّا لِذَلِكَ وَلَا تَطْلُبُوا غَيْرَهُ.
 ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ،
 وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ (الأنفال ٨/ ٤٨)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَقَدْ مَضَى تَفْسِيرُ هَذِهِ الْآيَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلَ الْكُفْرِ، وَمَا يَلْقَوْنَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، وَوَصَفَهُمْ
 بِصِفَتِهِمْ، وَأَخْبَرَ نَبِيَّهِ ﷺ عَنْهُمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَنْ قَالَ ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ
 فَنَشَرَّدْ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ (الأنفال ٨/ ٥٧) أَيُّ فَكُلَّ بِهِمْ مِنْ وَرَائِهِمْ
 لَعَلَّهُمْ يَعْقِلُونَ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ
 اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ،
 وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال ٨/ ٦٠) أَيُّ لَا يَضِيعُ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَجْرُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَعَاجِلُ
 خِلْفِهِ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا﴾ أَيُّ إِنْ دَعَوْكَ إِلَى
 السَّلَامِ عَلَى الْإِسْلَامِ فَصَالِحُهُمْ عَلَيْهِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ كَافٍكَ ﴿إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال ٨/ ٦١)



(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: جَنَحُوا لِلسَّلَامِ: مَالُوا إِلَيْكَ لِلسَّلَامِ. الْجُنُوحُ: الْمَيْلُ. قَالَ لَبِيدُ بْنُ رَيْبَعَةَ:

جُنُوحُ الْهَالِكِيِّ عَلَى يَدَيْهِ ... مُكِبًّا يَجْتَلِي ثَقَبَ النَّصَالِ^{٤١٠}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ يُرِيدُ: الصَّيْقَلُ الْمُكَبَّ عَلَى عَمَلِهِ. الثَّقَبُ صَدَأُ السَّيْفِ. يَجْتَلِي: يَجْلُو السَّيْفَ.

وَالسَّلَامُ (أَيْضًا): الصُّلْحُ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ:

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ (محمد ٤٧/ ٣٥)

وَيُقْرَأُ: ﴿إِلَى السَّلَامِ﴾، وَهُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى. قَالَ زُهَيْرُ بْنُ أَبِي سُلَمَى:

وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ نَذَرِكُ السَّلَامَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْقَوْلِ نَسَلَمَ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَبَلَغَنِي عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ لِلْإِسْلَامِ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا

فِي السَّلَامِ كَافَّةً﴾ (البقرة ٢٠٨/ ٢)، وَيُقْرَأُ ﴿فِي السَّلَامِ﴾، وَهُوَ الْإِسْلَامُ. قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

فَمَا أَنَابُوا لِلسَّلَامِ حِينَ تُنذِرُهُمْ ... رُسُلَ الْإِلَهِ وَمَا كَانُوا لَهُ عَضْدًا^{٤١١}

٤١٠ الهالكى: الخداد والصيقل، نسبة إلى الهالك بن أسد أول من عمل الخداد.

٤١١ أناب: رَجَعَ.

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِدَلْوٍ تَعْمَلُ مُسْتَطِيلَةً: السَّلْمُ. قَالَ طَرَفَةُ بْنُ الْعَبْدِ، أَحَدُ بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، يَصِفُ نَاقَةً لَهُ:

لَهَا مِرْفَقَانِ أَفْتَلَانِ كَأَنَّمَا ... تَمُرُّ بِسَلْمَى دَالِحٍ مُشَدِّدٍ^{٤١٢}

وَيُرَوَى: دَالِحٍ^{٤١٣}. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ هُوَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ. «هُوَ الَّذِي آيَدَكَ بِنَصْرِهِ» بَعْدَ الضَّعْفِ «وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ» عَلَى الْهُدَى الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ «لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» بِدِينِهِ الَّذِي جَمَعَهُمْ عَلَيْهِ «إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (الأنفال ٨/ ٦٢-٦٣)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (الأنفال ٨/ ٦٤-٦٥) أَي لَا يُقَاتِلُونَ عَلَى نِيَّةٍ وَلَا حَقٍّ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِخَيْرٍ وَلَا شَرٍّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ اشْتَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَعْظَمُوا أَنْ يُقَاتِلَ عِشْرُونَ مِائَتَيْنِ، وَمِائَةٌ أَلْفًا، فَخَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَنَسَخَتْهَا الْآيَةُ الْأُخْرَى، فَقَالَ:

٤١٢ الدالِح: الذي يمشى بحمله متقبض الخطو لثقله عليه.

٤١٣ والدالِح: الذي يمشى بالدلو بين الحوض والبئر.

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال ٦٦ / ٨)
قَالَ: فَكَانُوا إِذَا كَانُوا عَلَى الشَّطْرِ مِنْ عَدُوِّهِمْ لَمْ يَتَّبِعْ لَهُمْ أَنْ يَفِرُوا مِنْهُمْ، وَإِذَا كَانُوا دُونَ ذَلِكَ لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِمْ قِتَالُهُمْ وَجَازَ لَهُمْ أَنْ يَتَحَوَّزُوا عَنْهُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي الْأَسَارَى وَالْمَغَانِمِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ عَاتَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْأَسَارَى، وَأَخَذَ الْمَغَانِمِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَأْكُلُ مَغْنَمًا مِنْ عَدُوِّ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَبُو جَعْفَرٍ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تُحَلَّلْ لِنَبِيِّ كَانَ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، خَمْسُ لَمْ يُؤْتَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى﴾ مِنْ عَدُوِّهِ ﴿حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أَيْ يُنْخَنَ^١ عَدُوُّهُ، حَتَّى يَنْفِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ أَيْ الْمَتَاعَ، الْفِدَاءَ بِأَخْذِ الرِّجَالِ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ (الأنفال ٦٧ / ٨) أَيْ قَتَلَهُمْ لِيُظْهِرَ الدِّينَ الَّذِي يُرِيدُ إِظْهَارَهُ، وَالَّذِي تُدْرِكُ بِهِ الْآخِرَةُ ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ أَيْ مِنَ الْأَسَارَى وَالْمَغَانِمِ ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (الأنفال ٦٨ / ٨) أَيْ لَوْلَا أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنِّي لَا أُعَذِّبُ إِلَّا بَعْدَ النَّهْيِ وَلَمْ يَكُنْ نَهَاؤُهُمْ، لَعَذَّبْتُكُمْ فِيمَا صَنَعْتُمْ، ثُمَّ أَحَلَّهَا لَهُ وَلَهُمْ رَحْمَةٌ مِنْهُ، وَعَائِدَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال ٦٩ / ٨)

ثُمَّ قَالَ: ﴿بَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنفال ٧٠ / ٨)
(مَا نَزَلَ فِي التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ)

وَحَضَّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى التَّوَاصُلِ، وَجَعَلَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ أَهْلَ وَلَايَةٍ فِي الدِّينِ دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، وَجَعَلَ الْكُفَّارَ بَعْضَهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ (الأنفال ٧٣ / ٨) أَيَّ إِلَّا يُوَالِ الْمُؤْمِنُ الْمُؤْمِنَ مِنْ دُونِ الْكَافِرِ، وَإِنْ كَانَ ذَا رَحِمٍ بِهِ: تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ أَيَّ شُبْهَةٌ فِي الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَظُهُورِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ بِتَوَلَّى الْمُؤْمِنِ الْكَافِرَ دُونَ الْمُؤْمِنِ.

ثُمَّ رَدَّ الْمَوَارِيثَ إِلَى الْأَرْحَامِ مِمَّنْ أَسْلَمَ بَعْدَ الْوَلَايَةِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ دُونَهُمْ إِلَى الْأَرْحَامِ الَّتِي بَيْنَهُمْ، فَقَالَ:

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ، وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَيَّ بِالْمِيرَاثِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الأنفال ٧٥ / ٨) ^{٤١٥}

(مَنْ قُتِلَ بِدَرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «عَدَدُهُم»)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَجَمِيعُ مَنْ أُحْصِيَ لَنَا مِنْ قَتْلَى قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ خَمْسُونَ رَجُلًا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو: أَنَّ قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا سَبْعِينَ رَجُلًا، وَالْأَسْرَى كَذَلِكَ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾ (آل عمران ١٦٥ / ٣) يَقُولُهُ



لأَصْحَابِ أَحَدٍ - وَكَانَ مَنْ أُسْتُشْهِدَ مِنْهُمْ سَبْعِينَ رَجُلًا - يَقُولُ: قَدْ أَصَبْتُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلِي مَنْ أُسْتُشْهِدَ مِنْكُمْ يَوْمَ أَحَدٍ، سَبْعِينَ قَتِيلًا وَسَبْعِينَ أَسِيرًا. وَأَنْشَدَنِي أَبُو زَيْدٍ الْأَنْصَارِيُّ لِكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ:

فَأَقَامَ بِالْعَطَنِ الْمُعْطَنَ مِنْهُمْ ... سَبْعُونَ، عُتْبَةُ مِنْهُمْ وَالْأَسُودُ^{٤١٦}

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَعْنِي قَتْلَى بَدْرٍ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ فِي حَدِيثِ يَوْمِ أَحَدٍ سَاءَ ذِكْرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعِهَا.^{٤١٧}

(أَمْرُ بَنِي قَيْنَقَاعَ)

قَالَ: وَقَدْ كَانَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ، مِنْ غَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمْرَ بَنِي قَيْنَقَاعَ، وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ بَنِي قَيْنَقَاعَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَمَعَهُمْ بِسُوقِ بَنِي قَيْنَقَاعَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، اخْذَرُوا مِنَ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنَ النَّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَرَى أَنَا قَوْمُكَ! لَا يَعْرِفُكَ أَنْكَ لَقِيتُ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَكِنْ حَارِبُنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ.

(مَا نَزَلَ فِيهِمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مَوْلَى لَالِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، أَوْ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِمْ:

٤١٦ العطن (في الأصل): مبرك الإبل حول الماء، فاستعاره هنا لقتلى يوم بدر من المشركين.

٤١٧ السيرة النبوية لابن هشام، ١، ٧١٤.

﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتْغَلْبُونَ وَتُخْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ. قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فُتُتَيْنِ التَّنَاقُتِ﴾ أَيُّ أَصْحَابِ بَدْرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَفُرَيْشٍ ﴿فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (آل عمران ١٢/٣-١٣) ٤١٨

(تَبَرُّؤُ ابْنِ الصَّامِتِ مِنْ حِلْفِهِمْ وَمَا نَزَلَ فِيهِ وَفِي ابْنِ أَبِي)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ، قَالَ: لَمَّا حَارَبَتْ بَنُو قَيْنِقَاعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، تَشَبَّثَ بِأَمْرِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، وَقَامَ دُونَهُمْ. قَالَ: وَمَسَىٰ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ أَحَدَ بَنِي عَوْفٍ، لَهُمْ مِنْ حِلْفِهِ مِثْلُ الَّذِي لَهُمْ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي، فَخَلَعَهُمْ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَإِلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ مِنْ حِلْفِهِمْ، وَقَالَ:

يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَوَلَّى اللَّهُ وَرَسُولَهُ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَأَبْرَأُ مِنْ حِلْفِ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ وَوَلَايَتِهِمْ. قَالَ: فِيهِ وَفِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنَ الْمَائِدَةِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ. فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أَيُّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي وَقَوْلُهُ: إِنِّي أَخْشَى الدَّوَائِرَ ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ. وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ



وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٠-٥٥﴾ وَذَكَرَ لِتَوَلَّى عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، وَتَبَرَّيْهِ مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ وَحِلْفِهِمْ وَوَلَايَتِهِمْ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة ٥٦/٥) ٤١٩

(غزوة أُحُد)

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ أُحُدٍ، كَمَا حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرِيُّ وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى ابْنُ جَبَّانٍ وَعَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَالْحُصَيْنُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَغَيْرُهُمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلُّهُمْ قَدْ حَدَّثَ بَعْضُ الْحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ، وَقَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُمْ كُلُّهُ فِيمَا سُقْتُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ عَنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالُوا، أَوْ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ:

لَمَّا أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَصْحَابِ الْقَلِيبِ، وَرَجَعَ فَلَهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ بِعِيرِهِ، مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رَجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَمَنْ كَانَتْ لَهُ فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةً، فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ، وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، فَلَعَلَّنَا نُدْرِكُ مِنْهُ ثَأْرَنَا بِمَنْ أَصَابَنَا، فَفَعَلُوا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَفِيهِمْ، كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقَرُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً، ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال ٨/٣٦) ٤٢٠

٤١٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٤٩-٥٠.

٤٢٠ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٦٠.

(مَا لَقِيَهُ الرَّسُولُ يَوْمَ أُحُدٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَأَصَابَ فِيهِمُ الْعَدُوُّ، وَكَانَ يَوْمَ بَلَاءٍ وَتَمَحِيصٍ، أَكْرَمَ اللَّهُ فِيهِ مَنْ أَكْرَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّهَادَةِ، حَتَّى خَلَصَ الْعَدُوُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَذُتَّ^{٢١} بِالْحِجَارَةِ حَتَّى وَقَعَ لِشِقِّهِ، فَأُصِيبَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، وَكُلِمَتْ^{٢٢} شَفَتُهُ، وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُسِرَتْ رِبَاعِيَّةُ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي وَجْهِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ وَهُوَ يَقُولُ: كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ:

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (آل عمران

٢٣/١٢٨/٣)

(أَمْرُ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ بَنِي صَامَتٍ مُنَافِقًا، فَخَرَجَ يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا اتَّقَى النَّاسُ، عَدَا عَلَى الْمُجَذَّرِ بْنِ ذِيادِ الْبَلَوِيِّ، وَقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ، أَحَدِ بَنِي صُبَيْعَةَ، فَتَتْلَهُمَا، ثُمَّ لَحِقَ بِمَكَّةَ بِقُرَيْشٍ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا يَذْكُرُونَ - قَدْ أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بِقَتْلِهِ إِنْ هُوَ ظَفَرَ بِهِ، فَفَاتَهُ، فَكَانَ بِمَكَّةَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى أَخِيهِ

٤٢١ فَذُتَّ، قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «مَنْ رَوَاهُ بِالرَّاءِ فَمَعْنَاهُ أُصِيبَ بِهَا. وَمَنْ رَوَاهُ (فَذُتَّ) بِالْدَالِ الْمُهْمَلَةِ، فَمَعْنَاهُ رَمَى حَتَّى التَّوَى بَعْضُ جَسَدِهِ».

٤٢٢ الشَّقُّ: الْجَانِبُ. شُجَّ: أَصَابَتْهُ شَجَّةٌ. كَلِمٌ: جَرَحَ (بِالْبَاءِ لِلْمَجْهُولِ فِيهِمَا).

٤٢٣ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ، ٢، ٧٩-٨٠.



الْجَلَّاسِ بْنِ سُؤَيْدٍ يَطْلُبُ التَّوْبَةَ، لِيَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ، فِيمَا بَلَغَنِي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ، وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ٨٦/٣) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي مَنْ أَثِقُ بِهِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ سُؤَيْدٍ قَتَلَ الْمُجَذَّرَ بْنَ ذِيَادٍ، وَلَمْ يَقْتُلْ قَيْسَ بْنَ زَيْدٍ، وَالِدَ الدَّلِيلِ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْهُ فِي قَتْلَى أَحَدٍ، وَإِنَّمَا قَتَلَ الْمُجَذَّرَ، لِأَنَّ الْمُجَذَّرَ بْنَ ذِيَادٍ كَانَ قَتَلَ أَبَاهُ سُؤَيْدًا فِي بَعْضِ الْحُرُوبِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِيمَا مَضَى مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، إِذْ خَرَجَ الْحَارِثُ بْنُ سُؤَيْدٍ مِنْ بَعْضِ حَوَائِطِ الْمَدِينَةِ، وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ مُضَرَّجَانِ^{٤٢٤}، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَضَرَبَ عُنُقَهُ، وَيُقَالُ: بَعْضُ الْأَنْصَارِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَتَلَ سُؤَيْدَ بْنَ الصَّامِتِ مَعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ غِيلَةً، فِي غَيْرِ حَرْبٍ رَمَاهُ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثٍ.^{٤٢٥}

(حُزْنُ الرَّسُولِ عَلَى حَمْزَةَ وَتَوَعُّدُهُ الْمُشْرِكِينَ بِالْمَثَلَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنِي، يَلْتَمِسُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَوَجَدَهُ بِبَطْنِ الْوَادِي قَدْ بَقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَمِثْلُ بِهِ، فَجَدَعَ أَنْفَهُ وَأُذُنَاهُ.

٤٢٤ المضحج: المشع حمرة، كأنه ضرج بالدم، أي لطح به.

٤٢٥ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٨٩.

فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الزُّبَيْرِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ حِينَ رَأَى مَا رَأَى: لَوْلَا أَنَّ تَحْزَنَ صَفِيَّةٌ، وَيَكُونُ سَنَةٌ مِنْ بَعْدِي لَتَرَكْتُهَ، حَتَّى يَكُونَ فِي بَطُونِ السَّبَاعِ، وَخَوَاصِلِ الطَّيْرِ، وَلَيْتَنِي أَظْهَرَنِي اللَّهُ عَلَى قُرَيْشٍ فِي مَوْطِنٍ مِنَ الْمَوَاطِنِ لَأُمَثِّلَنَّ بِثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْهُمْ. فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حُزْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَغَيْظَهُ عَلَى مَنْ فَعَلَ بِعَمِّهِ مَا فَعَلَ، قَالُوا: وَاللَّهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مِثْلَهُ لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلَمَّا وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَمْزَةَ قَالَ: لَنْ أَصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا! مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغِيظُ إِلَيَّ مِنْ هَذَا! ثُمَّ قَالَ: جَاءَنِي جَبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَكْتُوبٌ فِي أَهْلِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ: حَمْزَةُ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَسَدُ اللَّهِ، وَأَسَدُ رَسُولِهِ. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَمْزَةُ وَأَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ، إِخْوَةً مِنَ الرِّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْهُمْ مَوْلَاةٌ لِأَبِي لَهَبٍ. ٤٢٦

(مَا نَزَلَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمِثْلَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بُرَيْدَةُ بْنُ سَفْيَانَ بْنِ فَرْوَةَ الْأَسْلَمِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ، وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتُهُمْ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ اللَّهَ ﷻ أَنْزَلَ فِي ذَلِكَ، مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَوْلِ أَصْحَابِهِ:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ. وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ، وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (النحل ١٦/١٢٦-١٢٧)، فَعَفَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَصَبَرَ وَنَهَى عَنِ الْمِثْلَةِ.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، قَالَ: مَا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَقَامٍ قَطُّ فَفَارَقَهُ، حَتَّى يَأْمُرَنَا بِالصَّدَقَةِ، وَيَنْهَانَا عَنْ الْمُثْلَةِ. ٤٢٧

(ذِكْرُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقُرْآنِ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ، قَالَ: فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي يَوْمٍ أُحِدَ مِنَ الْقُرْآنِ سِتُونَ آيَةً مِنْ آلِ عِمْرَانَ، فِيهَا صِفَةٌ مَا كَانَ فِي يَوْمِهِمْ ذَلِكَ، وَمُعَاتَبَةٌ مِنْ عَاتَبَ مِنْهُمْ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ:

﴿وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (آل عمران

١٢١/٣)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ: تَتَّخِذُ لَهُمْ مَقَاعِدَ وَمَنَازِلَ. قَالَ الْكُمَيْتُ ابْنُ زَيْدٍ:

لَيْتَنِي كُنْتُ قَبْلَهُ ... قَدْ تَبَوَّأْتُ مَضْجَعَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتِ لَهُ.

أَيُّ سَمِيعٌ بِمَا تَقُولُونَ، عَلِيمٌ بِمَا تُخْفُونَ.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ أَنْ تَتَخَذَلَا، وَالطَّائِفَتَانِ: بَنُو سَلَمَةَ بْنِ جُشَمٍ بْنِ الْخَزَرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ بْنِ النَّبِيِّتِ مِنَ الْأَوْسِ، وَهُمَا الْجَنَاحَانِ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ أَيُّ الْمُدَافِعِ عَنْهُمَا مَا هَمَّتَا بِهِ مِنْ فَشْلِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا عَنْ

ضَعْفٍ وَوَهْنٍ أَصَابَهُمَا غَيْرُ شَكٍّ فِي دِينِهِمَا، فَتَوَلَّى دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمَا بِرَحْمَتِهِ وَعَائِدَتِهِ، حَتَّى سَلِمَتَا مِنْ وَهُونِهِمَا وَضَعْفِهِمَا، وَلَحِقَتَا بِنَبِيِّهِمَا ﷺ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنَ الْأَسَدِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، قَالَ: قَالَتِ الطَّائِفَتَانِ: مَا نَحِبُّ أَنَّ لَمْ نَهُمَّ بِمَا هَمَمْنَا بِهِ، لَتَوَلَّى اللَّهُ إِيَّانَا فِي ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران ١٢٢/٣) أَيُّ مَنْ كَانَ بِهِ ضَعْفٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَيَّ، وَلْيَسْتَعِزْ بِي، أَعِنَهُ عَلَى أَمْرِهِ، وَأُدْفِعْ عَنْهُ، حَتَّى أَبْلُغَ بِهِ، وَأُدْفِعْ عَنْهُ، وَأَقْوِيهِ عَلَى نِيَّتِهِ. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (آل عمران ١٢٣/٣) أَيُّ فَاتَّقُونِي، فَإِنَّهُ سُكَّرَ نِعْمَتِي. ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَقْلٌ عَدَاً وَأَضْعَفُ قُوَّةً﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُزْلِينَ. بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ (آل عمران ١٢٤-١٢٥/٣) أَيُّ إِنْ تَصْبِرُوا لِعَدُوِّي، وَتَطِيعُوا أَمْرِي، وَيَأْتُوكُمْ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا، أُمِدَّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ.

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: مُسَوِّمِينَ: مُعْلِمِينَ. بَلَّغْنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أَعْلَمُوا عَلَى أَذْنَابِ خَيْلِهِمْ وَنَوَاصِيهَا بِصُوفٍ أبيض. فَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَقَالَ: كَانَتْ سِيماهُمْ يَوْمَ بَدْرِ عَمَائِمَ بَيْضًا. وَقَدْ ذَكَرْتُ ذَلِكَ فِي حَدِيثِ بَدْرِ.

وَالسِّيَمَا: الْعَلَامَةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾

(الفتح ٢٩/٤٨) أَيُّ عَلَامَتُهُمْ. وَ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةٍ﴾ (هود ٨٢-٨٣)



يَقُولُ: مُعَلِّمَةٌ. بَلَّغْنَا عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: عَلَيْهَا عَلَامَةٌ، أَنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ حِجَارَةِ الدُّنْيَا، وَأَنَّهَا مِنْ حِجَارَةِ الْعَذَابِ. قَالَ رُوْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

فَالآنَ تُبَلِّى بِي الْحِيَادُ السَّهْمُ ... وَلَا تُجَارِينِي إِذَا مَا سَوَّمُوا^{٤٢٨}

وَشَخَّصَتْ أَبْصَارَهُمْ وَأَجْدَمُوا

أَجْدَمُوا (بِالدَّالِ الْمُعْجَمَةِ): أَيُّ أَسْرَعُوا، وَأَجْدَمُوا (بِالدَّالِ الْمُهْمَلَةِ): أَقْطَعُوا.

وَهَذِهِ الْأَبْيَاتُ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

وَالْمُسَوِّمَةُ (أَيْضًا): الْمَرْعِيَّةُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ﴾ (آل عمران ١٤/٣) و﴿شَجَرٍ فِيهِ تُسَيِّمُونَ﴾ (النحل ١٠/١٦) تَقُولُ الْعَرَبُ: سَوَّمْتُ حَيْلَهُ وَإِيْلَهُ، وَأَسَامَهَا: إِذَا رَعَاهَا. قَالَ الْكُمَيْتُ مِنْ زَيْدٍ:

رَاعِيًّا كَانَ مُسَجِّحًا فَقَدَنَاهُ ... وَفَقَدُ الْمُسِيمِ هُلُكُ السَّوَامِ

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: مُسَجِّحًا: سَلِسُ السِّيَاسَةِ مُحْسِنٌ إِلَى الْغَنَمِ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي فَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (آل عمران ١٢٦/٣) أَيُّ مَا سَمَّيْتُ لَكُمْ مِنْ سَمِيَّتٍ مِنْ جُنُودٍ مَلَائِكَتِي إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، لِمَا أَعْرِفُ مِنْ ضَعْفِكُمْ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِي، لِسُلْطَانِي وَقُدْرَتِي، وَذَلِكَ أَنَّ الْعِزَّ وَالْحُكْمَ إِلَيَّ، لَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي. ثُمَّ قَالَ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ (آل عمران ١٢٧/٣) أَيُّ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنْ

الْمُشْرِكِينَ بِقَتْلِ يَتَّقِمُ بِهِ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدُّهُمْ خَائِبِينَ: أَيُّ وَيَرْجِعُ مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ فَلَا خَائِبِينَ، لَمْ يَنَالُوا شَيْئًا مِمَّا كَانُوا يَأْمُلُونَ.

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَكْتِبُهُمْ: يَعْمَهُمْ أَشَدَّ الْغَمِّ، وَيَمْنَعُهُمْ مَا أَرَادُوا. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

مَا أَنَسَ مِنْ شَجَنِ لَا أَنَسَ مَوْقِفَنَا ... فِي حَيْرَةٍ بَيْنَ مَسْرُورٍ وَمَكْبُوتٍ^{٤٢٩}

وَيَكْتِبُهُمْ (أَيْضًا): يَضْرَعُهُمْ لُجُوهِهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ» أَيُّ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْحُكْمِ شَيْءٌ فِي عِبَادِي، إِلَّا مَا أَمَرْتُكَ بِهِ فِيهِمْ، أَوْ أَنْتُوبُ عَلَيْهِمْ بِرَحْمَتِي، فَإِنْ شِئْتُ فَعَلْتُ، أَوْ أَعَذِّبُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَبِحَقِّي «فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ» (آل عمران ١٢٨/٣) أَيُّ قَدْ اسْتَوْجَبُوا ذَلِكَ بِمَعْصِيَتِهِمْ إِيَّايَ «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» (آل عمران ١٢٩/٣) أَيُّ يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَرْحَمُ الْعِبَادَ، عَلَى مَا فِيهِمْ.

(النهي عن الربا)

ثُمَّ قَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» أَيُّ لَا تَأْكُلُوا فِي الْإِسْلَامِ، إِذْ هَذَا كُمْ اللَّهُ بِهِ مَا كُنتُمْ تَأْكُلُونَ إِذْ أَنْتُمْ عَلَى غَيْرِهِ، مِمَّا لَا يَحِلُّ لَكُمْ فِي دِينِكُمْ «وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» (آل عمران ١٣٠/٣) أَيُّ فَاطِيعُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَنْجُونَ مِمَّا حَذَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ عَذَابِهِ، وَتَدْرِكُونَ مَا رَغَبَكُمُ اللَّهُ فِيهِ مِنْ ثَوَابِهِ، «وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ» (آل عمران ١٣١/٣) أَيُّ الَّتِي جُعِلَتْ دَارًا لِمَنْ كَفَرَ بِي.



(الْحَضُّ عَلَى الطَّاعَةِ)

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران ١٣٢) مُعَاتَبَةً لِلَّذِينَ عَصَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمْ بِهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ وَفِي غَيْرِهِ. ثُمَّ قَالَ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٣) أَيْ دَارًا لِمَنْ أَطَاعَنِي وَأَطَاعَ رَسُولِي.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٤) أَيْ وَذَلِكَ هُوَ الْإِحْسَانُ، وَأَنَا أُحِبُّ مَنْ عَمَلَ بِهِ. ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ ذُنُوبَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَيْ إِنْ أَتَوْا فَاحِشَةً، أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَعْصِيَةِ ذَكَرُوا نَهْيَ اللَّهِ عَنْهَا، وَمَا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ، فَاسْتَغْفَرُوا لَهَا، وَعَرَفُوا أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا هُوَ. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران ١٣٥) أَيْ لَمْ يَقِيمُوا عَلَى مَعْصِيَتِي كَفَعَلَ مَنْ أَشْرَكَ بِي فِيمَا عَلَّمْتُ بِهِ فِي كُفْرِهِمْ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ مَا حَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ عِبَادَةٍ غَيْرِي.

﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران ١٣٦) أَيْ ثَوَابُ الْمُطِيعِينَ.

(ذِكْرُ مَا أَصَابَهُمْ وَتَعَزَّيْتُهُمْ عَنْهُ)

ثُمَّ اسْتَقْبَلَ ذِكْرَ الْمُصِيبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، وَالْبَلَاءَ الَّذِي أَصَابَهُمْ، وَالتَّمَحْيِصَ لِمَا كَانَ فِيهِمْ، وَاتِّخَاذَهُ الشُّهَدَاءَ مِنْهُمْ، فَقَالَ: تَعَزِّيَةٌ لَهُمْ، وَتَعْرِيفًا لَهُمْ فِيمَا صَنَعُوا، وَفِيمَا هُوَ صَانِعٌ بِهِمْ. ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ﴾ (آل عمران ١٣٧) أَي قَدْ مَضَتْ مِنِّي وَقَائِعُ نِقْمَةٍ فِي أَهْلِ التَّكْذِيبِ لِرُسُلِي وَالشُّرَكِ بِي: عَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمَ لُوطٍ وَأَصْحَابَ مَدْيَنَ، فَرَأَوْا مَثَلَاتٍ قَدْ مَضَتْ مِنِّي فِيهِمْ، وَلَمَنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ مِنِّي، فَإِنِّي أَمَلَيْتُ لَهُمْ: أَي لئَلَّا يَطْنُوا أَنَّ نِقْمَتِي انْقَطَعَتْ عَنْ عَدُوِّكُمْ وَعَدُوِّي، لِلدَّوَلَةِ الَّتِي أَذَلْتُهُمْ بِهَا عَلَيْكُمْ، لِيَسْتَلِيَكُمْ بِذَلِكَ، لِيُعَلِّمَكُمْ مَا عِنْدَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أَي هَذَا تَفْسِيرٌ لِلنَّاسِ إِنْ قَبِلُوا الْهُدَى وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ أَي نُورٌ وَأَدَبٌ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران ١٣٨) أَي لِمَنْ أَطَاعَنِي وَعَرَفَ أَمْرِي. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أَي لَا تَضَعُفُوا وَلَا تَبْتَسِسُوا عَلَى مَا أَصَابَكُمْ، ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أَي لَكُمْ تَكُونُ الْعَاقِبَةُ وَالظُّهُورُ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٣٩) أَي إِنْ كُنْتُمْ صَدَقْتُمْ نَبِيَّ بِمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي. ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ أَي جَرَّاحٌ^{٤٣٠} مِثْلُهَا، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أَي نُصَرَّفُهَا بَيْنَ النَّاسِ لِلْبَلَاءِ وَالتَّمَحِيصِ ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي لِيَمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، وَلِيُكْرِمَ مَنْ أَكْرَمَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ بِالشَّهَادَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (آل عمران ١٤٠) أَي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ بِالسُّنَنِهِمُ الطَّاعَةَ وَقُلُوبُهُمْ مُصِرَّةٌ عَلَى الْمَعْصِيَةِ ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَي يَخْتَبِرَ الَّذِينَ آمَنُوا حَتَّى يُخَلِّصَهُمْ بِالْبَلَاءِ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، وَكَيْفَ صَبَرُهُمْ وَبَقَائُهُمْ ﴿وَيُمَحِّقَ الْكَافِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤١) أَي يُبْطِلَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ قَوْلَهُمْ بِالسُّنَنِهِمُ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، حَتَّى يَظْهَرَ مِنْهُمْ كُفْرُهُمُ الَّذِي يَسْتَتِرُونَ بِهِ.

٤٣٠ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «قَالَ لِلْفَرَاءِ: الْقَرْحُ (بِفَتْحِ الْقَافِ): الْجَرَّاحُ. وَالْقَرْحُ (بِضَمِّ الْقَافِ) أَلَمُ الْجَرَّاحِ. وَغَيْرُهُ لَا يَفْرُقُ بَيْنَهُمَا.



(دَعْوَةُ الْجَنَّةِ لِلْمُجَاهِدِينَ)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٢/٣) أَي حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَتُصِيبُوا مِنْ ثَوَابِي الْكَرَامَةِ، وَلَمْ أَخْتَبِرْكُمْ بِالشَّدَةِ، وَأَبْتَلِيَكُمْ بِالْمَكَارِهِ، حَتَّى أَعْلَمَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْكُمْ بِالْإِيمَانِ بِي، وَالصَّبْرِ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِيَّ، وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الشَّهَادَةَ عَلَى الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ، يَغْنِي الَّذِينَ اسْتَنْهَضُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى خُرُوجِهِ بِهِمْ إِلَى عَدُوِّهِمْ، لِمَا فَاتَهُمْ مِنْ حَضُورِ الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ بَدْرٌ، وَرَغْبَةٌ فِي الشَّهَادَةِ الَّتِي فَاتَتْهُمْ بِهَا، فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمْنُونَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ يَقُولُ: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (آل عمران ١٤٣/٣) أَي الْمَوْتَ بِالشُّيُوفِ فِي أَيْدِي الرِّجَالِ قَدْ خَلَّى بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ صَدَّهُمْ عَنْكُمْ. ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٤/٣) أَي لِقَوْلِ النَّاسِ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَانْهَزَ امْتُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَانْصَرَفَتْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ رَجَعْتُمْ عَنْ دِينِكُمْ كُفَّارًا كَمَا كُنْتُمْ، وَتَرَكْتُمْ جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، وَكِتَابَ اللَّهِ. وَمَا خَلَفَ نَبِيُّهُ ﷺ مِنْ دِينِهِ مَعَكُمْ وَعِنْدَكُمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ لَكُمْ فِيمَا جَاءَكُمْ بِهِ عَنِّي أَنَّهُ مَيِّتٌ وَمَفَارِقُكُمْ، ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ أَي يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ أَي لَيْسَ يَنْقُصُ ذَلِكَ عِزَّ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا مُلْكُهُ وَلَا سُلْطَانُهُ وَلَا قُدْرَتُهُ، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ أَي مَنْ أَطَاعَهُ وَعَمِلَ بِأَمْرِهِ. ٣١

٤٣١ قَالَ السَّهْلِيُّ: «تَأْوِيلُ هَذِهِ الْآيَةِ حِينَ انْقَلَبَ أَهْلُ الرَّدَّةِ عَلَى أَعْقَابِهِمْ فَلَمْ يَضُرْ ذَلِكَ دِينَ اللَّهِ وَلَا أُمَّةَ نَبِيِّهِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُسَمَّى أَمِيرَ الشَّاكِرِينَ لِذَلِكَ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى صِحَّةِ خِلَافَتِهِ، لِأَنَّهُ الَّذِي قَاتَلَ الْمُنَافِقِينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مِنْ رَدِّهِمْ إِلَى الدِّينِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ».

ثُمَّ قَالَ:

«وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا» أَيُّ أَنْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أَجَلًا هُوَ بِالْعُغْه، فَإِذَا أَذِنَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ كَانَ. «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا، وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» (آل عمران ١٤٥/٣) أَيُّ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، لَيْسَتْ لَهُ رَغْبَةٌ فِي الْآخِرَةِ، نُؤْتِيهِ مِنْهَا مَا قُيِّمَ لَهُ مِنْ رِزْقٍ، وَلَا يَعْدُوهُ فِيهَا، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ حَظٍّ «وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا» مَا وَعَدَ بِهِ، مَعَ مَا يُجْزَى عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ فِي دُنْيَاهُ، وَذَلِكَ جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ، أَيُّ الْمُتَّقِينَ.

ثُمَّ قَالَ:

«وَكَايُنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ» (آل عمران ١٤٦/٣) أَيُّ وَكَائُنْ مِنْ نَبِيٍّ أَصَابَهُ الْقَتْلُ، وَمَعَهُ رِبِّيُونَ كَثِيرٌ: أَيُّ جَمَاعَةٌ، فَمَا وَهَنُوا لِفَقْدِ نَبِيِّهِمْ، وَمَا ضَعُفُوا عَنْ عَدُوِّهِمْ، وَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي الْجِهَادِ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ دِينِهِمْ، وَذَلِكَ الصَّبْرُ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ «وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ» (آل عمران ١٤٧/٣)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاحِدُ الرَّبِّيِّينَ: رَبِّيُّ، وَقَوْلُهُمْ: الرَّبَابُ، لَوْلَدِ عَبْدٍ مَنَاءَ بْنِ أَدِّ بْنِ طَابَخَةَ بْنِ إِلْيَاسَ، وَلِضَبَّةٍ، لِأَنَّهُمْ تَجَمَّعُوا وَتَحَالَفُوا، مِنْ هَذَا، يُرِيدُونَ الْجَمَاعَاتِ. وَوَاحِدَةُ الرَّبَابِ: رَبَّةٌ وَرِبَابَةٌ وَهِيَ جَمَاعَاتٌ قِدَاحٍ أَوْ عِصِيٍّ وَنَحْوَهَا، فَشَبَّهُوهَا بِهَا. قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ الْهَذَلِيُّ:



وَكَانَ هُنَّ رِبَابَةٌ وَكَانَتْهُ ... يَسْرُ يَفِيضُ عَلَى الْقِدَاحِ وَيَصْدَعُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ. وَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:
حَوْلَ شَيَاطِينِهِمْ أَبَايِلَ رَبِّ ... يُونُ شَدُّوا سَنَوْرًا مَدْسُورًا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالرَّبَابَةُ (أَيْضًا): الْخِرْفَةُ الَّتِي تُلَفُّ فِيهَا الْقِدَاحُ.
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالسَّنَوْرُ: الدَّرُوعُ. وَالْدُّسْرُ، هِيَ الْمَسَامِيرُ الَّتِي فِي الْحَلَقِ، يَقُولُ
اللَّهُ ﷻ: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ﴾ (القمر ١٣/٥٤)

قَالَ الشَّاعِرُ، وَهُوَ أَبُو الْأَخْزَرِ الْجَمَانِيُّ، مِنْ تَمِيمٍ: دَسْرًا بِأَطْرَافِ الْقَنَا الْمُقَوِّمِ.
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَيُّ فَعُولُوا مِثْلَ مَا قَالُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّكَ بِذُنُوبٍ مِنْكُمْ،
وَاسْتَغْفِرُوهُ كَمَا اسْتَغْفِرُوهُ، وَامْضُوا عَلَى دِينِكُمْ كَمَا مَضُوا عَلَى دِينِهِمْ، وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى
أَعْقَابِكُمْ رَاجِعِينَ، وَاسْأَلُوهُ كَمَا سَأَلُوهُ أَنْ يُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ، وَاسْتَنْصِرُوهُ كَمَا اسْتَنْصَرُوهُ
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ، فَكُلُّ هَذَا مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ كَانَ، وَقَدْ قُتِلَ نَبِيُّهُمْ، فَلَمْ يَفْعَلُوا كَمَا
فَعَلْتُمْ، فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابِ الدُّنْيَا بِالظُّهُورِ عَلَى عَدُوِّهِمْ، وَحَسُنَ ثَوَابُ الْآخِرَةِ وَمَا وَعَدَ
اللَّهُ فِيهَا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

(تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ مِنْ إِطَاعَةِ الْكُفَّارِ)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرْذِلُوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾
(آل عمران ١٤٩/٣) أَيُّ عَنْ عَدُوِّكُمْ، فَتَذْهَبُ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتُكُمْ ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ
النَّاصِرِينَ﴾ (آل عمران ١٥٠/٣) فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِكُمْ صِدْقًا فِي قُلُوبِكُمْ فَاعْتَصِمُوا
بِهِ، وَلَا تَسْتَنْصِرُوا بغيرِهِ، وَلَا تَرْجِعُوا عَلَى أَعْقَابِكُمْ مُرْتَدِّينَ عَنْ دِينِهِ.

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ (آل عمران ١٥١/٣) أَيِ الَّذِي بِهِ كُنْتُ أَنْصُرَكُمْ عَلَيْهِمْ بِمَا أَشْرَكُوا بِي مَا لَمْ أَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ حُجَّةٍ، أَيِ فَلَا تَظُنُّوا أَنَّ لَهُمْ عَاقِبَةَ نَصْرِ وَلَا ظُهُورٍ عَلَيْكُمْ مَا اعْتَصَمْتُمْ بِي، وَاتَّبَعْتُمْ أَمْرِي، لِلْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْكُمْ مِنْهُمْ بِذُنُوبٍ قَدْ مَتَمُّوْهَا لِأَنْفُسِكُمْ، خَالَفْتُمْ بِهَا أَمْرِي لِلْمَعْصِيَةِ، وَعَصَيْتُمْ بِهَا النَّبِيَّ ﷺ.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ، حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ، وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تَحْبُونُ، مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا، وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٥٢/٣) أَيِ وَقَدْ وَفَّيْتُ لَكُمْ بِمَا وَعَدْتُكُمْ مِنَ النَّصْرِ عَلَى عَدُوِّكُمْ، إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِالسَّيْفِ، أَيِ الْقَتْلِ، بِإِذْنِي وَتَسْلِيطِي أَيْدِيَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَفَى أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْحَسُّ: الْإِسْتِصَالُ: يُقَالُ: حَسَسْتُ الشَّيْءَ: أَيِ اسْتَأْصَلْتُهُ بِالسَّيْفِ وَغَيْرِهِ. قَالَ جَرِيرٌ:

تَحُسُّهُمْ السَّيْفُ كَمَا تَسَامَى ... حَرِيقُ النَّارِ فِي الْأَجَمِ الْحَصِيدِ^{٤٣٢}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ:

إِذَا شَكَوْنَا سَنَةً حَسُوسًا ... تَأْكُلُ بَعْدَ الْأَخْضَرِ الْيَبِيسَا

وَهَذَانِ الْبَيْتَانِ فِي أَرْجُوزَةٍ لَهُ.

٤٣٢ قَالَ السَّهْلِيُّ: «قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ الَّذِي كَانَ أَمِيرًا عَلَى الرُّمَّةِ، وَكَانَ أَمْرُهُمْ أَنْ يَلْزَمُوا مَكَانَهُمْ، وَلَا يَخَالِفُوا أَمْرَ نَبِيِّهِمْ، فَتَبَتَ مَعَهُ طَائِفَةٌ، فَاسْتَشْهَدَ وَاسْتَشْهَدُوا، وَهُمْ الَّذِينَ أَرَادُوا الْآخِرَةَ، وَأَقْبَلَتِ طَائِفَةٌ عَلَى الْمَغْنَمِ وَأَخَذَ السَّلْبَ، فَكَرَّ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ وَكَانَتْ الْمُصِيبَةُ».

٤٣٣ تَسَامَى: ارْتَفَعَ. وَالْأَجَمُ: جَمْعُ أَجْمَةٍ، وَهُوَ الشَّجَرُ الْمَلْتَفِ. وَالْحَصِيدُ: الْمَحْصُودُ الْمُقْطُوعُ.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ» أَي تَخَذَلْتُمْ «وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ» أَي اخْتَلَفْتُمْ فِي أَمْرِي، أَي تَرَكْتُمْ أَمْرَ نَبِيِّكُمْ وَمَا عَهْدَ إِلَيْكُمْ، يَعْنِي الرِّمَاءَ «وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ» أَي الْفَتْحَ، لَا شَكَّ فِيهِ، وَهَزِيمَةُ الْقَوْمِ عَنْ نِسَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا»: أَي الَّذِينَ أَرَادُوا النَّهْبَ فِي الدُّنْيَا وَتَرَكَ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ الطَّاعَةِ الَّتِي عَلَيْهَا ثَوَابُ الْآخِرَةِ «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» (آل عمران ١٥٢/٣) أَي الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ، وَلَمْ يُخَالِفُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ، لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، رَغْبَةً فِيهَا، رَجَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ حُسْنِ ثَوَابِهِ فِي الْآخِرَةِ، أَي الَّذِينَ جَاهَدُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخَالِفُوا إِلَى مَا نُهُوا عَنْهُ، لِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، لِيُخْتَبِرَكُمْ، وَذَلِكَ بَعْضُ ذُنُوبِكُمْ، وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْ عَظِيمِ ذَلِكَ، أَنْ لَا يُهْلِكَكُمْ بِمَا أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ نَبِيِّكُمْ، وَلَكِنِّي عُدْتُ بِفَضْلِي عَلَيْكُمْ، وَكَذَلِكَ «مَنْ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (آل عمران ١٦٤/٣) أَنْ عَاقَبَ بَعْضُ الذُّنُوبِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا أَدَبًا وَمَوْعِظَةً، فَإِنَّهُ غَيْرُ مُسْتَأْصِلٍ لِكُلِّ مَا فِيهِمْ مِنَ الْحَقِّ لَهُ عَلَيْهِمْ، بِمَا أَصَابُوا مِنْ مَعْصِيَتِهِ، رَحْمَةً لَهُمْ، وَعَائِدَةً عَلَيْهِمْ، لِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ.

(تَأْنِيهِ إِيَّاهُمْ لِفِرَارِهِمْ عَنْ نَبِيِّهِمْ)

ثُمَّ أَنبَهُهُمْ بِالْفِرَارِ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ، وَهُمْ يُدْعَوْنَ لَا يَعْطِفُونَ عَلَيْهِ لِدَعَائِهِ إِيَّاهُمْ، فَقَالَ: «إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ، وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ، فَأُثَابُكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ» أَي كَرَبًا بَعْدَ كَرَبٍ، بِقَتْلِ مَنْ قُتِلَ مِنْ إِنْخَوَانِكُمْ، وَعُلُوِّ عَدُوِّكُمْ عَلَيْكُمْ، وَبِمَا وَقَعَ فِي أَنْفُسِكُمْ مِنْ قَوْلٍ مَنْ قَالَ: قُتِلَ نَبِيِّكُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا تَتَابَعَ عَلَيْكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ، لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ، مِنْ

ظُهِرْكُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكُمْ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُمُوهُ بِأَعْيُنِكُمْ، وَلَا مَا أَصَابَكُمْ مِنْ قَتْلِ إِخْوَانِكُمْ، حَتَّىٰ فَرَجْتُ ذَٰلِكَ الْكَرْبَ عَنْكُمْ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران ١٥٣/٣) وَكَانَ الَّذِي فَرَجَ اللَّهُ بِهِ عَنْهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ الَّذِي أَصَابَهُمْ، أَنَّ اللَّهَ ﷻ رَدَّ عَنْهُمْ كَذِبَةَ الشَّيْطَانِ بِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ ﷺ، فَلَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، هَانَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ مِنَ الْقَوْمِ بَعْدَ الظُّهُورِ عَلَيْهِمْ، وَالْمُصِيبَةُ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ فِي إِخْوَانِهِمْ، حِينَ صَرَفَ اللَّهُ الْقَتْلَ عَنْ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

﴿ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمْنٌ نُعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ، قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ، يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ، يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا، قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ، وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ، وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران ١٥٤/٣)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ النُّعَاسَ أَمْنَةً مِنْهُ عَلَىٰ أَهْلِ الْيَقِينِ بِهِ، فَهُمْ نِيَامٌ لَا يَخَافُونَ، وَأَهْلُ النِّفَاقِ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ، يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ٤٣٤، ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ٤٣٥، تَخَوُّفَ الْقَتْلِ، وَذَٰلِكَ أَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ عَاقِبَةَ، فَذَكَرَ اللَّهُ ﷻ تَلَاوُمَهُمْ وَحَسَرَتَهُمْ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ. ثُمَّ قَالَ اللَّهُ ﷻ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ:

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لَمْ تَحْضُرُوا هَٰذَا الْمَوْطِنَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مِنْكُمْ مَا أَظْهَرَ مِنْ سَرَائِرِكُمْ ﴿لَبَرَزَ﴾ لَأَخْرَجَ ﴿الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ إِلَىٰ

٤٣٤ أي يظنون أن الله خاذل دينه ونبيه.

٤٣٥ أي أهل الجاهلية كأبي سفيان وأصحابه.

مَوْطِنٍ غَيْرِهِ يُصْرَعُونَ فِيهِ، حَتَّى يُبْتَلَى بِهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿آل عمران ١٥٤﴾ أَيْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا فِي صُدُورِهِمْ مِمَّا
اسْتَخَفَّوْا بِهِ مِنْكُمْ.

(تَحْذِيرُهُمْ أَنْ يَكُونُوا مِمَّنْ يَخْشَوْنَ الْمَوْتَ فِي اللَّهِ)

ثُمَّ قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا
فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزًى، لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا، لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً
فِي قُلُوبِهِمْ، وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (آل عمران ١٥٦) أَيْ لَا
تَكُونُوا كَالْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَنْهَوْنَ إِخْوَانَهُمْ عَنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالضَّرْبِ فِي
الْأَرْضِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﷻ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيَقُولُونَ إِذَا مَاتُوا أَوْ قُتِلُوا: لَوْ أَطَاعُونَا
مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لِقَلَّةِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِمْ، ﴿وَاللَّهُ
يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ أَيْ يُعَجِّلُ مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ مَا يَشَاءُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ أَجَالِهِمْ بِقُدْرَتِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ﴾ (آل عمران ١٥٧) أَيْ إِنَّ الْمَوْتَ لَكَائِنْ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَمَوْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،
أَوْ قَتْلٌ، خَيْرٌ لَوْ عَلِمُوا وَأَيَقَنُوا مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنَ الدُّنْيَا الَّتِي لَهَا يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الْجِهَادِ،
تَخَوُّفَ الْمَوْتِ وَالْقَتْلِ لِمَا جَمَعُوا مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا زَاهِدَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ
أَوْ قُتِلْتُمْ﴾ أَيْ ذَلِكَ كَانَ ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران ١٥٨) أَيْ أَنَّ إِلَى اللَّهِ
الْمَرْجِعَ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا، وَلَا تَغْتَرُّوا بِهَا، وَلْيَكُنِ الْجِهَادُ وَمَا رَغَبَكُمْ اللَّهُ فِيهِ مِنْ
ثَوَابِهِ آثَرًا عِنْدَكُمْ مِنْهَا.

(ذِكْرُهُ رَحْمَةً الرَّسُولِ عَلَيْهِمْ)

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ أَي لَتَرَكُوكَ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أَي فَتَجَاوَزْ عَنْهُمْ ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿آل عمران ١٥٩/٣﴾ فَذَكَرَ لِنَبِيِّهِ ﷺ لِيَنَّهُ لَهُمْ، وَصَبْرُهُ عَلَيْهِمْ، لِضَعْفِهِمْ، وَقِلَّةِ صَبْرِهِمْ عَلَى الْغِلْظَةِ لَوْ كَانَتْ مِنْهُ عَلَيْهِمْ فِي كُلِّ مَا خَالَفُوا عَنْهُ مِمَّا افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ طَاعَةِ نَبِيِّهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ أَي تَجَاوَزْ عَنْهُمْ، ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذُنُوبَهُمْ، مَنْ قَارَفَ^{٤٣٦} مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ مِنْهُمْ ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ أَي لِتَرْبِيهِمْ أَنَّكَ تَسْمَعُ مِنْهُمْ، وَتَسْتَعِينُ بِهِمْ، وَإِنْ كُنْتَ غَيِّبًا عَنْهُمْ، تَأَلَّفَا لَهُمْ بِذَلِكَ عَلَى دِينِهِمْ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أَي عَلَى أَمْرٍ جَاءَكَ مِنِّْي وَأَمْرٍ مِنْ دِينِكَ فِي جِهَادٍ عَدُوَّكَ لَا يُصْلِحُكَ وَلَا يُصْلِحُهُمْ إِلَّا ذَلِكَ، فَاْمُضِ عَلَى مَا أَمَرْتُ بِهِ، عَلَى خِلَافِ مَنْ خَالَفَكَ، وَمُوَافَقَةِ مَنْ وَافَقَكَ، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي اَرْضَ بِهِ مِنَ الْعِبَادِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ أَي لَيْلًا تَتَرَكَ أَمْرِي لِلنَّاسِ، وَارْضُضْ أَمْرَ النَّاسِ إِلَى أَمْرِي، ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لَا عَلَى النَّاسِ، ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿آل عمران ١٥٩/٣-١٦٠﴾

٤٣٦ يُقَالُ: قَارَفَ الرَّجُلُ الذَّنْبَ: إِذَا دَخَلَ فِيهِ وَلَا بَسَهُ.

(مَا نَزَلَ فِي الْغُلُولِ):

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ، وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران ١٦١/٣) أَيُّ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ النَّاسَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ بِهِ إِلَيْهِمْ، عَنْ رَهْبَةٍ مِنَ النَّاسِ وَلَا رَغْبَةٍ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَأْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِهِ، ثُمَّ يُجْزَى بِكَسْبِهِ، غَيْرَ مَظْلُومٍ وَلَا مُعْتَدِي عَلَيْهِ ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ عَلَى مَا أَحَبَّ النَّاسُ أَوْ سَخَطُوا ﴿كَمْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ لِرِضَا النَّاسِ أَوْ لِسَخَطِهِمْ. يَقُولُ: أَفَمَنْ كَانَ عَلَى طَاعَتِي، فَثَوَابُهُ الْجَنَّةَ وَرِضْوَانُ مِنَ اللَّهِ كَمْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَاسْتَوْجَبَ سَخَطُهُ، فَكَانَ ﴿مَأْوَاهُ جَهَنَّمَ وَبُئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران ١٦٢/٣) أَسَوَاءُ الْإِثْلَانِ! فَاعْرِفُوا. ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (آل عمران ١٦٣/٣) لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ: أَيُّ إِنْ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنْ أَهْلِ مَعْصِيَتِهِ.

(فَضَّلَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ بَعَثَ الرُّسُلَ)

ثُمَّ قَالَ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (آل عمران ١٦٤/٣) أَيُّ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْإِيمَانِ، إِذْ بَعَثَ فِيكُمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ فِيمَا أَحَدْتُمْ، وَفِيمَا عَمِلْتُمْ، فَيُعَلِّمُكُمُ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ، لَتَعْرِفُوا الْخَيْرَ فَتَعْمَلُوا بِهِ، وَالشَّرَّ فَتَتَّقُوهُ، وَيُخَبِّرُكُمْ بِرِضَاهُ عَنْكُمْ إِذَا أَطَعْتُمُوهُ فَتَسْتَكْثِرُوا مِنْ طَاعَتِهِ وَتَتَجَنَّبُوا مَا سَخَطَ مِنْكُمْ مِنْ مَعْصِيَتِهِ، لَتَتَخَلَّصُوا بِذَلِكَ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَتَدْرِكُوا بِذَلِكَ ثَوَابَهُ مِنْ جَنَّتِهِ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ: أَيُّ لَفِي عَمِيَاءَ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، أَيُّ لَا تَعْرِفُونَ حَسَنَةً وَلَا تَسْتَغْفِرُونَ مِنْ سَيِّئَةٍ، صُمُّ عَنْ الْخَيْرِ، بُكْمٌ عَنْ الْحَقِّ، عُمِّيٌّ عَنْ الْهُدَى.

(ذِكْرُهُ الْمُصِيبَةِ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ)

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصِيبَةَ الَّتِي أَصَابَتْهُمْ، فَقَالَ: «أَوَلَمْآ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ: أَتَى هَذَا؟ قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (آل عمران ٣/ ١٦٥)

أَيُّ إِنْ تَكُ قَدْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ فِي إِخْوَانِكُمْ بِذُنُوبِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قَبْلَ مِنْ عَدُوِّكُمْ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ بَيْدَرٍ، قَتَلَا وَأَسْرَا وَنَسِيتُمْ مَعْصِيَتَكُمْ وَخِلَافَكُمْ عَمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، أَنْتُمْ أَحْلَلْتُمْ ذَلِكَ بِأَنْفُسِكُمْ «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» أَيُّ إِنْ اللَّهَ عَلَى مَا أَرَادَ بِعِبَادِهِ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ عِقَابٍ قَدِيرٌ «وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّنْفِ الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ، وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ» أَيُّ مَا أَصَابَكُمْ حِينَ التَّقِيْتُمْ أَنْتُمْ وَعَدُوَّكُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ، كَانَ ذَلِكَ حِينَ فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بَعْدَ أَنْ جَاءَكُمْ نَصْرِي، وَصَدَقْتُمْ وَعَدِي، لِيُمَيِّزَ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، «وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا» مِنْكُمْ: أَيُّ لِيُظْهِرَ مَا فِيهِمْ. «وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْهَبُوا»: يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابَهُ الَّذِينَ رَجَعُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ سَارَ إِلَى عَدُوِّهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِأَحَدٍ، وَقَوْلُهُمْ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ تُقَاتِلُونَ لَسَرْنَا مَعَكُمْ، وَلَدَفَعْنَا عَنْكُمْ، وَلَكِنَّا لَا نَظُنُّ أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ. فَأَظْهَرَ مِنْهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: «هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمِيذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ» أَيُّ يُظْهِرُونَ لَكَ الْإِيمَانَ وَلَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ «وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ» أَيُّ مَا يُخْفُونَ «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ» الَّذِينَ أُصِيبُوا مَعَكُمْ مِنْ عَسَائِرِهِمْ وَقَوْمِهِمْ: «لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قُلْ فَادْرُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (آل عمران ٣/ ١٦٦-١٦٨) أَيُّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوهُ عَنْ أَنْفُسِكُمْ فَافْعَلُوا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّمَا نَافَقُوا وَتَرَكُوا الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حِرْصًا عَلَى الْبَقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِرَارًا مِنَ الْمَوْتِ.



(التَّوْبَةُ فِي الْجِهَادِ)

ثُمَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ، يُرْغَبُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْجِهَادِ، وَيُهَوَّنَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ. فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أَيُّ لَا تَطْنَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا: أَيُّ قَدْ أَحْيَيْتَهُمْ، فَهُمْ عِنْدِي يُرْزُقُونَ فِي رَوْحِ الْجَنَّةِ وَفَضْلِهَا، مُسْرُورِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى جِهَادِهِمْ عَنْهُ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ: أَيُّ وَيُسْرُّونَ بِلُحُوقِ مَنْ لَحِقَهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمْ عَلَى مَا مَضَوْا عَلَيْهِ مِنْ جِهَادِهِمْ، لِيَشْرَكُوهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَاهُمْ، قَدْ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْخَوْفَ وَالْحَزْنَ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران ١٦٩/٣-١٧١) لِمَا عَايَنُوا مِنْ وَفَاءِ الْمَوْعُودِ، وَعَظِيمِ الثَّوَابِ.

(مَصِيرُ قَتْلَى أَحَدٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خُضِرَ، تَرْدُ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ، فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَشْرِيبِهِمْ وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا، لئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا»^{٤٣٧} عَنْ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَأَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ، فَانْزَلِ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ...﴾

٤٣٧ لَا يَنْكَلُوا: أَيُّ لَا يَرْجِعُوا هَائِلِينَ لَعْدُوهُمْ، خَائِفِينَ مِنْهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ بْنُ الْفَضِيلِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقٍ نَهَرِ بَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضِرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَّهِمُ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران ١٦٩/٣) فَقَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْهَا فَقِيلَ لَنَا: إِنَّهُ لَمَّا أَصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خَضِرٍ، تَرُدُّ أُنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَيَطْلُعُ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِمْ أَطْلَاعَةً يَقُولُ: يَا عِبَادِي، مَا تَشْتَهُونَ فَازِيدُكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا، الْجَنَّةَ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا! قَالَ: ثُمَّ يَطْلُعُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَطْلَاعَةً، يَقُولُ: يَا عِبَادِي، مَا تَشْتَهُونَ، فَازِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا، الْجَنَّةَ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا! قَالَ: ثُمَّ يَطْلُعُ عَلَيْهِمْ أَطْلَاعَةً، يَقُولُ: يَا عِبَادِي، مَا تَشْتَهُونَ فَازِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا لَا فَوْقَ مَا أَعْطَيْتَنَا، الْجَنَّةَ نَأْكُلُ مِنْهَا حَيْثُ شِئْنَا. إِلَّا أَنَّا نَحِبُّ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، ثُمَّ تُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَنَقَاتِلَ فِيكَ، حَتَّى نُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عُقَيْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَلَا أُبَشِّرُكَ يَا جَابِرُ؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: إِنَّ أَبَاكَ حَيْثُ أَصِيبَ بِأَحَدٍ أَحْيَاهُ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: مَا تُحِبُّ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو أَنْ أَفْعَلَ بِكَ؟ قَالَ: أَيُّ رَبِّ، أَحِبُّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ فِيكَ، فَأُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ

الْحَسَنَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُفَارِقُ الدُّنْيَا يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا إِلَّا الشَّهِيدَ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى.

(ذِكْرٌ مِنْ خَرَجُوا عَلَى الرَّسُولِ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ أَيْ الْجِرَاحُ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ سَارُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْغَدَ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ^{٤٣٨} عَلَى مَا بِهِمْ مِنَ أَلَمِ الْجِرَاحِ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿آل عمران ١٧٢/٣-١٧٣﴾ وَالنَّاسُ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ مَا قَالُوا، النَّفَرُ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ، الَّذِينَ قَالَ لَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ مَا قَالَ؟ قَالُوا إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ رَاجِعُونَ إِلَيْكُمْ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَانْقَلِبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ، وَاتَّبِعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران ١٧٤/٣) لِمَا صَرَفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ لِقَاءِ عَدُوِّهِمْ، ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أَيْ لِأَوْلِيكَ الرَّهْطِ وَمَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ﴿يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ أَيْ يُرْهِبُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ، ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴿أَيُّ الْمُنَافِقُونَ﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا، يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا

٤٣٨ حمراء الأسد: موضع على ثمانية أميال من المدينة، عن يسار الطريق إذا أردت ذا الحليفة. (انظر: معجم ما

نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ، إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ. مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۚ أَيُّ الْمُنَافِقِينَ ۚ ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ أَيُّ فِيمَا يُرِيدُ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ بِهِ، لِيَتَحَذَّرُوا مَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ فِيهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ أَيُّ يَعْلَمُهُ ذَلِكَ ۚ ﴿فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ أَيُّ تَرَجِعُوا وَتَتَوَبَّعُوا ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (آل عمران ٣/ ١٧٥-١٧٩) ٤٣٩

(ذِكْرُ يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ)

قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، قَالَ: قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ أَحَدِ رَهْطٍ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَضَلٌ وَالْقَارَةُ، مِنَ الْهُونِ بْنِ خُرَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: الْهُونُ، بِضَمِّ الْهَاءِ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا، فَأَبْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِكَ يُعَقِّهُونَنَا فِي الدِّينِ، وَيُقَرِّئُونَنَا الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمُونَنَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفَرًا سِتَّةً ٤٤٠ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَهُمْ: مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ، حَلِيفُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَخَالِدُ بْنُ الْبَكْرِ اللَّيْثِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ الْأَوْسِ، وَخُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخُو بَنِي جَحْجَجَى بْنِ كُلْفَةَ ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ،

٤٣٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ١٠٦-١٢١.

٤٤٠ قيل: إِنَّهُمْ كَانُوا عَشْرَةً، وَهُوَ أَصَحُّ، سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَأَرْبَعَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. (الرَّوَضُ الْأَنْفِ

وشرح ديوان حسان، طبع أوربا، ص. ٦٦ وشرح المواهب اللدنية، ج. ٢، ص. ٦٤)



وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِيَّةِ بْنِ مُعَاوِيَةَ، أَخُو بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ غَضَبِ بْنِ جُشَمِ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَارِقِ حَلِيفُ بَنِي ظَفَرِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ.

وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْقَوْمِ مَرْثَدَ بْنَ أَبِي مَرْثَدِ الْغَنَوِيِّ^{٤١}، فَخَرَجَ مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى إِذَا كَانُوا عَلَى الرَّجِيعِ، مَاءٍ لِهَذِيلِ بَنَاحِيَةِ الْحِجَازِ، عَلَى صُدُورِ الْهَدَاةِ^{٤٢} غَدَرُوا بِهِمْ، فَاسْتَصْرَحُوا^{٤٣} عَلَيْهِمْ هَذِيلًا، فَلَمْ يَرُغِ الْقَوْمُ، وَهُمْ فِي رَحَالِهِمْ، إِلَّا الرِّجَالُ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ، قَدْ عَشَوْهُمْ، فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيَقَاتِلُوهُمْ فَقَالُوا لَهُمْ: إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ سَيِّئًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَنْ لَا نَقْتُلَكُمْ...

(مَا نَزَلَ فِي سَرِيَّةِ الرَّجِيعِ مِنَ الْقُرْآنِ)

قَالَ: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ مِمَّا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي تِلْكَ السَّرِيَّةِ، كَمَا حَدَّثَنِي مَوْلَى لَيْلٍ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، عَنْ عِكْرَمَةَ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا أُصِيبَتِ السَّرِيَّةُ الَّتِي كَانَ فِيهَا مَرْثَدٌ وَعَاصِمٌ بِالرَّجِيعِ، قَالَ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: يَا وَيْحَ هَؤُلَاءِ الْمُفْتُونِينَ الَّذِينَ هَلَكُوا هَكَذَا، لَا هُمْ فَعَدُوا فِي أَهْلِيهِمْ، وَلَا هُمْ أَدَوْا رِسَالَهَ صَاحِبِهِمْ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْمُنَافِقِينَ،

٤٤١ قيل إن الرسول ﷺ أمر عليهم عاصم بن ثابت. (الروض الأنف وشرح المواهب)

٤٤٢ قَالَ يَاقُوتُ: «الْهَدَاةُ، كَمَا ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي قَتْلِ عَاصِمٍ، قَالَ: وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَكَّةَ، وَكَذَا صَبَطَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْبَكْرِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: يُقَالُ لِمَوْضِعٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ: الْهَدَاةُ، بِغَيْرِ أَلِفٍ، وَهُوَ غَيْرُ الْأَوَّلِ، ذَكَرَ مَعَهُ لِنَفْسِ الْوَهْمِ».

٤٤٣ استصرخوا: استنصروا.

وَمَا أَصَابَ أُولَئِكَ النَّفَرُ مِنَ الْخَيْرِ بِالَّذِي أَصَابَهُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أَي لِمَا يُظْهِرُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِلِسَانِهِ، ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِمَا يَقُولُ بِلِسَانِهِ، ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (البقرة ٢٠٤ / ٢) أَي ذُو جِدَالٍ إِذَا كَلَّمَكَ وَرَاجَعَكَ.

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَلَدُ: الَّذِي يَشْغَبُ، فَتَشْتَدُّ خُصُومَتُهُ، وَجَمْعُهُ: لُدٌّ.
وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ (مريم ٩٧ / ١٩) وَقَالَ الْمُهَلْهَلُ بْنُ رِبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ، وَاسْمُهُ امْرُؤُ الْقَيْسِ، وَيُقَالُ: عَدِيٌّ بْنُ رِبِيعَةَ:
إِنَّ تَحْتَ الْأَحْجَارِ حَدًّا وَلِينًا ... وَخَصِيمًا أَلَدًا ذَا مِعْلَاقٍ^{٤٤٤}
وَيُرَوَّى «ذَا مِعْلَاقٍ»^{٤٤٥} فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، وَهُوَ الْأَلَنْدُ.
قَالَ الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ الطَّائِي يَصِفُ الْحِرَبَاءَ:
يُوفِي عَلَى جِذَمِ الْجُدُولِ كَأَنَّهُ ... خَصْمٌ أَبْرَ عَلَى الْخُصُومِ الْأَنْدَدِ^{٤٤٦}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

٤٤٤ يَقُولُ إِنَّ فِيهِ حِدَةً لِأَعْدَائِهِ وَلِينًا لِأَوْلِيَائِهِ، وَالْأَلَدُ: الشَّدِيدُ الْخُصُومَةِ. وَذَا مِعْلَاقٍ: أَي أَنَّهُ يَتَعَلَّقُ بِحَبَّةٍ خَصِمِهِ.

٤٤٥ ذَا مِعْلَاقٍ: أَي أَنَّهُ يَغْلِقُ الْكَلَامَ عَلَى خَصِمِهِ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعَهُ

٤٤٦ يُوفِي: يَشْرَفُ. وَالْجَذَمُ: الْقِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَصْلُ أَيْضًا. وَالْجُدُولُ: الْأَصُولُ، الْوَاحِدُ: جَذَلٌ. وَأَبْرُ: أَي زَادَ وَظَهَرَ عَلَيْهِمْ. وَيُرَوَّى «أَبْنُ» بِالنُّونِ، أَي أَقَامَ وَلَمْ يَفْهَمْ الْخُصُومَةَ، يُقَالُ: ابْنُ فُلَانٍ بِالْمَكَانِ: إِذَا أَقَامَ بِهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ^{٤٧}: قَالَ تَعَالَى: «وَإِذَا تَوَلَّى» أَيُّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ «سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا، وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ» (البقرة ٢/ ٢٠٥) أَيُّ لَا يُحِبُّ عَمَلَهُ وَلَا يَرْضَاهُ. «وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ. وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ» (البقرة ٢/ ٢٠٦-٢٠٧) أَيُّ قَدْ شَرَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ، وَالْقِيَامِ بِحَقِّهِ، حَتَّى هَلَكُوا عَلَى ذَلِكَ، يَعْنِي تِلْكَ السَّرِيَّةَ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يَشْرِي نَفْسَهُ: يَبِيعُ نَفْسَهُ، وَشَرَوْا: بَاعُوا. قَالَ يَزِيدُ بْنُ رَيْعَةَ بْنِ مُقْرِغِ الْجَمِيرِيِّ:

وَشَرَيْتُ بُرْدًا لِيَتَنِي ... مِنْ بَعْدِ بُرْدِ كُنْتُ هَامَهُ^{٤٨}

بُرْدٌ: غِلَامٌ لَهُ بَاعُهُ. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَشَرَى أَيْضًا: اشْتَرَى. قَالَ الشَّاعِرُ:

فَقُلْتُ لَهَا لَا تَجْزَعِي أُمَّ مَالِكٍ ... عَلَى ابْنَيْكَ إِنْ عَبْدٌ لَيْسَ شَرَاهُمَا^{٤٩}

٤٤٧ وَفِي سَائِرِ الْأُصُولِ: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ» (البقرة ٢/ ٢٠٥) قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ حَدَّثَنِي مَوْلَى لَالِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ عَنْ عِكْرِمَةَ أَوْ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «أَيُّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِكَ سَعَى فِي الْأَرْضِ».

٤٤٨ الهامة: طَائِرٌ كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِ الْقَيْلِ، فَلَا يَزَالُ يَقُولُ: اسْقُونِي اسْقُونِي، حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ.

٤٤٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ١٦٩-١٧٦.

(أَمْرُ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ)

وَنَزَلَ فِي بَنِي النَّضِيرِ سُورَةُ الْحَشْرِ بِأَسْرِهَا، يَذْكُرُ فِيهَا مَا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ. وَمَا سَلَّطَ عَلَيْهِمْ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَمَا عَمِلَ بِهِ فِيهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ^{٤٠}، مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا، وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَذَلِكَ لِهَدْمِهِمْ بُيُوتَهُمْ عَنْ نُجْفِ أَبْوَابِهِمْ إِذَا احْتَمَلُوهَا. ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ، وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ وَكَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ، ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾: أَيُّ بِالسَّيْفِ، ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ (الحشر ٥٩/٢-٣) مَعَ ذَلِكَ. ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ وَاللَّيْنَةُ: مَا خَالَفَ الْعَجْوَةَ مِنَ النَّخْلِ ﴿فِيَاذِنْ لِلَّهِ﴾ أَيُّ فَبِأَمْرِ اللَّهِ قُطِعَتْ، لَمْ يَكُنْ فَسَادًا، وَلَكِنْ كَانَ نِعْمَةً مِنَ اللَّهِ ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ (الحشر ٥٩/٥)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: اللَّيْنَةُ: مِنَ الْأَلْوَانِ، وَهِيَ مَا لَمْ تَكُنْ بَرْنِيَّةً وَلَا عَجْوَةً مِنَ النَّخْلِ، فِيمَا حَدَّثَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

كَأَنَّ قَتُودِي فَوْقَهَا عُشُّ طَائِرٍ ... عَلَى لَيْنَةٍ سَوَقَاءَ تَهْفُو جُنُوبَهَا^{٤١}

٤٥٠ قَالَ السَّهْلِيُّ: رَوَى مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ: إِلَى أَيْنَ نَخْرُجُ يَا مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: إِلَى الْحَشْرِ، يَعْنِي أَرْضَ الْحَشْرِ، وَهِيَ الشَّامُ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي بَسْطَةٍ لَمْ يَصِبْهُمْ جَلَاءٌ قَبْلَهَا. فَلِذَلِكَ قَالَ: لِأَوَّلِ الْحَشْرِ، وَالْحَشْرِ: الْجَلَاءُ.

٤٥١ القُتُود: الرَّحْلُ مَعَ أَدَوَاتِهِ. وَسَوَقَاءُ: غَلِيظَةُ السَّاقِ. وَتَهْفُو: تَهْتَزُّ وَتَضْطَرِبُ. وَجُنُوبُهَا: نَوَاحِيهَا.



وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: يَعْنِي مِنْ بَنِي النَّضِيرِ - ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الحشر ٥٩/٦) أَيُّ لَهُ خَاصَّةٌ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَوْجَفْتُمْ: حَرَكْتُمْ وَأَتَعَبْتُمْ فِي السَّيْرِ. قَالَ تَمِيمُ بْنُ أَبِي بْنِ مُقْبِلٍ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَعَصَعَةَ:

مَذَاوِيدُ بِالْبَيْضِ الْحَدِيثِ صَقَالُهَا ... عَنْ الرِّكْبِ أَحْيَانًا إِذَا الرِّكْبُ أَوْجَفُوا^{٤٥٢}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ،

وَهُوَ الْوَجِيفُ. وَقَالَ أَبُو زُبَيْدٍ الطَّائِيُّ، وَاسْمُهُ حَرَمَلَةُ بْنُ الْمُنْدَرِ:

مُسْنِفَاتُ كَاتِهِنَّ قَنَا الْهِنْدِ ... لَطُولِ الْوَجِيفِ جَدَبَ الْمَرُودِ^{٤٥٣}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: السَّنَافُ: الْبَطَانُ^{٤٥٤}

وَالْوَجِيفُ (أَيْضًا): وَجِيفُ الْقَلْبِ وَالْكَبِدِ، وَهُوَ الضَّرْبَانُ. قَالَ قَيْسُ بْنُ الْخَطِيمِ الظَّفَرِيُّ:

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا الَّتِي عَلِمُوا ... أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَحِفُ

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

٤٥٢ المذاويد: جمع مذاود، وهو الذي يدافع عن قومه. والبيض: السيوف. والحديث صقالها، أي القريب عهدها بالصل. ٢٧٦

٤٥٣ مسنفات: مشدودات بالسنف، وهو الحزام. والجذب: القفر، والمروء: الموضع الذي يرتاده الرائد، أي الطالب للزعم.

٤٥٤ البطان: حزام منسوج.



﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ - قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مَا يُوجِفُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، وَفُتِحَ بِالْحَرْبِ عَنْوَةً فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ - وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنِ السَّبِيلِ، كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ، وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر ٥٩/٧) يَقُولُ: هَذَا قِسْمٌ آخَرُ فِيمَا أُصِيبَ بِالْحَرْبِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، عَلَى مَا وَضَعَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابَهُ، وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِمْ ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ (الحشر ٥٩/١١) يَعْنِي بَنِي النَّضِيرِ، إِلَى قَوْلِهِ ﴿كَمَثَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا وِبَالٍ أَمْرِهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الحشر ٥٩/١٥) يَعْنِي بَنِي قَيْنَقَاعَ. ثُمَّ الْقِصَّةُ... إِلَى قَوْلِهِ:

﴿كَمَثَلَ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ، فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ، إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ، فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا، وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (الحشر ٥٩/١٦-١٧) ٤٥٥

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ (صَلَاةُ الْخَوْفِ) ٤٥٦

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ التَّنُورِيُّ - وَكَانَ يُكْنَى: أَبَا عُبَيْدَةَ - قَالَ: حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فِي صَلَاةِ الْخَوْفِ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِطَائِفَةٍ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَطَائِفَةٌ مُقْبِلُونَ عَلَى الْعَدُوِّ. قَالَ: فَجَاءُوا فَصَلَّى بِهِمْ رَكَعَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ، ثُمَّ سَلَّمَ.

٤٥٥ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ١٩٢-١٩٥.

٤٥٦ انظر: النساء ٤/١٠٢.



قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: صَفَّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَفَيْنِ، فَرَكَعَ بِنَا جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَسَجَدَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، فَلَمَّا رَفَعُوا سَجَدَ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ تَأَخَّرَ الصَّفُّ الْأَوَّلُ، وَتَقَدَّمَ الصَّفُّ الْآخِرُ حَتَّى قَامُوا مَقَامَهُمْ ثُمَّ رَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ جَمِيعًا، ثُمَّ سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَسَجَدَ الَّذِينَ يُلُونَهُ مَعَهُ، فَلَمَّا رَفَعُوا رُءُوسَهُمْ سَجَدَ الْآخَرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ، فَرَكَعَ النَّبِيُّ ﷺ بِهِمْ جَمِيعًا، وَسَجَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِأَنْفُسِهِمْ سَجْدَتَيْنِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ التَّنُورِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَيُّوبُ عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: يَقُومُ الْإِمَامُ وَتَقُومُ مَعَهُ طَائِفَةٌ، وَطَائِفَةٌ مِمَّا يَلِي عَدُوَّهُمْ، فَيَرَكَعُ بِهِمُ الْإِمَامُ وَيَسْجُدُ بِهِمْ، ثُمَّ يَتَأَخَّرُونَ فَيَكُونُونَ مِمَّا يَلِي الْعَدُوَّ، يَتَقَدَّمُ الْآخَرُونَ فَيَرَكَعُ بِهِمُ الْإِمَامُ رُكْعَةً، وَيَسْجُدُ بِهِمْ، ثُمَّ تُصَلِّي كُلُّ طَائِفَةٍ بِأَنْفُسِهِمْ رُكْعَةً، فَكَانَتْ لَهُمْ مَعَ الْإِمَامِ رُكْعَةٌ رُكْعَةً، وَصَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ رُكْعَةً رُكْعَةً.

(غُورَثُ وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ قَتْلِ الرَّسُولِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ الْحَسَنِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي مُحَارِبٍ، يُقَالُ لَهُ: غُورَثُ، قَالَ لِقَوْمِهِ مِنْ غُطَفَانَ وَمُحَارِبٍ: أَلَا أَقْتُلُ لَكُمْ مُحَمَّدًا؟ قَالُوا: بَلَى، وَكَيْفَ تَقْتُلُهُ؟ قَالَ: أَفْتِكُ بِهِ. قَالَ: فَأَقْبَلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، وَسَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْظِرْ إِلَى سَيْفِكَ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ - وَكَانَ مُحَلَّى بِفِضَّةٍ، فِيمَا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ - قَالَ: فَأَخَذَهُ فَاسْتَلَّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَهْرُؤُهُ، وَيَهُمُّ فَيَكْبِتُهُ اللَّهُ ﷻ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا تَخَافِنِي؟ قَالَ: لَا، وَمَا أَخَافُ مِنْكَ؟

قَالَ: أَمَا تَخَافَنِي وَفِي يَدَي السَّيْفُ؟ قَالَ: لَا، يَمْنَعُنِي اللَّهُ مِنْكَ. ثُمَّ عَمَدَ إِلَى سَيْفِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَدَّهُ عَلَيْهِ. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ، فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة ٥/ ١١)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ: أَنَّهَا إِنَّمَا أُنْزِلَتْ فِي عَمْرِو بْنِ جَحَاشٍ، أَخِي بَنِي النَّضِيرِ وَمَا هُمْ بِهِ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَيُّ ذَلِكَ كَانَ.^{٤٥٨}

(غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ)

حَدَّثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ هِشَامٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا زِيَادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَكَّائِيُّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ الْمُطَّلِبِيِّ، قَالَ: ثُمَّ كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَّالِ سَنَةِ خَمْسٍ.^{٤٥٩}

(تَحْرِيزُ الْيَهُودِ لِقُرَيْشٍ وَمَا نَزَلَ فِيهِمْ)

فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ مَوْلَى آلِ الزُّبَيْرِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَنْ لَا أَتَاهُمْ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، وَالزُّهْرِيِّ، وَعَاصِمِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ عُلَمَائِنَا، كُلُّهُمْ قَدْ اجْتَمَعَ حَدِيثُهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ الْخَنْدَقِ، وَبَعْضُهُمْ يُحَدِّثُ مَا لَا يُحَدِّثُ بِهِ بَعْضُ، قَالُوا: إِنَّهُ كَانَ مِنْ حَدِيثِ الْخَنْدَقِ أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ، مِنْهُمْ: سَلَامٌ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيُّ، وَحِيَّيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيِّ، وَكِانَتَهُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ النَّضْرِيِّ، وَهُوَ ذُو بْنُ قَيْسٍ الْوَائِلِيُّ، وَأَبُو عَمَارٍ الْوَائِلِيُّ، فِي نَفَرٍ

٤٥٨ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢٠٤-٢٠٦.

٤٥٩ قَالَ الزرقاني: «وَاخْتَلَفَ فِي تَارِيخِهَا»، فَقَالَ مُوسَى بْنُ عَقَبَةَ فِي مَغَازِيهِ الَّتِي شَهِدَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ بِأَنَّهَا أَصَحُّ الْمَغَازِي، كَانَتْ سَنَةً أَرْبَع. قَالَ الْحَافِظُ: وَتَابَعَهُ عَلَى ذَلِكَ الْإِمَامُ مَالِكٌ.



مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَفَرَّ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَهُمْ الَّذِينَ حَزَبُوا الْأَحْزَابَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكَّةَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالُوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ، فَقَالَتْ لَهُمْ قُرَيْشٌ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، إِنَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَوَّلِ وَالْعِلْمِ بِمَا أَصْبَحْنَا نَخْتَلِفُ فِيهِ نَحْنُ وَمُحَمَّدٌ، أَفَدِينُنَا خَيْرٌ أَمْ دِينُهُ؟ قَالُوا: بَلْ دِينُكُمْ خَيْرٌ مِنْ دِينِهِ، وَأَنْتُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْهُ. فَهُمْ الَّذِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نُصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَبَتِ وَالطَّاغُوتِ ۖ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا. أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ، وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (النساء ٤ / ٥١-٥٢) ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيْ التَّبَوُّة، ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا. فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ، وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ (النساء ٤ / ٥٤-٥٥)

قَالَ: فَلَمَّا قَالُوا ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ، سَرَّهُمْ وَنَشَطُوا لِمَا دَعَوْهُمْ إِلَيْهِ، مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَاجْتَمَعُوا لِذَلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ. ثُمَّ خَرَجَ أُولَٰئِكَ النَّفَرُ مِنْ يَهُودَ، حَتَّى جَاءُوا غَطَفَانَ، مِنْ قَيْسِ عَيْلَانَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُمْ أَنَّهُمْ سَيَكُونُونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَابَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، فَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ فِيهِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ، وَقَائِدُهَا عُسَيْبَةُ بْنُ حِصْنٍ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ، فِي بَنِي فِزَارَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ الْمُرِّي، فِي بَنِي مُرَّةَ، وَمُسَعَّرُ بْنُ رُحَيْلَةَ بْنِ نُؤَيْرَةَ بْنِ طَرِيفٍ بْنِ سُحْمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ بْنِ خَلَاوَةَ بْنِ أَشْجَعٍ بْنِ رَيْثٍ بْنِ غَطَفَانَ، فَمِنْ تَابَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ مَنْ أَشْجَعَ.

فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَا أَجْمَعُوا لَهُ مِنَ الْأَمْرِ، ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَعَمِلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْغِيًّا لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْأَجْرِ، وَعَمِلَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ، فَدَابَّ فِيهِ وَدَابُّوا. وَأَبْطَأَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنْ الْمُسْلِمِينَ فِي عَمَلِهِمْ ذَلِكَ رِجَالٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَجَعَلُوا يُورُونَ^{٦١} بِالضَّعِيفِ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَتَسَلَّلُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا إِذْنٍ. وَجَعَلَ الرَّجُلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِذَا نَابَتْهُ النَّائِبَةُ، مِنَ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا بُدَّ لَهُ مِنْهَا، يَذْكُرُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيَسْتَأْذِنُهُ فِي اللُّحُوقِ بِحَاجَتِهِ، فَيَأْذَنُ لَهُ، فَإِذَا قَضَى حَاجَتَهُ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ فِيهِ مِنْ عَمَلِهِ، رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ، وَاحْتِسَابًا لَهُ.

(مَا نَزَلَ فِي الْعَامِلِينَ فِي الْخَنْدَقِ مُؤْمِنِينَ وَمُنَافِقِينَ)

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أُولَئِكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ، إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النور ٦٢/٢٤) فَتَزَلَّتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيمَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْحِسْبَةِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْخَيْرِ، وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى، يَعْنِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَسَلَّلُونَ مِنَ الْعَمَلِ، وَيَذْهَبُونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ:

﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا، قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا، فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور ٦٣/٢٤)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: اللَّوَاذُ: الْإِسْتِتَارُ بِالشَّيْءِ عِنْدَ الْهَرَبِ، قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:
وَقُرَيْشٌ تَفَرُّ مِنَّا لَوَاذًا... أَنْ يُقِيمُوا وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، قَدْ ذَكَرْتَهَا فِي أَشْعَارِ يَوْمِ أُحُدٍ.

﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ (النور ٢٤/٦٤)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مِنْ صَدَقٍ أَوْ كَذِبٍ. ﴿وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النور ٢٤/٦٤) ٤٦٢

(الْبَرَكَةُ فِي طَعَامِ جَابِرٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مِينَاءَ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: عَمِلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْخَنْدَقِ، فَكَانَتْ عِنْدِي شُوَيْهَةٌ، غَيْرُ جَدِّ سَمِينَةٍ ٤٦٣. قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَوْ صَنَعْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَأَمَرْتُ امْرَأَتِي، فَطَحَنَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شَعِيرٍ، فَصَنَعَتْ لَنَا مِنْهُ خُبْزًا، وَذَبَحَتْ تِلْكَ الشَّاةَ، فَشَوَيْنَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: فَلَمَّا أَمْسَيْنَا وَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْإِنْصِرَافَ عَنِ الْخَنْدَقِ - قَالَ: وَكُنَّا نَعْمَلُ فِيهِ نَهَارَنَا، فَإِذَا أَمْسَيْنَا رَجَعْنَا إِلَى أَهْلَانَا - قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي قَدْ صَنَعْتُ لَكَ شُوَيْهَةً كَانَتْ عِنْدَنَا، وَصَنَعْنَا مَعَهَا شَيْئًا مِنْ خُبْزِ هَذَا الشَّعِيرِ، فَأَحِبُّ أَنْ تَنْصَرِفَ مَعِيَ إِلَى مَنْزِلِي، وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ يَنْصَرِفَ مَعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ. قَالَ: فَلَمَّا أَنْ قُلْتُ

٤٦٢ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢١٤-٢١٧.

٤٦٣ غير جد سَمِينَةٍ: غير كَامِلَةٍ السَّمن.

لَهُ ذَلِكَ، قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ أَمَرَ صَارِحًا فَصَرَخَ: أَنْ انْصَرِفُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قُلْتُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ!» (البقرة ١٥٦/٢) قَالَ: فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ النَّاسُ مَعَهُ، قَالَ: فَجَلَسَ وَأَخْرَجْنَاهَا إِلَيْهِ. قَالَ: فَبَرَكَ وَسَمَّى اللَّهَ، ثُمَّ أَكَلَ، وَتَوَارَدَهَا النَّاسُ، كُلَّمَا فَرَّغَ قَوْمٌ قَامُوا وَجَاءَ نَاسٌ، حَتَّى صَدَرَ أَهْلُ الْخَنْدَقِ عَنْهَا. ٤٦٤

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ (أَبُو لُبَابَةَ وَتَوْبَتُهُ)

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُمْ بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنْ ابْعَثْ إِلَيْنَا أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، أَخَا بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَانُوا حُلَفَاءَ الْأَوْسِ، لِنَسْتَشِيرَهُ فِي أَمْرِنَا، فَأَرْسَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَامَ إِلَيْهِ الرِّجَالُ، وَجَهَشَ ٤٦٥ إِلَيْهِ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ يَبْكُونَ فِي وَجْهِهِ، فَرَقَّ لَهُمْ، وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا لُبَابَةَ! أَتَرَى أَنْ نُنْزَلَ عَلَى حُكْمِ مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ، إِنَّهُ الذَّبْحُ. قَالَ أَبُو لُبَابَةَ: فَوَلَّيْتُ قَدَمَايَ مِنْ مَكَانِهِمَا حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي قَدْ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ثُمَّ انْطَلَقَ أَبُو لُبَابَةَ عَلَى وَجْهِهِ وَلَمْ يَأْتِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ارْتَبَطَ فِي الْمَسْجِدِ إِلَى عُمُودٍ مِنْ عُمُدِهِ. وَقَالَ: لَا أَبْرَحُ مَكَانِي هَذَا حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيَّ مِمَّا صَنَعْتُ، وَعَاهَدَ اللَّهَ: أَنْ لَا أَطَا بَنِي قُرَيْظَةَ أَبَدًا، وَلَا أَرَى فِي بَلَدٍ خُنْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِيهِ أَبَدًا.

٤٦٤ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢١٨-٢١٩.

٤٦٥ جهش: بكى.

(مَا نَزَلَ فِي خِيَانَةِ أَبِي لُبَابَةَ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي لُبَابَةَ، فِيمَا قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(الأنفال ٢٧ / ٨)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبْرَهُ، وَكَانَ قَدْ اسْتَبْطَأَهُ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَوْ جَاءَنِي لَا اسْتَعْفَرْتُ لَهُ، فَأَمَّا إِذْ قَدْ فَعَلَ مَا فَعَلَ، فَمَا أَنَا بِالَّذِي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُسَيْطٍ: أَنَّ تَوْبَةَ أَبِي لُبَابَةَ نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّحَرِ، وَهُوَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ. فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ السَّحَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ. قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ أَضْحَكَكَ اللَّهُ سِنِّكَ، قَالَ: تَيْبَ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَفَلَا أَبْشُرُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، إِنْ شِئْتَ. قَالَ: فَقَامَتْ عَلَى بَابِ حُجْرَتِهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْهِنَّ الْحِجَابُ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا لُبَابَةَ، أَبْشُرْ فَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَتَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيُطْلِقُوهُ فَقَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُنِي بِيَدِهِ، فَلَمَّا مَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَارِجًا إِلَى صَلَاةِ الصُّبْحِ أَطْلَقَهُ.

(مَا نَزَلَ فِي التَّوْبَةِ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ مُرْتَبِطًا بِالْجِدْعِ سِتَّ لَيَالٍ. تَأْتِيهِ امْرَأَتُهُ فِي كُلِّ وَقْتِ صَلَاةٍ، فَتَحُلُّهُ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ يَعُودُ فَيَرْتَبِطُ بِالْجِدْعِ، فِيمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْآيَةِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي تَوْبَتِهِ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ:

﴿وآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ٩/ ١٠٢) ٤٦٦
(مَا نَزَلَ فِي الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ الْخَنْدَقِ، وَأَمْرِ بَنِي قُرَيْظَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، الْقِصَّةَ فِي سُورَةِ الْأَحْزَابِ، يَذْكُرُ فِيهَا مَا نَزَلَ مِنَ الْبَلَاءِ، وَنِعْمَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَكِفَايَتِهِ إِيَّاهُمْ حِينَ فَرَجَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، بَعْدَ مَقَالَةٍ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الأحزاب ٣٣/ ٩) وَالْجُنُودُ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَبَنُو قُرَيْظَةَ، وَكَانَتْ الْجُنُودُ الَّتِي أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَعَ الرِّيحِ الْمَلَائِكَةُ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ (الأحزاب ٣٣/ ١٠) فَالَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَالَّذِينَ جَاءُوهُمْ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ. يَقُولُ اللَّهُ ﷻ:

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا، وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (الأحزاب ٣٣/ ١١-١٢) لِقَوْلِ مُعْتَبِرِ بْنِ قُشَيْرٍ إِذْ يَقُولُ مَا قَالَ. ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (الأحزاب ٣٣/ ١٣) لِقَوْلِ أَوْسِ بْنِ قَيْظِيٍّ وَمَنْ كَانَ عَلَى رَأْيِهِ مِنْ قَوْمِهِ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾: أَيِ الْمَدِينَةِ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْأَفْطَارُ: الْجَوَانِبُ، وَوَاحِدُهَا: قُطْرٌ، وَهِيَ الْأَفْتَارُ، وَوَاحِدُهَا: قَتْرٌ. قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

كَمْ مِنْ غَنَى فَتَحَ إِلَهُ لَهُمْ بِهِ ... وَالْخَيْلُ مُقْعِيَّةٌ عَلَى الْأَفْطَارِ^{٤٦٧}
وَيُرَوَى: «عَلَى الْأَفْتَارِ». وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ أَيِ الرُّجُوعِ إِلَى الشَّرِّكَ ﴿لَا تَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ (الأحزاب

(١٤/٣٣)

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ، وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾ (الأحزاب ١٥/٣٣) فَهُمْ بَنُو حَارِثَةَ، وَهُمْ الَّذِينَ هَمُّوا أَنْ يَفْشَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ بَنِي سَلَمَةَ حِينَ هَمَّتَا بِالْفَسْلِ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ عَاهَدُوا اللَّهَ أَنْ لَا يَعُودُوا لِمِثْلِهَا أَبَدًا، فَذَكَرَ لَهُمُ الَّذِي أَعْطَوْا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ، وَإِذَا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا. قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا، أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً، وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ أَيِ أَهْلِ النِّفَاقِ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا، وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب ١٦/٣٣-١٨) أَيِ إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا^{٤٦٨} ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ أَيِ لِلضَّغَنِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أَيِ إعْظَامًا لَهُ وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ

٤٦٧ مقعية: أي ساقطة على أجنابها تروم القيام، كما تقعى الكلاب على أذنانها وأخذها.

٤٦٨ التعذير: أن يفعل الرجل الشيء بغير نيّة، وإنّما يريد أن يُقيم به العذر عند من يراه.

سَلَقُواكُمْ بِاللَّسِنَةِ حَدَادٍ ﴿١٩/٣٣﴾ أَيِ فِي الْقَوْلِ بِمَا لَا تُحِبُّونَ، لَا تَنْهَمُ لَا يَرْجُونَ
آخِرَةً، وَلَا تَحْمِلُهُمْ حِسْبُهُ^{٤٦٩}، فَهُمْ يَهَابُونَ الْمَوْتَ هَيْبَةً مَنْ لَا يَرْجُو مَا بَعْدَهُ.

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: سَلَقُواكُمْ: بِالْغَوَا فِيكُمْ بِالْكَلامِ، فَأَحْرَقُواكُمْ وَأَذَوْكُمْ. تَقُولُ الْعَرَبُ:
خَطِيبٌ سَلَّاقٌ، وَخَطِيبٌ مُسَلِّقٌ وَمَسْلَاقٌ. قَالَ أَغَشَى بَنِي قَيْسِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ:

فِيهِمُ الْمَجْدُ وَالسَّمَاةُ وَالنَّجْدَةُ ... فِيهِمُ وَالْخَاطِبُ السَّلَّاقُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ
فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الأحزاب ٢٠/٣٣)

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ
يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الأحزاب ٢١/٣٣) أَيِ لِّئَلَّا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَا عَنْ
مَكَانٍ هُوَ بِهِ. ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤْمِنِينَ وَصَدَقَهُمْ وَتَصَدَّقَهُمْ بِمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ يَخْتَبِرُهُمْ
بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَصَدَقَ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب ٢٢/٣٣) أَيِ صَبْرًا عَلَى الْبَلَاءِ
وَتَسْلِيمًا لِلْقَضَاءِ، وَتَصَدِّيقًا لِلْحَقِّ، لَمَّا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى وَعَدَهُمْ وَرَسُولُهُ ﷺ. ثُمَّ قَالَ:
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾ أَيِ فَرَعَ مِنْ
عَمَلِهِ، وَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، كَمَنْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ أُحُدٍ.

٤٦٩ والحسبة (بِالْكَسْرِ): طَلَبُ الْأَجْرِ. وَفِي سَائِرِ الْأُصُولِ: «حَسَنَةٌ».

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَضَى نَحْبُهُ: مَاتَ، وَالنَّحْبُ: النَّفْسُ، فِيمَا أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ وَجَمْعُهُ: نُحُوبٌ. قَالَ ذُو الرُّمَّةِ:

عَشِيَّةَ فَرَّ الْحَارِثِيُّونَ بَعْدَ مَا ... قَضَى نَحْبَهُ فِي مِلْتَقَى الْخَيْلِ هَوْبَرٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَهَوْبَرٌ: مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ، أَرَادَ: يَزِيدَ ابْنَ هَوْبَرٍ.
وَالنَّحْبُ (أَيْضًا): النَّذْرُ. قَالَ جَرِيرُ بْنُ الْخَطَفِيِّ:

بَطِخْفَةٍ جَالِدَنَا الْمُلُوكُ وَخَيْلُنَا ... عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرَيْنَ عَلَى نَحْبٍ
يَقُولُ: عَلَى نَذْرٍ كَانَتْ نَذَرْتُ أَنْ تَقْتُلَهُ فَمَقَاتَلْتُهُ، وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ وَبَسْطَامٌ:
بَسْطَامُ بْنُ قَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ السَّيَّانِيِّ، وَهُوَ ابْنُ ذِي الْجَدَيْنِ. حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّهُ كَانَ
فَارِسَ رَبِيعَةَ بْنِ زَرَارٍ. وَطِخْفَةٌ: مَوْضِعٌ بِطَرِيقِ الْبَصْرَةِ
وَالنَّحْبُ (أَيْضًا): الْخِطَارُ، وَهُوَ: الرَّهَانُ. قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

وَإِذْ نَحَبْتُ كُلُّبٌ عَلَى النَّاسِ آئِنَا ... عَلَى النَّحْبِ أَعْطَى لِلْجَزِيلِ وَأَفْضَلُ
وَالنَّحْبُ (أَيْضًا): الْبُكَاءُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ يُنْتَحَبُ.
وَالنَّحْبُ (أَيْضًا): الْحَاجَةُ وَالْهِمَّةُ، تَقُولُ: مَا لِي عِنْدَهُمْ نَحْبٌ. قَالَ مَالِكُ بْنُ نُوَيْرَةَ
الْيَرْبُوعِيُّ:

وَمَا لِي نَحْبٌ عِنْدَهُمْ غَيْرَ أَنِّي ... تَلَمَّسْتُ مَا تَبْغِي مِنَ الشَّدَنِ الشَّجَرِ^{٤٧٠}
وَقَالَ نَهَارُ بْنُ تَوْسَعَةَ، أَحَدُ بَنِي تَيْمِ اللَّاتِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عُكَّابَةَ بْنِ صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ
بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ.

٤٧٠ الشدن: الإبل منسوبة إلى شدن، موضع باليمن. والشجر: التي في أعينها حمرة.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هُوَ لَاءُ مَوَالِ بَنِي حَنِيفَةَ:

وَنَجَّى يُوسُفَ الثَّقَفِيَّ رَكْضَ ... دِرَاكٌ بَعْدَ مَا وَقَعَ اللَّوَاءُ^{٤٧١}

وَلَوْ أَدْرَكْنَاهُ لَقَضَيْنَ نَحْبًا ... بِهِ وَلِكُلِّ مُخْطَئَةٍ وَقَاءٌ

وَالنَّحْبُ (أَيْضًا): السِّرُّ الْخَفِيُّ الْمُرُّ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ أَيُّ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ، وَالشَّهَادَةُ عَلَى

مَا مَضَى عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب ٣٣/ ٢٣) أَيُّ مَا

شَكُّوا وَمَا تَرَدَّدُوا فِي دِينِهِمْ، وَمَا اسْتَبَدَّلُوا بِهِ غَيْرَهُ.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ، وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ، أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ

اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا. وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ أَيُّ قُرَيْشًا وَغَطَفَانِ ﴿لَمْ يَنَالُوا

خَيْرًا، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا. وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ﴾ أَيُّ بَنِي قُرَيْظَةَ ﴿مَنْ صَيَّاصِهِمْ﴾ (الأحزاب ٣٣/ ٢٤-٢٦)

وَالصَّيَّاصِي: الْحُصُونُ وَالْأَطَامُ الَّتِي كَانُوا فِيهَا. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَالَ سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي

الْحِشْحَاسِ، وَبَنُو الْحِشْحَاسِ مِنْ بَنِي أَسَدِ ابْنِ خُزَيْمَةَ:

وَأَصْبَحَتْ الشِّرَانُ صَرَغَى وَأَصْبَحَتْ ... نِسَاءٌ تَمِيمٍ يَتَدَرْنَ الصَّيَّاصِيَا

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالصَّيَّاصِي (أَيْضًا): الْقُرُونُ. قَالَ النَّابِغَةُ الْجَعْدِيَّةُ:

وَسَادَةَ رَهْطِي حَتَّى بَقِيتُ ... فَرَدًّا كَصَيْصِيَةِ الْأَعْصَبِ^{٤٧٢}

٤٧١ الركض: الجرى. ودراك: متابع.

٤٧٢ الأعصب: المكسور القرن.



يَقُولُ: أَصَابَ الْمَوْتُ سَادَةَ رَهْطِي. وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَقَالَ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِيُّ:

فَدَعَرْنَا سُحْمَ الصَّيَاصِي بِأَيْدِيهِنَّ... نَضَحُ مِنَ الْكُحَيْلِ وَقَارُ^{٤٧٣}
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالصَّيَاصِي (أَيْضًا): الشُّوكُ الَّذِي لِلنَّسَاجِينَ، فِيمَا أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ. وَأَنْشَدَنِي
لِدُرَيْدِ بْنِ الصَّمَةِ الْجُسَمِيِّ، جُسَمُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ:
نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَاخُ تَنُوشُهُ^{٤٧٤}... كَوَفِعَ الصَّيَاصِي فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

وَالصَّيَاصِيُّ (أَيْضًا): الَّتِي تَكُونُ فِي أَرْجُلِ الدَّيَكَةِ نَائِتَةً كَأَنَّهَا الْقُرُونُ الصَّغَارُ،
وَالصَّيَاصِي (أَيْضًا): الْأُصُولُ. أَخْبَرَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: جَذَّ اللَّهُ
صِصِيَّتَهُ: أَيَّ أَصْلَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: «وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا»
(الأحزاب ٢٦/٣٣) أَيُّ قَتَلَ الرَّجَالَ، وَسَبَى الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ، «وَأَوْثَرَكُمْ أَرْضَهُمْ
وَدَيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا» يَعْنِي خَيْرَ «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا»
(الأحزاب ٢٧/٣٣)^{٤٧٥}

٤٧٣ ذعرنا، من الذعر، وهو الفزع. والسحْم: السود. والصياصي: القُرُون. وَيُرِيد «بسحْم الصَّيَاصِي»
الوعول الَّتِي فِي الْجَبَالِ. ونضح: لطح. والكحيل: القطران. والقار: الزفت، أَرَادَ مَا فِي أَيْدِيهَا مِنْ
السَّوَادِ فَشَبَّهَهُ بِالْكُحَيْلِ وَالْقَارِ.

٤٧٤ تنوشه: تتناوله من قرب.

٤٧٥ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢٤٥-٢٥٠.

(عَزَوْهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنُ حَبَّانَ، كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، قَالُوا: بَلَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ بَنِي الْمُصْطَلِقِ يَجْمَعُونَ لَهُ، وَقَائِدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَّارٍ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ، زَوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهِمْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ، حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ: الْمُرَيْسِيعُ، مِنْ نَاحِيَةِ قَدِيدٍ إِلَى السَّاحِلِ، فَتَزَاحَفَ النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ، وَنَقَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَفَاءَهُمْ عَلَيْهِ. وَقَدْ أَصِيبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَنِي كَلْبٍ بِنِ عَوْفٍ بَنِ عَامِرٍ بَنِ لَيْثِ ابْنِ بَكْرٍ، يُقَالُ لَهُ: هِشَامُ بْنُ صُبَابَةَ، أَصَابَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ رَهْطِ عَبَادَةَ ابْنِ الصَّامِتِ، وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ مِنَ الْعَدُوِّ، فَقَتَلَهُ خَطَأً.

(جَهَّجَاهُ وَسِنَانٌ وَمَا كَانَ مِنْ ابْنِ أَبِي)

فَبَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ الْمَاءِ، وَرَدَّتْ وَارِدَةُ النَّاسِ، وَمَعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ، يُقَالُ لَهُ: جَهَّجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ فَرَسَهُ، فَازْدَحَمَ جَهَّجَاهُ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ، حَلِيفُ بَنِي عَوْفٍ بَنِ الْخَزَرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهَّجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سَلُولَ، وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِهِ فِيهِمْ: زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، غَلَامٌ حَدَثٌ، فَقَالَ: أَوْقَدْ فَعَلَوْهَا، قَدْ نَافَرُونَا وَكَاثَرُونَا فِي بِلَادِنَا، وَاللَّهِ مَا أَعَدَّنَا وَجَلَّابِيبَ قُرَيْشٍ^{٤٧٦} إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

٤٧٦ جلابيب قُرَيْشٍ: لقب من كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون. وأصل الجلابيب: الأزر الغلاظ،

كانوا يلتحفون بها، فلقبوهم بذلك.



سَمِنَ كَلْبَكَ يَا كَلُوكَ، أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ، أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بَايَدِكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ. فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ، فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ عَدُوِّهِ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: مَرَّ بِهِ عَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ فَلْيَقْتُلْهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ! لَا وَلَكِنْ أَذَنَ بِالرَّحِيلِ، وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْتَحِلُ فِيهَا، فَارْتَحَلَ النَّاسُ.

وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بَنَ سُلُوقَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ: مَا قُلْتُ مَا قَالَ، وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ. -وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا-، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغَلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ، وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ، حَدِّثْ عَلَيَّ ابْنَ أُبَيٍّ بَنَ سُلُوقَ، وَدَفْعًا عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَارَ، لَقِيَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، فَحَيَّاهُ بِحَيَّةِ النَّبَوَّةِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ، مَا كُنْتُ تَرَوْحُ فِي مِثْلِهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ: وَأَيُّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ، قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تُخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ. هُوَ وَاللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ارْفُقْ

بِهِ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ، وَإِنَّ قَوْمَهُ لَيَنْظُمُونَ لَهُ الْخَرَزَ لِيَتَوَجَّوْهُ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا.

(سِيرُ الرَّسُولِ بِالنَّاسِ لِيُشْغِلَهُمْ عَنِ الْفِتْنَةِ)

ثُمَّ مَشَى^{٤٧٧} رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ حَتَّى أَمْسَى، وَلَيْلَتُهُمْ حَتَّى أَصْبَحَ، وَصَدَرَ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ حَتَّى آذَتْهُمْ الشَّمْسُ، ثُمَّ نَزَلَ بِالنَّاسِ، فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ وَجَدُوا مَسَّ الْأَرْضِ فَوَقَعُوا نِيَامًا، وَإِنَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُشْغَلَ النَّاسَ عَنِ الْحَدِيثِ الَّذِي كَانَ بِالْأَمْسِ. مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي.

ثُمَّ رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَسَلَكَ الْحِجَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَاءٍ بِالْحِجَارِ فَوَيْقَ النَّقِيعِ، يُقَالُ لَهُ: بَقَعَاءُ. فَلَمَّا رَاحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَبَّتْ عَلَى النَّاسِ رِيحٌ شَدِيدَةٌ آذَتْهُمْ وَتَخَوَّفُوهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَخَافُوهَا، فَإِنَّمَا هَبَّتْ لِمَوْتِ عَظِيمٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْكُفَّارِ. فَلَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ وَجَدُوا رِفَاعَةَ بَنَ زَيْدِ بْنِ التَّائِبِ، أَحَدَ بَنِي قَيْنِقَاعَ، وَكَانَ عَظِيمًا مِنْ عُظَمَاءِ يَهُودَ، وَكَهْنًا لِلْمُنَافِقِينَ، مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

(مَا نَزَلَ فِي ابْنِ أَبِي مِنَ الْقُرْآنِ)

وَنَزَلَتْ السُّورَةُ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ فِي ابْنِ أَبِي وَمَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ أَمْرِهِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأُذُنِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا الَّذِي أَوْفَى اللَّهُ بِأُذُنِهِ. وَبَلَغَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِيهِ.^{٤٧٨}

٤٧٧ في نسخة: «متن» يعني أنه سار بهم حَتَّى أضعف إبلهم، يُقَالُ: متن بالإِبل، إذا أُنْعِبَهَا حَتَّى تَضَعِفَ.

٤٧٨ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢٨٩-٢٩٢.



(الوليد بن عُقبة وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ إِسْلَامِهِمُ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِهِ رَكِبُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ هَابَهُمْ، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْقَوْمَ قَدْ هَمُّوا بِقَتْلِهِ، وَمَنْعُوهُ مَا قَبْلَهُمْ مِنْ صَدَقَتِهِمْ، فَأَكْثَرَ الْمُسْلِمُونَ فِي ذِكْرِ غَزْوِهِمْ، حَتَّى هَمَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَنْ يَغْزُوهُمْ، فَبَيْنَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ قَدِمَ وَفَدَهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، سَمِعْنَا بِرَسُولِكَ حِينَ بَعَثْتَهُ إِلَيْنَا، فَخَرَجْنَا إِلَيْهِ لِنُكْرِمَهُ، وَنُؤَدِّيَ إِلَيْهِ مَا قَبْلَنَا مِنَ الصَّدَقَةِ، فَانْشَمَرْنَا^{٧٩} رَاجِعًا، فَبَلَّغْنَا أَنَّهُ رَعِمَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّا خَرَجْنَا إِلَيْهِ لِنُقَاتِلَهُ، وَوَاللَّهِ مَا جِئْنَا لِدَلِكِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ وَفِيهِمْ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ، فَتُصْحِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. (الحجرات ٤٩/٦-٧)

وَقَدْ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ، كَمَا حَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَاهُمْ عَنْ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ؓ، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ مَعَهُ عَائِشَةُ فِي سَفَرِهِ ذَلِكَ، قَالَ فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا.^{٨٠}

(خَبَرُ الْإِفْكِ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ «سَنَةِ سِتِّ»)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ، وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ

هَذَا الْحَدِيثِ، وَبَعْضُ الْقَوْمِ كَانَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، وَقَدْ جَمَعْتُ لَكَ الَّذِي حَدَّثَنِي الْقَوْمُ.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، عَنْ عَمْرَةَ بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنْ نَفْسِهَا، حِينَ قَالَ فِيهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا، فَكُلُّ قَدْ دَخَلَ فِي حَدِيثِهَا عَنْ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا يُحَدِّثُ بَعْضُهُمْ مَا لَمْ يُحَدِّثْ صَاحِبُهُ، وَكُلُّ كَانَ عَنْهَا ثِقَةً، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَ عَنْهَا مَا سَمِعَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، كَمَا كَانَ يَصْنَعُ، فَخَرَجَ سَهْمِي عَلَيْهِنَّ مَعَهُ، فَخَرَجَ بِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

قَالَتْ: وَكَانَ النَّسَاءُ إِذْ ذَاكَ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَ^{٤٨١} لَمْ يَهْجُهُنَّ^{٤٨٢} اللَّحْمَ فَيَتَّقِلْنَ، وَكُنْتُ إِذَا رَحَلَ لِي بَعِيرِي جَلَسْتُ فِي هَوْدَجِي، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ الَّذِينَ يَرْحَلُونَ لِي وَيَحْمِلُونَنِي، فَيَأْخُذُونَ بِأَسْفَلِ الْهُودَجِ، فَيَرْفَعُونَهُ، فَيَصْعُقُونَهُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، فَيَسُدُّونَهُ بِجِبَالِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ. قَالَتْ: فَلَمَّا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ، وَجَّهَ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَةِ نَزَلَ مِنْزِلًا، فَبَاتَ بِهِ بَعْضُ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَذِنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ، وَخَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي، وَفِي عُنُقِي عَقْدٌ لِي، فِيهِ جَزْعُ ظَفَارٍ^{٤٨٣}، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَنْسَلَّ مِنْ عُنُقِي وَلَا أَدْرِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى الرَّحْلِ ذَهَبَتْ أَلْتَمَسُهُ فِي عُنُقِي، فَلَمْ أَجِدْهُ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ فِي الرَّحِيلِ،

٤٨١ العلق بِضَم فَتَح: جمع علقة، وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء.

٤٨٢ التهييج: كالورم في الجسد.

٤٨٣ الجزع: الخرز. وظفار: مدينة باليمن قرب صنعاء، وينسب إليها الجزع الظفاري.



فَرَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَيْهِ، فَالْتَمَسْتُهُ حَتَّى وَجَدْتُهُ، وَجَاءَ الْقَوْمُ خِلَافِي،
الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونَ لِي الْبَعِيرَ، وَقَدْ فَرَعُوا مِنْ رِحْلَتِهِ، فَأَخَذُوا الْهُودَجَ، وَهُمْ يَظُنُّونَ
أَنِّي فِيهِ، كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَاحْتَمَلُوهُ، فَشَدُّوه عَلَى الْبَعِيرِ، وَلَمْ يَشْكُوا أَنِّي فِيهِ، ثُمَّ
أَخَذُوا بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَأَنْطَلَقُوا بِهِ، فَرَجَعْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ وَمَا فِيهِ مِنْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٍ،
قَدْ أَنْطَلَقَ النَّاسُ.

قَالَتْ: فَتَلَفْتُ بِجِلْبَابِي، ثُمَّ اضْطَجَعْتُ فِي مَكَانِي، وَعَرَفْتُ أَنَّ لَوْ قَدْ أُفْتِقِدْتُ
لَرَجِعَ إِلَيَّ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمُضْطَجِعَةٌ إِذْ مَرَّ بِي صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ السَّلْمِيُّ، وَقَدْ
كَانَ تَخَلَّفَ عَنِ الْعَسْكَرِ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ^{٤٨}، فَلَمْ يَتَّعِ النَّاسَ، فَرَأَى سَوَادِي، فَأَقْبَلَ
حَتَّى وَقَفَ عَلَيَّ، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ عَلَيْنَا الْحِجَابُ، فَلَمَّا رَأَانِي قَالَ: إِنَّا لِلَّهِ
وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، طَعِنَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ! وَأَنَا مُتَلَفَّةٌ فِي ثِيَابِي، قَالَ: مَا خَلَّفَكَ يَرْحِمُكَ
اللَّهُ؟ قَالَتْ: فَمَا كَلَمْتُهُ، ثُمَّ قَرَّبَ الْبَعِيرَ، فَقَالَ: ارْكَبِي، وَاسْتَأْخِرْ عَنِّي. قَالَتْ: فَرَكِبْتُ،
وَأَخَذَ بِرَأْسِ الْبَعِيرِ، فَأَنْطَلَقَ سَرِيعًا، يَطْلُبُ النَّاسَ، فَوَاللَّهِ مَا أَدْرَكْنَا النَّاسَ، وَمَا أُفْتِقِدْتُ
حَتَّى أَصْبَحْتُ، وَنَزَلَ النَّاسُ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّنُوا طَلَعَ الرَّجُلُ يَقُودُ بِي، فَقَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ مَا
قَالُوا: فَارْتِعِجِ^{٤٩} الْعَسْكَرَ، وَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ.

ثُمَّ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ اسْتَكَيْتُ شَكْوَى شَدِيدَةً، وَلَا يَبْلُغُنِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ،
وَقَدْ انْتَهَى الْحَدِيثُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِلَى أَبِي لَا يَذْكُرُونَ لِي مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا،
إِلَّا أَتَى قَدْ أَنْكَرْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْضَ لُطْفِهِ بِي، كُنْتُ إِذَا اسْتَكَيْتُ رَحِمَنِي، وَلَطَفَ
بِي، فَلَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بِي فِي شَكْوَايَ تِلْكَ، فَأَنْكَرْتُ ذَلِكَ مِنْهُ، كَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيَّ وَعِنْدِي

٤٨٤ كَانَ صَفْوَانُ عَلَى سَاقَةِ الْعَسْكَرِ يَلْقَطُ مَا يَسْقُطُ مِنْ مَتَاعِ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ بِهِ، وَلِذَلِكَ تَخَلَّفَ. (الرَّوْضُ الْأَنْفَ)

٤٨٥ ارْتِعِجَ الْعَسْكَرَ: تَحَرَّكَ وَاضْطَرَبَ. وَفِي نَسْخَةِ: «ارْتَحَ» أَيِ اضْطَرَبَ.

أُمِّي تُمَرِّضُنِي - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَهِيَ أُمُّ رُوْمَانَ، وَاسْمُهَا زَيْنَبُ بِنْتُ عَبْدِ دُهِمَانَ، أَحَدُ بَنِي فِرَاسِ ابْنِ غَنَمٍ بِنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ - قَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ، لَا يَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَتْ: حَتَّى وَجَدْتُ فِي نَفْسِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حِينَ رَأَيْتُ مَا رَأَيْتُ مِنْ جَفَائِهِ لِي: لَوْ أَذْنْتُ لِي، فَاثْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي، فَمَرَّضْتَنِي؟ قَالَ: لَا عَلَيْكَ. قَالَتْ: فَاثْتَقَلْتُ إِلَى أُمِّي، وَلَا عَلِمَ لِي بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ، حَتَّى نَقَعْتُ مِنْ وَجَعِي بَعْدَ بَضْعِ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً، وَكُنَّا قَوْمًا عَرَبًا، لَا نَتَّخِذُ فِي بُيُوتِنَا هَذِهِ الْكُفَّ الَّتِي تَتَّخِذُهَا الْأَعَاجِمُ، نَعَافُهَا وَنَكْرَهُهَا، إِنَّمَا كُنَّا نَذْهَبُ فِي فَسْحِ الْمَدِينَةِ، وَإِنَّمَا كَانَتِ النِّسَاءُ يَخْرُجْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي حَوَائِجِهِنَّ، فَخَرَجْتُ لَيْلَةً لِبَعْضِ حَاجَتِي وَمَعِيَ أُمُّ مُسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُحْمٍ بِنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَتْ أُمُّهَا بِنْتُ صَخْرٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ، خَالَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ إِنَّهَا لَتَمْشِي مَعِيَ إِذْ عَثَرْتُ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مُسْطَحٌ! وَمُسْطَحٌ لَقَبٌ وَاسْمُهُ عَوْفٌ، قَالَتْ: قُلْتُ: بِئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ مَا قُلْتُ لِرَجُلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَوْ مَا بَلَغَكَ الْخَبْرُ يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَمَا الْخَبْرُ؟ فَأَخْبَرْتَنِي بِالَّذِي كَانَ مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، قَالَتْ: قُلْتُ: أَوْ قَدْ كَانَ هَذَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا قَدَرْتُ عَلَى أَنْ أَقْضِيَ حَاجَتِي، وَرَجَعْتُ، فَوَاللَّهِ مَا زِلْتُ أَبْكِي حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّ الْبُكَاءَ سَيَصْدَعُ كَبِدِي، قَالَتْ: وَقُلْتُ لِأُمِّي: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، تَحَدَّثَ النَّاسُ بِمَا تَحَدَّثُوا بِهِ، وَلَا تَذْكُرِينَ لِي مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا! قَالَتْ: أَيُّ بُنْيَةٍ، خَفَضِي عَلَيْكَ^{٤٨٦} الشَّأْنَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ أَمْرًا حَسَنًا، عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، لَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ وَكَثُرَ النَّاسُ عَلَيْهَا.



قَالَتْ: وَقَدْ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّاسِ يَخْطُبُهُمْ وَلَا أَعْلَمُ بِذَلِكَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، مَا بَالُ رَجَالٍ يُؤْذُونَنِي فِي أَهْلِي، وَيَقُولُونَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْحَقِّ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرًا، وَيَقُولُونَ ذَلِكَ لِرَجُلٍ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِي إِلَّا وَهُوَ مَعِي.

قَالَتْ: وَكَانَ كَبِيرٌ^{٤٨٧} ذَلِكَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَنْ سُلُولٍ فِي رَجَالٍ مِنَ الْخَزَرَجِ مَعَ الَّذِي قَالَ مَسْطُحٌ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أُخْتَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ كَانَتْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ تَكُنْ مِنْ نِسَائِهِ امْرَأَةً تُنَاصِينِي^{٤٨٨} فِي الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ غَيْرَهَا، فَأَمَّا زَيْنَبُ فَعَصَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِدِينِهَا فَلَمْ تَقُلْ إِلَّا خَيْرًا وَأَمَّا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فَأَشَاعَتْ مِنْ ذَلِكَ مَا أَشَاعَتْ، تُضَادُّنِي لِأُخْتِهَا، فَشَقِيتُ بِذَلِكَ.

فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، قَالَ أُسَيْدُ بْنُ حُصَيْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ يَكُونُوا مِنَ الْأَوْسِ نَكْفَكُهُمْ، وَإِنْ يَكُونُوا مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ، فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَأَهْلٌ أَنْ تُضْرَبَ أَعْنَاقُهُمْ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ يُرَى رَجُلًا صَالِحًا، فَقَالَ: كَذَبْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا نُضْرِبُ أَعْنَاقَهُمْ، أَمَا وَاللَّهِ مَا قُلْتُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ إِلَّا أَنَّكَ قَدْ عَرَفْتَ أَنََّّهُمْ مِنَ الْخَزَرَجِ وَلَوْ كَانُوا مِنْ قَوْمِكَ مَا قُلْتُ هَذَا، فَقَالَ أُسَيْدٌ: كَذَبْتُ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، قَالَتْ: وَتَسَاوَرُ^{٤٨٩} النَّاسُ، حَتَّى كَادَ يَكُونُ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ شَرٌّ. وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَدَخَلَ عَلَيَّ.

٤٨٧ الكبر بالضم والكسر: الإثم، ومعظم الشيء.

٤٨٨ تناصيني، من المناصاة وهي المساواة.

٤٨٩ وتساور الناس: قام بعضهم إلى بعض، وفي بعض النسخ: «تساووا».

قَالَتْ فَدَعَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَاسْتَسَارَهُمَا، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَتَنِي عَلِيٌّ خَيْرًا وَقَالَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ مِنْهُمْ إِلَّا خَيْرًا، وَهَذَا الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ، وَإِنَّكَ لَقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ، وَسَلِّ الْجَارِيَةَ، فَإِنَّهَا سَتُصَدِّقُكَ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ لِيَسْأَلَهَا، قَالَتْ: فَقَامَ إِلَيْهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا، وَيَقُولُ: أَصْدَقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَتْ: فَتَقُولُ وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كُنْتُ أَعِيبُ عَلَى عَائِشَةَ شَيْئًا، إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَعْجِنُ عَجِينِي، فَأَمُرُّهَا أَنْ تَحْفَظَهُ، فَتَنَامُ عَنْهُ، فَتَأْتِي الشَّاةُ فَتَأْكُلُهُ.

(نُزُولُ الْقُرْآنِ بِبَرَاءَةِ عَائِشَةَ)

قَالَتْ: ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعِنْدِي أَبُوَايَ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَأَنَا أَبْكِي، وَهِيَ تَبْكِي مَعِي، فَجَلَسَ، فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا قَدْ بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ، فَاتَّقِي اللَّهَ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ قَارَفْتُ سُوءًا^{٤٩٠}، مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ لِي ذَلِكَ، فَقَلَصَ^{٤٩١} دَمْعِي، حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ شَيْئًا، وَانْتَظَرْتُ أَبَوِيَّ أَنْ يُجِيبَا عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَتَكَلَّمَا قَالَتْ: وَآيِمُ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحَقَرُ فِي نَفْسِي، وَأَصْغَرَ شَأْنًا مِنْ أَنْ يُنْزَلَ اللَّهُ فِيَّ قُرْآنًا يُقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَيُصَلَّى بِهِ، وَلَكِنِّي قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَوْمِهِ شَيْئًا يُكَذِّبُ بِهِ اللَّهُ عَنِّي، لِمَا يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَتِي، أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا، فَأَمَّا قُرْآنُ يَنْزِلُ فِيَّ،

٤٩٠ قارفت سوءاً: دخلت فيه.

٤٩١ قَلَصَ البئر: ذهب أكثر مائها.



فوالله لَنَفْسِي كَانَتْ أَحْقَرُ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ. قَالَتْ: فَلَمَّا لَمْ أَرِ أَبُويَّ يَتَكَلَّمَانِ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهُمَا: أَلَا تُجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: فَقَالَا: وَاللَّهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نَجِيبُهُ، قَالَتْ: ووالله مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، قَالَتْ: فَلَمَّا أَنْ اسْتَعْجَمَا عَلَيَّ، اسْتَعْبَرْتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ذَكَرْتُ أَبَدًا. وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَعْلَمُ لَئِنْ أَفْرَزْتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ، وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ، لَا أَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ، وَلَئِنْ أَنَا أَنْكَرْتُ مَا يَقُولُونَ لَا تُصَدِّقُونَنِي. قَالَتْ: ثُمَّ التَّمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكُرُهُ، فَقُلْتُ: وَلَكِنْ سَأَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: «فَصَبَّرَ جَمِيلٌ، وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ». قَالَتْ: فوالله مَا بَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ حَتَّى تَعَشَاهُ مِنَ اللَّهِ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ، فَسَجَّيَ بِتُوبِهِ وَوَضَعَتْ لَهُ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ تَحْتَ رَأْسِهِ، فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ، فوالله مَا فَرَعْتُ وَلَا بَالَيْتُ، قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ غَيْرُ ظَالِمٍ، وَأَمَّا أَبُوَيَّ، فوالذي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ، مَا سُرِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنْتُ لَتَخْرُجَنَّ أَنْفُسُهُمَا، فَرَقًا مِنْ أَنْ يَأْتِيَنِ مِنَ اللَّهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النَّاسُ، قَالَتْ: ثُمَّ سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ، وَإِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجَمَانِ^{٩٢} فِي يَوْمٍ شَاتٍ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ، وَيَقُولُ: أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ، قَالَتْ: قُلْتُ: بِحَمْدِ اللَّهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ، فَخَطَبَهُمْ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِسْطَحِ بْنِ أَثَّاثَةَ، وَحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ، وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْصَحَ بِالْفَاحِشَةِ، فَضَرَبُوا حَدَّهُمْ.

(أَبُو أَيُّوبَ وَذَكَرَهُ طَهْرَ عَائِشَةَ لِرَوْجِهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي النَّجَّارِ: أَنَّ أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنَ زَيْدٍ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتُ يَا أُمُّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ.

قَالَتْ: فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذِكْرِ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور ٢٤ / ١١)

وَذَلِكَ حَسَنُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ قَالُوا مَا قَالُوا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ: وَذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَأَصْحَابُهُ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ قَبْلَ هَذَا. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ (النور ٢٤ / ١٢) أَيْ فَقَالُوا كَمَا قَالَ أَبُو أَيُّوبَ وَصَاحِبَتُهُ، ثُمَّ قَالَ:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ، وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ، وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (النور ٢٤ / ١٥)



(هَمْ أَبِي بَكْرٍ بَعْدِمِ الْإِنْفَاقِ عَلَى مِسْطَحٍ ثُمَّ عُدُولُهُ)

فَلَمَّا نَزَلَ هَذَا فِي عَائِشَةَ، وَفِيْمَنْ قَالَ لَهَا مَا قَالَ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ، وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ وَحَاجَتِهِ: وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، وَلَا أَنْفَعُهُ بِنَفْعٍ أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، وَأَدْخَلَ عَلَيْنَا، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ:

﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلِيَعْنُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
(النور ٢٤/٢٢)

(تَفْسِيرُ ابْنِ هِشَامٍ بَعْضَ الْغَرِيبِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: يُقَالُ: كَبِرَ وَكُبِرَ فِي الرَّوَايَةِ، وَأَمَّا فِي الْقُرْآنِ فَكَبِرُهُ بِالْكَسْرِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ﴾ وَلَا يَأَلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ. قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حَجْرٍ الْكِنْدِيُّ:

أَلَا رَبَّ خَصَمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ ... نَصِيحٌ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرُ مُؤْتَلٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ، وَيُقَالُ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ﴾ وَلَا يَخْلِفُ أُولُو الْفَضْلِ، وَهُوَ قَوْلُ الْحَسَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، فِيمَا بَلَّغَنَا عَنْهُ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤُولُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ (البقرة ٢/٢٢٦) وَهُوَ مِنَ الْأَلْيَةِ، وَالْأَلْيَةُ: الْيَمِينُ. قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ:

أَلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا ... مِنِّْي أَلْيَةً بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ^{٩٣}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ، سَأَذْكُرُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ فِي مَوْضِعِهَا. فَمَعْنَى: ﴿أَنْ يُؤْتُوا﴾ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ: أَنْ لَا يُؤْتُوا، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا﴾ (النساء ١٧٦/٤) يُرِيدُ: أَنْ لَا تَضِلُّوا، ﴿وَيُمِسُّ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ (الحج ٢٢/٦٥) يُرِيدُ أَنْ لَا تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ، وَقَالَ ابْنُ مُفَرِّغِ الْحَمِيرِيِّ:

لَا دَعَرْتُ السَّوَامَ فِي وَضَحِ الصُّبْحِ ... مُغِيرًا وَلَا دُعَيْتُ يَزِيدًا^{٩٤}
يَوْمَ أُعْطِيَ مَخَافَةَ الْمَوْتِ ضَيْمًا ... وَالْمَنَايَا يَرْصُدُنِي أَنْ أَحِيدًا^{٩٥}

يُرِيدُ: أَنْ لَا أَحِيدَ، وَهَذَا الْبَيْتَانِ فِي أَبْيَاتٍ لَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ، إِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ نَفَقَتُهُ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.^{٩٦}

أَمْرُ الْحَدِيثِيَّةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ، وَذَكَرَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ وَالصُّلْحَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو

(نُزُولُ سُورَةِ الْفَتْحِ)

قَالَ الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ وَجْهِهِ ذَلِكَ قَافِلًا، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، نَزَلَتْ سُورَةُ الْفَتْحِ:

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ، وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح ٤٨/٢-١)

٤٩٤ ذعرت: أفرغت. والسوام: المال المرسل في المعى. والوضح: ألبياض.

٤٩٥ الضيم: الذل. وأحيد: أعدل.

٤٩٦ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٢٩٧-٣٠٤.



ثُمَّ كَانَتْ الْقِصَّةُ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ الْبَيْعَةِ، فَقَالَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
 عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ، فَمِيسُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح ١٠/٤٨)
 ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ الْأَعْرَابِ، ثُمَّ قَالَ: حِينَ اسْتَفْزَمَهُمْ لِلْخُرُوجِ مَعَهُ فَأَبْطَأُوا عَلَيْهِ:
 ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ (الفتح ١١/٤٨) ثُمَّ
 الْقِصَّةُ عَنْ خَبَرِهِمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ:

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ، يُرِيدُونَ أَنْ
 يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ، قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (الفتح ١٥/٤٨) ... ثُمَّ الْقِصَّةُ
 عَنْ خَبَرِهِمْ وَمَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِهَادِ الْقَوْمِ أُولِي الْبَأْسِ الشَّدِيدِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ ابْنِ
 عَبَّاسٍ، قَالَ: فَارِسُ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مَنْ لَا أَتَهُمْ، عَنْ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: أُولُو
 الْبَأْسِ الشَّدِيدِ حَنِيفَةٌ مَعَ الْكَذَّابِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ،
 فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا. وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا
 حَكِيمًا. وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ، وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ،
 وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا. وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ

بِهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ (الفتح ١٨-٢١)

ثُمَّ ذَكَرَ مُحْبِسَهُ وَكَفَّهُ إِيَّاهُ عَنِ الْقِتَالِ، بَعْدَ الظَّفَرِ مِنْهُ بِهِمْ، يَعْنِي النَّفَرَ الَّذِينَ أَصَابَ مِنْهُمْ وَكَفَّهِمْ عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (الفتح ٢٤/٤٨)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ (الفتح ٢٥/٤٨)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْمَعْكُوفُ: الْمَحْبُوسُ، قَالَ أَعَشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

وَكَانَ السُّمُوطُ عَكَفَهُ السَّلْكُ ... بَعْطَفِي جَيْدَاءَ أُمِّ عَزَالٍ^{٩٧}

وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فَنُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ (الفتح ٢٥/٤٨) وَالْمَعَرَّةُ: الْغُرْمُ، أَيُّ أَنْ تُصِيبُوا مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوا دِيَّتَهُ، فَإِمَّا إِنْهُمْ فَلَمْ يُخَشِّهِ عَلَيْهِمْ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَلَغَنِي عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْوَلِيدِ بْنِ الْوَلِيدِ ابْنِ الْمُغِيرَةِ، وَسَلَمَةَ بْنِ هِشَامٍ، وَعَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَأَبِي جَنْدَلِ بْنِ سُهَيْلٍ، وَأَشْبَاهِهِمْ.

٩٧ السموط: جمع سمط، وهو ما يعلق من القلادة على الصدر. والسلك: الحَبِطُ الَّذِي يَنْظُمُ فِيهِ. والجيداء: الطَّوِيلَةُ الْجَدِيدُ.



قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ، حَمِيَّةً، الْجَاهِلِيَّةَ﴾ يَغْنِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حِينَ حَمِيَ أَنْ يَكْتُبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَأَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ (الفتح ٢٦/٤٨) أَيُّ التَّوْحِيدِ، شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ (الفتح ٢٧/٤٨) أَيُّ لِرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّتِي رَأَى، أَنَّهُ سَيَدْخُلُ مَكَّةَ آمِنًا لَا يَخَافُ، يَقُولُ: مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ، وَمُقَصِّرِينَ مَعَهُ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مِنْ ذَلِكَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا، صَلُحَ الْحَدِيثُ.

يَقُولُ الزُّهْرِيُّ: فَمَا فُتِحَ فِي الْإِسْلَامِ فَتَحَ قَبْلَهُ كَانَ أَعْظَمَ مِنْهُ، إِنَّمَا كَانَ الْقِتَالُ حَيْثُ التَّقَى النَّاسُ، فَلَمَّا كَانَتْ الْهُدَنَةُ، وَوُضِعَتْ الْحَرْبُ، وَآمَنَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَالتَّقَوُا فَتَقَاوُضُوا فِي الْحَدِيثِ وَالْمَنَازَعَةِ، فَلَمْ يَكْلَمْ أَحَدٌ بِالْإِسْلَامِ يَعْقِلُ شَيْئًا إِلَّا دَخَلَ فِيهِ، وَلَقَدْ دَخَلَ فِي تَيْبِكَ السَّيِّئِينَ مِثْلُ مَنْ كَانَ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَالِدَلِيلِ عَلَى قَوْلِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الْحَدِيثِ فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ، فِي قَوْلِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، ثُمَّ خَرَجَ عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ بِسِتَيْنِ فِي عَشْرَةِ آلَافٍ. ٤٩٨

(أَمْرُ الْمُهَاجِرَاتِ بَعْدَ الْهُدْنَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَهَاجَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ، فَخَرَجَ أَخَوَاهَا عِمَارَةُ وَالْوَلِيدُ ابْنَا عُقْبَةَ، حَتَّى قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلَانِهِ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْهِمَا بِالْعَهْدِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ فِي الْحُدَيْيَةِ، فَلَمْ يَفْعَلْ، أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي هَنِيْدَةَ، صَاحِبِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ، فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ، لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ، وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ، وَآتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا، وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ، وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة ٦٠ / ١٠)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

- قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاحِدَةُ الْعِصَمِ: عِصْمَةٌ، وَهِيَ الْحَبْلُ وَالسَّبَبُ. قَالَ أَعَشَى بَنِي قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ نَطِيلُ السُّرَى ... وَنَأْخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عِصَمٍ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

﴿وَسَأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ، وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا، ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ (الممتحنة ٦٠ / ١٠)



قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ صَالِحَ قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النِّسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَإِلَى الْإِسْلَامِ، أَبَى اللَّهُ أَنْ يُرَدِّدَنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِذَا هُنَّ أُمْتُحَنَ بِمُحَنَةِ الْإِسْلَامِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُنَّ إِنَّمَا جُنْنَ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِنَّ إِلَيْهِمْ إِنْ احْتَبَسْنَ عَنْهُمْ، إِنْ هُمْ رَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَدَاقَ مَنْ حُسِبُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ وَرَدَّ الرِّجَالَ، وَسَأَلَ الَّذِي أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَنْ يَسْأَلَ مِنْ صَدَقَاتِ نِسَاءٍ مَنْ حُسِبُوا مِنْهُنَّ، وَأَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِمْ مِثْلَ الَّذِي يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ، إِنْ هُمْ فَعَلُوا، وَلَوْ لَا الَّذِي حَكَمَ اللَّهُ بِهِ مِنْ هَذَا الْحُكْمِ لَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النِّسَاءَ كَمَا رَدَّ الرِّجَالَ، وَلَوْ لَا الْهُدْنَةُ وَالْعَهْدُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ لَأَمْسَكَ النِّسَاءَ، وَلَمْ يَرُدُّ لَهُنَّ صَدَاقًا، وَكَذَلِكَ كَانَ يَصْنَعُ بِمَنْ جَاءَهُ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ قَبْلَ الْعَهْدِ.

(سُؤَالُ ابْنِ إِسْحَاقَ الزُّهْرِيِّ عَنْ آيَةِ الْمُهَاجِرَاتِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَسَأَلْتُ الزُّهْرِيَّ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ، وَقَوْلِ اللَّهِ ﷻ فِيهَا:

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ، فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا، وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ (الممتحنة ٦٠/ ١١)

فَقَالَ: يَقُولُ: إِنْ فَاتَ أَحَدًا مِنْكُمْ أَهْلُهُ إِلَى الْكُفَّارِ، وَلَمْ تَأْتِكُمْ امْرَأَةٌ تَأْخُذُونَ بِهَا مِثْلَ الَّذِي يَأْخُذُونَ مِنْكُمْ، فَعَوَّضُوهُمْ مِنْ فَيْءٍ إِنْ أَصَبْتُمُوهُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ... إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ (الممتحنة ٦٠/ ١٠) كَانَ مِمَّنْ طَلَّقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، طَلَّقَ

امْرَأَتُهُ قُرَيْبَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ، فَتَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، وَهُمَا عَلَى شَرِكِهِمَا بِمَكَّةَ، وَأُمُّ كُلثُومُ بِنْتُ جَرُولَ أُمِّ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْخَزَاعِيَّةِ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو جَهْمُ بْنُ حُدَيْفَةَ بْنِ غَانِمٍ، رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَهُمَا عَلَى شَرِكِهِمَا.^{٤٩٩}

(تَطَوُّعُ بِلَالٍ لِلْجَرَّاسَةِ وَعَلَبَةُ النَّوْمِ عَلَيْهِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ، فَكَانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، قَالَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ: مَنْ رَجُلٌ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الْفَجَرَ لَعَلَّنَا نَنَامُ؟ قَالَ بِلَالٌ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْفَظُهُ عَلَيْكَ. فَتَزَلَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَنَزَلَ النَّاسُ فَنَامُوا، وَقَامَ بِلَالٌ يُصَلِّي، فَصَلَّى مَا شَاءَ اللَّهُ ﷻ أَنْ يُصَلِّيَ. ثُمَّ اسْتَنَدَ إِلَى بَعِيرِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْفَجَرَ يَرْمُقُهُ، فَعَلَبَتْهُ عَيْنُهُ، فَنَامَ، فَلَمْ يُوقِظْهُمْ إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَّلَ أَصْحَابِهِ هَبَّ، فَقَالَ: مَاذَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَالُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ بِنَفْسِي الَّذِي أَخَذَ بِنَفْسِكَ، قَالَ: صَدَقْتَ، ثُمَّ اقْتَادَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعِيرَهُ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثُمَّ أَنَاخَ فَتَوَضَّأَ، وَتَوَضَّأَ النَّاسُ، ثُمَّ أَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الصَّلَاةَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، فَلَمَّا سَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «إِذَا نَسِيتُمْ الصَّلَاةَ فَصَلُّوْهَا إِذَا ذَكَرْتُمُوهَا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ:

﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ (طه ١٤/٢٠) ٥٠٠

٤٩٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٢٥-٣٢٧.

٥٠٠ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٤٠.



(عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ خَيْبَرَ، أَقَامَ بِهَا شَهْرِي رَيْبِعٍ وَجُمَادَيْنِ وَرَجَبًا وَشَعْبَانَ وَرَمَضَانَ وَشَوَّالًا، يَبْعَثُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ مِنْ غَزْوِهِ وَسَرَايَاهُ ﷺ. ثُمَّ خَرَجَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الَّذِي صَدَّهِ فِيهِ الْمُشْرِكُونَ مُعْتَمِرًا عُمْرَةَ الْقَضَاءِ، مَكَانَ عُمْرَتِهِ الَّتِي صَدَّوْهُ عَنْهَا.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُوفِيَفَ بْنَ الْأَضْبَطِ الدِّيلِيَّ

(سَبَبُ تَسْمِيَّتِهَا بِعُمْرَةِ الْقِصَاصِ)

وَيُقَالُ لَهَا عُمْرَةُ الْقِصَاصِ، لِأَنَّهُمْ صَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ذِي الْقَعْدَةِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنْ سَنَةِ سِتٍّ، فَاقْتَصَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ، فَدَخَلَ مَكَّةَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ الَّذِي صَدَّوْهُ فِيهِ، مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ.^{٥٠١}

وَبَلَّغَنَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ (البقرة

٥٠٢/٢) (١٩٤/٢)

(مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَيْهِ، فِيمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ، لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَهُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ، فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا، فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (الفتح ٢٧/٤٨) يَعْنِي خَيْبَرَ.

٥٠١ كما تسمى أيضا: عُمْرَةُ الْقَضِيَّةِ وَعُمْرَةُ الصُّلْحِ. (راجع شرح المواهب).

٥٠٢ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٧٠.

(ذَكَرُ غَزْوَةَ مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ، وَمَقْتُلَ جَعْفَرٍ وَزَيْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَأَقَامَ بِهَا بَقِيَّةَ ذِي الْحِجَّةِ، وَوَلِيَ تِلْكَ الْحِجَّةَ الْمُشْرِكُونَ، وَالْمَحْرَمَ وَصَفَرًا وَشَهْرَيَّ رَبِيعٍ، وَبَعَثَ فِي جُمَادَى الْأُولَى بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ الَّذِينَ أُصِيبُوا بِمُؤْتَةَ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَهُ إِلَى مُؤْتَةَ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَقَالَ: إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ. فَتَجَهَّزَ النَّاسُ ثُمَّ تَهَيَّئُوا لِلْخُرُوجِ، وَهُمْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ، فَلَمَّا حَضَرَ خُرُوجَهُمْ وَدَّعَ النَّاسُ أَمْرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِمْ. فَلَمَّا وَدَّعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ مَنْ وَدَّعَ مِنْ أَمْرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَكَى، فَقَالُوا: مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (مريم ١٩/٧١) فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدْرِ بَعْدَ الْوُرُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَحَبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً... وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرَسٍ تَقْدِفُ الزَّبَدَ^{٥٠٣}

أَوْ طَعْنَةً يَبْدِي حَرَّانَ مُجَهَّزَةً... بِخَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا^{٥٠٤}

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدْيِي^{٥٠٥}... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا^{٥٠٦}

٥٠٣ ذات فرس: ذات سعة. والزيد هنا: رغبة الدَّم. (عَنْ أَبِي ذَرٍّ).

٥٠٤ مجهزة: سريعة القتل. وتنفيذ الأحشاء: تخرقها. (السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٧٣-٣٧٤).

٥٠٥ الجذث والجذف: القبر.

٥٠٦ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٧٢-٣٧٤.



(ذِكْرُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنْ عُلَمَائِنَا، قَالُوا: لَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسِيرَ إِلَى مَكَّةَ، كَتَبَ حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ كِتَابًا إِلَى قُرَيْشٍ يُخْبِرُهُمْ بِالَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ فِي السَّيْرِ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَعْطَاهُ امْرَأَةً، زَعَمَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ أَنَّهَا مِنْ مَزِينَةٍ، وَزَعَمَ لِي غَيْرُهُ أَنَّهَا سَارَةٌ، مَوْلَاةٌ لِبَعْضِ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَجَعَلَ لَهَا جُعْلًا عَلَى أَنْ تُبَلِّغَهُ قُرَيْشًا، فَجَعَلَتْهُ فِي رَأْسِهَا، ثُمَّ فَتَلَتْ عَلَيْهِ قُرُونَهَا، ثُمَّ خَرَجَتْ بِهِ، وَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الْخَبْرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا صَنَعَ حَاطِبُ، فَبَعَثَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ ؓ، فَقَالَ: أَدْرِكَا امْرَأَةً قَدْ كَتَبَ مَعَهَا حَاطِبُ بْنُ أَبِي بَلْتَعَةَ بِكِتَابٍ إِلَى قُرَيْشٍ، يُحَذِّرُهُمْ مَا قَدْ أَجْمَعْنَا لَهُ فِي أَمْرِهِمْ فَخَرَجَا حَتَّى أَدْرَكَاهَا بِالْخَلِيقَةِ^{٥٠٧}، خَلِيقَةُ بَنِي أَبِي أَحْمَدَ، فَاسْتَنْزَلَاهَا، فَالْتَمَسَا فِي رَحْلِهَا، فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا، فَقَالَ لَهَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: إِنِّي أَحْلِفُ بِاللَّهِ مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَا كَذَبْنَا، وَلَتُخْرِجَنَّ لَنَا هَذَا الْكِتَابَ أَوْ لَنَكْشِفَنَّكَ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ مِنْهُ، قَالَتْ: أَعْرِضْ، فَأَعْرِضْ، فَحَلَّتْ قُرُونَ رَأْسِهَا، فَاسْتَخْرَجَتْ الْكِتَابَ مِنْهَا، فَدَفَعَتْهُ إِلَيْهِ، فَأَتَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاطِبًا، فَقَالَ: يَا حَاطِبُ، مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَمُؤْمِنٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، مَا غَيَّرْتُ وَلَا بَدَّلْتُ، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لَيْسَ لِي فِي الْقَوْمِ مِنْ أَصْلٍ وَلَا عَشِيرَةٍ، وَكَانَ لِي بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَلَدٌ وَأَهْلٌ،

٥٠٧ الخليفة: كَذَا وَقَعَ هُنَا بِضَمِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِيهَا. وَزَوَّاهُ الْحَشَنِي: «بِالْخَلِيقَةِ» فَتَحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِيهَا. وَفِي كِتَابِ ابْنِ إِسْحَاقَ: بِذِي الْخَلِيقَةِ، خَلِيقَةُ بَنِي أَحْمَدَ، بِضَمِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ فِيهَا بِالْفَاءِ، وَهُوَ اسْمُ مَوْضِعٍ. (عَنْ أَبِي ذَرٍّ).



فَصَانَعْتَهُمْ عَلَيْهِمْ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي فَلَأَضْرِبَ عَنْقَهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ قَدْ نَافَقَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا يُدْرِيكَ يَا عُمَرُ، لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ أَطْلَعَ إِلَى أَصْحَابِ بَدْرِ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَاطِبٍ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَّةِ﴾ (الممتحنة ٦٠/١) ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ، إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ (الممتحنة ٦٠/٤) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ ٥٠٨.

(طَوَافُ الرَّسُولِ بِالْبَيْتِ وَكَلِمَتُهُ فِيهِ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي ثَوْرٍ، عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمَحْجَنٍ ٥٠٩ فِي يَدِهِ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفَتَحَتْ لَهُ، فَدَخَلَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ أُسْتُكِفَ لَهُ النَّاسُ ٥١٠ فِي الْمَسْجِدِ.

٥٠٨ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٣٩٨-٣٩٩.

٥٠٩ المحجن: عود معوج الطرف، يمسكه الرَّاكِب للبعير في يده.

٥١٠ استكف له النَّاس: استجمع، من الكافة، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ «استكف» هُنَا بِمَعْنَى نَظَرُوا إِلَيْهِ وَحَدَقُوا أَبْصَارَهُمْ فِيهِ كَالَّذِي يَنْظُرُ فِي الشَّمْسِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: اسْتَكْفَتِ الشَّيْءُ، إِذَا وَضَعْتَ كَفَكَ عَلَى حَاجِبِكَ وَنَظَرْتَ إِلَيْهِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْتَكْفَ هُنَا بِمَعْنَى اسْتَدَارَ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ: «إِذَا اسْتَكْفَ قَلِيلًا تَرَّ بِهِ أَنْهَدَمَا». (عَنْ أَبِي ذَرٍّ). وَالَّذِي فِي اللَّسَانِ: «اسْتَكْفُوهُ: صَارُوا حَوَالِيهِ، وَاسْتَكْفَ بِهِ النَّاسُ: إِذَا أَحْدَقُوا بِهِ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدُهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ»^{٥١١} أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سَدَانَةَ الْبَيْتِ^{٥١٢} وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ، أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطِإِ شَبِهُ الْعَمْدِ بِالسَّوْطِ وَالْعَصَا، فَفِيهِ الدِّيةُ مُغْلَظَةٌ، مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بَطُونِهَا أَوْلَادُهَا. يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَتَعَظَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى، وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات ١٣/٤٩)... الْآيَةُ كُلُّهَا. ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرُونَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخِ كَرِيمٍ، وَابْنُ أَخِ كَرِيمٍ، قَالَ: «أَذْهَبُوا فَانْتُمُ الطَّلَقَاءُ» ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟ فُدْعِي لَهُ، فَقَالَ: هَاكَ مِفْتَاحُكَ يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمَ بَرٍّ وَوَفَاءٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَلِيِّ: إِنَّمَا أُعْطِيَكُمْ مَا تَرَزُّوْنَ لَا مَا تَرَزُّوْنَ^{٥١٣}.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْبَيْتَ يَوْمَ الْفَتْحِ، فَرَأَى فِيهِ صُورَ الْمَلَائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ، فَرَأَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُصَوَّرًا فِي يَدِهِ الْأَزْلَامَ يَسْتَقْسِمُ

٥١١ المأثرة: الخصلة المحمودة التي تتوارث ويتحدث بها الناس.

٥١٢ سدانة البيت: خدمته.

٥١٣ ما ترزمون لا ما ترزمون: قَالَ أَبُو عَلِيٍّ: «إِنَّمَا مَعْنَاهُ: إِنَّمَا أُعْطِيَتْكُمْ مَا تَمْنُونَ كَالسَّقَايَةِ الَّتِي تُحْتَاجُ إِلَى مُؤْنٍ، وَأَمَّا السَّدَانَةُ فَيُرْزَأُ لَهَا النَّاسُ بِالْبُعْثِ إِلَيْهَا، يَعْنِي كَسْوَةَ الْبَيْتِ».

بِهَا، فَقَالَ: قَاتَلَهُمُ اللَّهُ، جَعَلُوا شَيْخَنَا يَسْتَفْسِمُ بِالْأَزْلَامِ^{٥١٤}، مَا شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ وَالْأَزْلَامِ! ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران ٦٧/٣) ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الصُّورِ كُلِّهَا فَطُمِسَتْ.^{٥١٥}

(عَزْوُهُ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ بَعْدَ الْفَتْحِ)

(أَمْرُ ذَاتِ أَنْوَاطٍ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي ابْنُ شَهَابٍ الزُّهْرِيُّ، عَنْ سِنَانِ بْنِ أَبِي سِنَانٍ الدُّؤَلِيِّ، عَنْ أَبِي وَقْدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ مَالِكٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيَّةِ، قَالَ: فَسَرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنَ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضِرَاءُ، يُقَالُ لَهَا ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلَّ سَنَةٍ، فَيُعْلِقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا. قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سِدْرَةَ خَضِرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَتَنَادَيْنَا مِنْ جَنَابِ الطَّرِيقِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى:

﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ، قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ (الأعراف ١٣٨/٧). إِنَّهَا السُّنَنُ، لَتَرْكَبَنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ^{٥١٦}.

٥١٤ الأزلام: واحدها زلم، بضم الزاء وفتحها، وهي السهام. ويستقسم بها: يضرب بها.

٥١٥ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٤١٢-٤١٣.

٥١٦ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٤٤٢.



(مَا نَزَلَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ:

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ (التوبة ٢٥/٩) ... إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٢٦/٩) ٥١٧

أَمْرُ أَمْوَالِ هَوَازِنَ وَسَبَايَاهَا، وَعَطَايَا الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا وَإِنْعَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا (شِعْرُ ابْنِ مَرْدَاسٍ يَسْتَقِيلُ مَا أَخَذَ وَإِرضَاءَ الرَّسُولِ لَهُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَأَعْطَى عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ أَبَاعَرَ فَسَخِطَهَا، فَعَاتَبَ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مَرْدَاسٍ يُعَاتِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ:

كَانَتْ نَهَايَا تَلَا فَيْتُهَا ... بِكَرِّي عَلَى الْمُهْرِ فِي الْأَجْرِ ٥١٨

وَإِيقَاطِي الْقَوْمِ أَنْ يَرْقُدُوا ... إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ أَهْجَعْ ٥١٩

فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ ... بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرِجِ ٥٢٠

وَقَدْ كُنْتُ فِي الْحَرْبِ ذَا تُدْرٍ ... فَلَمْ أُعْطَ شَيْئًا وَلَمْ أُمْنَعْ ٥٢١

إِلَّا أَفَائِلَ أُعْطِيَتْهَا ... عَدِيدَ قَوَائِمِهَا الْأَرْبَعِ ٥٢٢

٥١٧ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٤٥٩.

٥١٨ نهبا: جمع نهب، وهو ما ينهب ويغنم، يُريد الماشية والإبل. والأجرع: المكان السهل.

٥١٩ هجع: نام.

٥٢٠ العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.

٥٢١ ذَا تُدْرٍ: ذَا دَفْعٍ عَنْ قَوْمِي

٥٢٢ الأفائل: الصغار من الإبل، الواحد أفيل.

وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ شَيْخِي فِي الْمَجْمَعِ^{٥٢٣}
وَمَا كُنْتُ دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَصَعَّ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعُ
قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَتَشَدِّبْنِي يُونُسُ النَّحْوِيُّ:

فَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ
قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اذْهَبُوا بِهِ، فَاقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ، فَأَعْطَوْهُ حَتَّى رَضِيَ، فَكَانَ ذَلِكَ قَطْعَ لِسَانِهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: أَنَّ عَبَّاسَ بْنِ مَرْدَاسٍ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَنْتَ الْقَائِلُ:

«فَأَصْبَحَ نَهْبِي وَنَهْبُ الْعَبِيدِ ... بَيْنَ الْأَقْرَعِ وَعُيَيْنَةَ» ؟
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمَا وَاحِدٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشُّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس ٣٦ / ٦٩)^{٥٢٤}

غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ
(تَخَلَّفَ الْجَدُّ وَمَا نَزَلَ فِيهِ)

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ فِي جِهَارِهِ ذَلِكَ لِلْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلَمَةَ: يَا جَدُّ، هَلْ لَكَ الْعَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ تَأْذُنَ لِي وَلَا تَفْتَنِي؟ فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفَ قَوْمِي أَنَّهُ مَا مِنْ رَجُلٍ بِأَشَدَّ عُجْبًا بِالنِّسَاءِ مِنِّي، وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتَ

^{٥٢٣} شَيْخِي: يَعْنِي أَبَاهُ مَرْدَاسًا. وَيُرْوَى: «شَيْخِي» بِتَشْدِيدِ الْيَاءِ، يُرِيدُ أَبَاهُ وَجَدَهُ. وَرَوَى: «يَفُوقَانِ مَرْدَاسَ» وَاسْتَشْهَدُوا بِهِ عَلَى تَرْكِ صَرْفِ مَا يَنْصَرِفُ لَصُرُورَةِ الشُّعْرِ.

^{٥٢٤} السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٤٩٣-٤٩٤.



نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: قَدْ أَذْنُتُ لَكَ. فَنِي
الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ:

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِنِّي وَلَا تَفْتِنِّي، أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٤٩/٩) أَيُّ إِنْ كَانَ إِنَّمَا خَشِيَ الْفِتْنَةَ مِنْ نِسَاءِ بَنِي الْأَصْفَرِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ
بِهِ، فَمَا سَقَطَ فِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ أَكْبَرُ، بِتَخْلُفِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالرَّغْبَةِ بِنَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ،
يَقُولُ تَعَالَى: وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ وَّرَائِهِ.

(مَا نَزَلَ فِي الْقَوْمِ الْمُتَّبِطِينَ)

وَقَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُتَّبِطِينَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لَا تَنْفَرُوا فِي الْحَرِّ، زَهَادَةٌ فِي الْجِهَادِ،
وَشَكًّا فِي الْحَقِّ، وَإِرْجَافًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِيهِمْ:
﴿وَقَالُوا لَا تَنْفَرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ، فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (التوبة ٩/٨١-٨٢) ٥٢٥

(شَأْنُ الْبَكَاءِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اتُّوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ الْبَكَاءُونَ،
وَهُمْ سَبْعَةٌ نَفَرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: سَالِمُ بْنُ عُمَيْرٍ،
وَعُلبَةُ بْنُ زَيْدٍ، أَخُو بَنِي حَارِثَةَ، وَأَبُو لَيْلَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَعْبٍ، أَخُو بَنِي مَازِنِ بْنِ
النَّجَّارِ، وَعَمْرُو بْنُ حُمَامِ بْنِ الْجُمُوحِ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُغَفَّلِ الْمُرَزِيُّ
-وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ: بَلْ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو الْمُرَزِيِّ- وَهَرَمِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، أَخُو

بَنِي وَاقِفٍ، وَعَرْبَاؤُ بَنٍ سَارِيَةِ الْفَزَارِيِّ. فَاسْتَحْمَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا أَهْلَ حَاجَةٍ، فَقَالَ: لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ، فَتَوَلَّوْا وَأَعْيَيْنُهُمْ تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ.^{٥٢٦}

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَعَنِي أَنَّ ابْنَ يَامِينَ بْنِ عُمَيْرٍ بْنِ كَعْبِ النَّضْرِيِّ لَفِي أَبَا لَيْلَى عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ مُعْقِلٍ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيَكُمَا؟ قَالَا: جِئْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيَحْمِلَنَا، فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُنَا عَلَيْهِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نَتَقَوَّى بِهِ عَلَى الْخُرُوجِ مَعَهُ، فَأَعْطَاهُمَا نَاضِحًا^{٥٢٧} لَهُ، فَارْتَحَلَاهُ، وَزَوَّدَهُمَا شَيْئًا مِنْ تَمَرٍ، فَخَرَجَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.^{٥٢٨}

(تَخْذِيلُ الْمُنَافِقِينَ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَا نَزَلَ فِيهِمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ كَانَ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، مِنْهُمْ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَمِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَشْجَعٍ، حَلِيفٌ لِبَنِي سَلَمَةَ، يُقَالُ لَهُ: مُخَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ - قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ مَخْشِيٌّ - يُشِيرُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُنْطَلِقٌ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْتَحِسِبُونَ جَلَادَ بَنِي الْأَصْفَرِ كَقِتَالِ الْعَرَبِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا! وَاللَّهِ لَكَأَنَّ بِكُمْ غَدًا مُقَرَّرِينَ فِي الْحِبَالِ، إِرْجَافًا وَتَرْهِيًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مُخَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي أَقَاضِي عَلَى أَنْ يُضْرَبَ كُلُّ رَجُلٍ مِائَةَ جَلْدَةٍ، وَإِنَّا نَنْفَلِتُ أَنْ يَنْزَلَ فِيْنَا قُرْآنٌ لِمَقَالَتِكُمْ هَذِهِ.

٥٢٦ انظر: التوبة ٩/٩٢.

٥٢٧ الناضح: الجمل الذي يستقى عليه الماء.

٥٢٨ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٥١٨.



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فِيمَا بَلَغَنِي - لِعِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ أَذْرِكُ الْقَوْمَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ احْتَرَقُوا^{٥٢٩}، فَسَلُّهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَى، قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا. فَأَنْطَلَقَ إِلَيْهِمْ عِمَارٌ، فَقَالَ ذَلِكَ لَهُمْ: فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَ وَدِيعَةُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ واقِفٌ عَلَى نَاقَتِهِ، فَجَعَلَ يَقُولُ وَهُوَ آخِذٌ بِحَقَبِهَا^{٥٣٠}: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ (التوبة ٦٥/٩)

وَقَالَ مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَعَدَ بِي اسْمِي وَاسْمُ أَبِي، وَكَأَنَّ الَّذِي عُفِيَ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ (التوبة ٦٦/٩) مُحَشَّنُ بْنُ حُمَيْرٍ، فَتَسَمَّى عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَقْتُلَهُ شَهِيدًا لَا يَعْلَمُ بِمَكَانِهِ، فَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةِ، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ أَثَرٌ.^{٥٣١}

(أَمْرُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ عِنْدَ الْقُقُولِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى نَزَلَ بِذِي أَوَانَ^{٥٣٢} بَلَدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَكَانَ أَصْحَابُ مَسْجِدِ الضَّرَارِ قَدْ كَانُوا أَتَوْهُ وَهُوَ يَتَجَهَّزُ إِلَى تَبُوكَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ بَنَيْنَا مَسْجِدًا لِلَّذِي الْعِلَّةُ وَالْحَاجَةُ وَاللَّيْلَةُ الْمَطِيرَةُ وَاللَّيْلَةُ الشَّائِيَّةُ، وَإِنَّا نَحِبُّ أَنْ تَأْتِيَنَا، فَتُصَلِّيَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ: إِنِّي عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ، وَحَالِ شُغْلٍ، أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ، وَلَوْ قَدْ قَدِمْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَأَتَيْنَاكُمْ، فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ.

٥٢٩ واحترقوا: هلكوا، وذلك للذي كانوا يُخَوِّضُونَ فِيهِ. وفي نسخة «اخرقوا»

٥٣٠ الحقب (بوزن سَبَب): جبل يشد على بطن البعير، سوى الحزام الذي يشد فيه الرجل.

٥٣١ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٥٢٥.

٥٣٢ قَالَ أَبُو ذَرٍّ: «كَذَا وَقَعَ فِي الْأَصْلِ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ، وَالْخَشْنِيَّ يَرْوِيهِ بِضَمِّ الْهَمْزَةِ حَيْثُ وَقَعَ». وفي مُعْجَم مَا اسْتَعْجَمَ لِلْبُكْرِيِّ: أَنْ نَزَلَ (بِذِي أَوَانَ): مَوْضِعٌ مَسْنُوبٌ إِلَى الْبَيْتِ الْمُتَقَدِّمَةِ الذِّكْرِ، وَأَنَّ الرِّاءَ سَقَطَتْ مِنْهُ (١: ٢٠٦ طبعة القاهرة).

فَلَمَّا نَزَلَ بِذِي أَوَانَ، أَتَاهُ خَبَرُ الْمَسْجِدِ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَالِكَ بْنَ الدُّخْشُمِ، أَخَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَمَعْنِ بْنِ عَدِيٍّ، أَوْ أَخَاهُ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ، فَقَالَ: انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ، فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ. فَخَرَجَا سَرِيعَيْنِ حَتَّى أَتَيَا بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، وَهُمْ رَهْطُ مَالِكَ بْنِ الدُّخْشُمِ، فَقَالَ مَالِكُ لِمَعْنٍ: أَنْظِرْنِي حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْكَ بَتَارَ مِنْ أَهْلِي. فَدَخَلَ إِلَى أَهْلِهِ، فَأَخَذَ سَعْفًا مِنَ النَّخْلِ، فَأَشْعَلَ فِيهِ نَارًا، ثُمَّ خَرَجَا يَشْتَدَانِ حَتَّى دَخَلَاهُ وَفِيهِ أَهْلُهُ، فَحَرَّقَاهُ وَهَدَمَاهُ، وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَنَزَلَ فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا نَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ١٠٧/٩) ... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. ٥٣٣

(أَمْرُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا وَأَمْرُ الْمُعَذِّرِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ)

وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ رَهْطٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَتَخَلَّفَ أَوْلِيكَ الرَّهْطِ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا نِفَاقٍ: كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: لَا تُكَلِّمَنَّ أَحَدًا مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَأَتَاهُ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ فَجَعَلُوا يَحْلِفُونَ لَهُ وَيَعْتَذِرُونَ، فَصَفَحَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَعْذِرْهُمْ اللَّهُ وَلَا رَسُولُهُ. وَاعْتَرَلَ الْمُسْلِمُونَ كَلَامَ أَوْلِيكَ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ ...

(تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ)

قَالَ: وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى الْفَجْرَ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ نَحْوُ صَاحِبَيِّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ قَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ

أَسْلَمَ، حَتَّى أَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي، نَزَعْتُ ثَوْبِي، فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِشَارَةً، وَاللَّهُ مَا أَمْلِكُ يَوْمَئِذٍ غَيْرُهُمَا، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَتِيَمُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَتَلَقَّانِي النَّاسُ يُبَشِّرُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ:

لِيَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، فحَيَّانِي وَهَنَّانِي، وَوَالله مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ. قَالَ: فَكَانَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِي، وَوَجْهُهُ يَبْرُقُ مِنَ السُّرُورِ: أَبَشِّرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ، قَالَ: قُلْتُ:

أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَبَشَرَ كَانَ وَجْهُهُ قِطْعَةً قَمَرٍ. قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ.

قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ ﷻ أَنْ أَنْخَلَعَ مِنْ مَالِي، صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

أُمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي مُمْسِكٌ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْرٍ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَجَّانِي بِالْصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي إِلَى اللَّهِ أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا حَيِّتُ، وَاللَّهُ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ أَبْلَاهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ أَفْضَلَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ، وَاللَّهُ مَا تَعَمَّدْتُ مِنْ كَذِبَةٍ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيَ.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة ١١٧/٩-١١٩)

قَالَ كَعْبُ: فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ نِعْمَةً قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ كَانَتْ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ، أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ فِي الَّذِينَ كَذَبُوهُ حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، قَالَ:

﴿سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ، إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَحْلِفُونَ لَكُمْ لَتَرْضُوا عَنْهُمْ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة ٩٥/٩-٩٦)

قَالَ: وَكُنَّا خُلَفَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَعَذَرَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرَنَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ مَا قَضَى، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ (التوبة ١١٨/٩) وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِنْ تَخْلِيفِنَا لِتَخْلُفِنَا عَنِ الْغَزْوَةِ وَلَكِنْ لِتَخْلِيفِهِ إِيَّانَا وَإِرجَائِهِ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ، وَاعْتَدَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ. ٥٣٤



(حَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ اخْتِصَاصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ
اللَّهِ عَلَيْهِ بِتَأْدِيَةِ أَوَّلِ بَرَاءَةٍ عَنْهُ، وَذِكْرُ بَرَاءَةٍ وَالْقَصَصُ فِي تَفْسِيرِهَا)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَقِيَّةَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَشَوَّالًا وَذَا الْقَعْدَةِ، ثُمَّ
بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ أَمِيرًا عَلَى الْحَجِّ مِنْ سَنَةِ تِسْعٍ، لِيُقِيمَ لِلْمُسْلِمِينَ حَجَّهُمْ، وَالنَّاسَ مِنْ أَهْلِ
الشِّرْكِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنْ حَجِّهِمْ. فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَنَزَلَتْ بَرَاءَةٌ فِي نَقْضِ مَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَهْدِ، الَّذِي كَانُوا
عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ: أَنْ لَا يُصَدَّ عَنْ الْبَيْتِ أَحَدٌ جَاءَهُ، وَلَا يَخَافُ أَحَدٌ فِي الشَّهْرِ
الْحَرَامِ. وَكَانَ ذَلِكَ عَهْدًا عَامًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ، وَكَانَتْ بَيْنَ ذَلِكَ عُهُودٌ
بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ خَصَائِصَ، إِلَى آجَالٍ مُسَمَّاةٍ، فَنَزَلَتْ فِيهِ
وَفِيمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ عَنْهُ فِي تَبُوكَ، وَفِي قَوْلٍ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ، فَكَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى
فِيهَا سَرَائِرَ أَقْوَامٍ كَانُوا يَسْتَخْفُونَ بِغَيْرِ مَا يُظْهِرُونَ، مِنْهُمْ مَنْ سَمَى لَنَا، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ
يُسَمَّ لَنَا، فَقَالَ ﷺ:

﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة ١/٩) أَيُّ لِأَهْلِ
العَهْدِ الْعَامِّ مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ.

﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ
مُخْزِي الْكَافِرِينَ. وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أَيُّ بَعْدَ هَذِهِ الْحِجَّةِ ﴿فَإِنْ تَبُتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ، وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ، وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ أَيُّ الْعَهْدِ الْخَاصِّ إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمَّى ﴿٢٠﴾ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا، وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ، فَإِذَا أَنْسَلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ ﴿٢١﴾ يَعْنِي الْأَرْبَعَةَ الَّتِي ضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا ﴿٢٢﴾ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ، وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ، فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ أَيُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَمَرْتُكَ بِقَتْلِهِمْ ﴿٢٤﴾ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ، ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ (التوبة ١٩-٢٦)

ثُمَّ قَالَ: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ كَانُوا هُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى الْعَهْدِ الْعَامِّ أَنْ لَا نَحْفِيَكُمْ وَلَا يُخَيَّفُوهُمْ فِي الْحُرْمَةِ، وَلَا فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴿عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وَهِيَ قَبَائِلُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، إِلَى الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ، فَلَمْ يَكُنْ نَقْضُهَا إِلَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ، وَهِيَ الدَّيْلُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ بْنِ وَائِلٍ، الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. فَأَمَرَ بِإِتْمَامِ الْعَهْدِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ نَقْضُ مِنْ بَنِي بَكْرٍ إِلَى مُدَّتِهِ ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة ١٩/٧)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ لَا عَهْدَ لَهُمْ إِلَى مُدَّةٍ مِنْ أَهْلِ

الشَّرْكِ الْعَامِّ ﴿لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (التوبة ١٩/٨)



(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْإِلُّ: الْحِلْفُ. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ، أَحَدُ بَنِي أُسَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ:
لَوْلَا بُنُو مَالِكٍ وَالْإِلُّ مَرْقَبَةٌ... وَمَالِكٌ فِيهِمْ الْآلَاءُ وَالشَّرَفُ
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ. وَجَمَعَهُ: آلَالٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:
فَلَا إِلَّ مِنْ الْآلَالِ بَيْنِي... وَبَيْنَكُمْ فَلَا تَأَلَّنْ جُهْدًا
وَالذِّمَّةُ: الْعَهْدُ. قَالَ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ الْهَمْدَانِيُّ، وَهُوَ أَبُو مَسْرُوقِ بْنِ الْأَجْدَعِ الْفَقِيهُ:
وَكَانَ عَلَيْنَا ذِمَّةٌ أَنْ تُجَاوِزُوا... مِنْ الْأَرْضِ مَعْرُوفًا إِلَيْنَا وَمُنْكَرًا
وَهَذَا الْبَيْتُ فِي ثَلَاثَةِ آيَاتٍ لَهُ، وَجَمَعَهَا: ذِمَمٌ.

﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة ٨/٩)

﴿اشْتَرَوْا آيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا، فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ، إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَرْقُبُونَ
فِي مَوْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ (التوبة ٩/٩-١٠) أَيُّ قَدْ اعْتَدَوْا عَلَيْكُمْ.
﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ، وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة ١١/٩)

(اخْتِصَاصُ الرَّسُولِ عَلِيًّا بِتَأْدِيَةِ بَرَاءَةِ عَنْهُ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حَكِيمُ بْنُ حَكِيمٍ بْنُ عَبَّادِ بْنِ حُنَيْفٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ
مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِ، أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ بَرَاءَةٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ
كَانَ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ لِيُتِمَّ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ بَعَثْتَ بِهَا إِلَى
أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: لَا يُؤَدِّي عَنِّي إِلَّا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ دَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ

رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: أُخْرِجْ بِهِذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ صَدْرِ بَرَاءَةٍ، وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ إِذَا اجْتَمَعُوا بِمَنَى، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، فَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَلَى نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِضْبَاءِ، حَتَّى أَدْرَكَ أَبَا بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ، فَلَمَّا رَأَاهُ أَبُو بَكْرٍ بِالطَّرِيقِ قَالَ: أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ؟ فَقَالَ: بَلْ مَأْمُورٌ، ثُمَّ مَضَى. فَأَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ الْحَجَّ، وَالْعَرَبُ إِذْ ذَاكَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ عَلَى مَنَازِلِهِمْ مِنَ الْحَجِّ، الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ، قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالَّذِي أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ كَافِرٌ، وَلَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، وَمَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ، وَأَجَلَ النَّاسِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ يَوْمِ أَذَّنَ فِيهِمْ، لِيَرْجِعَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى مَأْمَنِهِمْ أَوْ بِلَادِهِمْ، ثُمَّ لَا عَهْدَ لِمُشْرِكٍ وَلَا ذِمَّةَ إِلَّا أَحَدٌ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَهْدٌ إِلَى مُدَّةٍ، فَهُوَ لَهُ إِلَى مُدَّتِهِ. فَلَمْ يَحُجَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَمْ يَطُفْ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. ثُمَّ قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَكَانَ هَذَا مِنْ بَرَاءَةٍ فِيمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشُّرْكِ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ الْعَامِّ، وَأَهْلِ الْمُدَّةِ إِلَى الْأَجَلِ الْمُسَمَّى.

(مَا نَزَلَ فِي الْأَمْرِ بِجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ بِجِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكِ، مِمَّنْ نَقَصَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ الْخَاصِّ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ الْعَامِّ، بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ الَّتِي ضَرَبَ لَهُمْ أَجَلًا إِلَّا أَنْ يَغْدُوَ فِيهَا عَادٍ مِنْهُمْ، فَيُقْتَلَ بَعْدَائِهِ، فَقَالَ:



﴿أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَوُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ، أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ. قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنْصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ﴾ أَيُّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ، وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً، وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٣-١٦)

(تفسير بعض الكلمات الغريبة)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَلِيجَةً: دَخِيلٌ، وَجَمْعُهَا: وَلَايِجٌ، وَهُوَ مَنْ وَلَجَ بِلِجٍ: أَيُّ دَخَلَ يَدْخُلُ، وَفِي كِتَابِ اللَّهِ ﷻ: ﴿حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ (الأعراف ٤٠/٧) أَيُّ يَدْخُلُ، يَقُولُ: لَمْ يَتَّخِذُوا دَخِيلًا مِنْ دُونِهِ يَسْرُونَ إِلَيْهِ غَيْرَ مَا يُظْهِرُونَ، نَحَوَ مَا يَصْنَعُ الْمُنَافِقُونَ، يُظْهِرُونَ الْإِيمَانَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ (البقرة ١٤/٢)

قَالَ الشَّاعِرُ:

وَاعْلَمَ بِأَنَّكَ قَدْ جُعِلْتَ وَلِيجَةً ... سَاقُوا إِلَيْكَ الْحَتْفَ غَيْرَ مَشُوبٍ^{٥٣٥}

(مَا نَزَلَ فِي الرَّدِّ عَلَى قُرَيْشٍ بِادِّعَائِهِمْ عِمَارَةَ الْبَيْتِ):

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ قُرَيْشٍ: إِنَّا أَهْلُ الْحَرَمِ، وَسَقَاةُ الْحَاجِّ، وَعُمَارِ هَذَا الْبَيْتِ، فَلَا أَحَدَ أَفْضَلَ مِنَّا، فَقَالَ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾

٥٣٥ غير مشوب: غير مخلوط.

أَيَّ إِنَّ عِمَارَتَكُمْ لَيْسَتْ عَلَى ذَلِكَ، وَإِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَيَّ مَنْ عَمَرَهَا بِحَقِّهَا مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أَيَّ فَأُولَئِكَ عَمَارُهَا ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ (التوبة ١٨/٩) وَعَسَى مِنَ اللَّهِ: حَقٌّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (التوبة ١٩/٩)

(مَا نَزَلَ فِي الْأَمْرِ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ)

ثُمَّ الْقِصَّةُ عَنْ عَدُوِّهِمْ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى ذِكْرِ حُنَيْنٍ، وَمَا كَانَ فِيهِ، وَتَوَلَّيَهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ نَصْرِهِ بَعْدَ تَخَاذُلِهِمْ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا، وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: لَتَنْقَطِعَنَّ عَنَّا الْأَسْوَاقُ، فَلَتَهْلِكَنَّ التِّجَارَةُ، وَلَيَذْهَبَنَّ مَا كُنَّا نُصِيبُ فِيهَا مِنَ الْمَرَافِقِ، فَقَالَ اللَّهُ ﷻ:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أَيَّ مِنْ وَجْهِ غَيْرِ ذَلِكَ ﴿إِنْ شَاءَ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ، قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة ٢٨-٢٩) أَيَّ فِي هَذَا عَوَضٌ مِمَّا تَخَوَّفْتُمْ مِنْ قَطْعِ الْأَسْوَاقِ، فَعَوَّضَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَطَعَ عَنْهُمْ بِأَمْرِ الشَّرْكِ، مَا أَعْطَاهُمْ مِنْ أَعْنَاقِ أَهْلِ الْكِتَابِ، مِنَ الْجِزْيَةِ.



(مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِينَ)

ثُمَّ ذَكَرَ أَهْلَ الْكِتَابِينَ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الشَّرِّ وَالْفِرْيَةِ عَلَيْهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيُصْذَوْنَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة ٣٤ / ٩)

(مَا نَزَلَ فِي النَّسِيِّ)

ثُمَّ ذَكَرَ النَّسِيَّ، وَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ أَحَدَتْ فِيهِ. وَالنَّسِيُّ مَا كَانَ يُحِلُّ مِمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الشُّهُورِ، وَيُحَرِّمُ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ مِنْهَا، فَقَالَ:

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ (التوبة ٣٦ / ٩)

أَيَّ لَا تَجْعَلُوا حَرَامَهَا حَلَالًا، وَلَا حَلَالَهَا حَرَامًا: أَيَّ كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الشَّرْكِ،

﴿إِنَّمَا النَّسِيَّ﴾ الَّذِي كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿زِيَادَةً فِي الْكُفْرِ، يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ، زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (التوبة ٣٧ / ٩)

(مَا نَزَلَ فِي تَبُوكَ)

ثُمَّ ذَكَرَ تَبُوكَ وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ تَثَاوُلِ الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا، وَمَا أَعْظَمُوا مِنْ غَزْوِ الرُّومِ، حِينَ دَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جِهَادِهِمْ، وَنَفَاقَ مَنْ نَافَقَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، حِينَ دُعُوا إِلَى مَا دُعُوا إِلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ، ثُمَّ مَا نَعَى عَلَيْهِمْ^{٣٦} مِنْ إِحْدَاثِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ إِلَى الْأَرْضِ﴾ (التوبة ٣٨/٩) ثُمَّ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ (التوبة ٣٩/٩) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ (التوبة ٤٠/٩)

(مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ النَّفَاقِ)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ، يَذْكُرُ أَهْلَ النَّفَاقِ:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ، وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ، وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ، يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (التوبة ٤٢/٩) أَيِ إِنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ، لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ (التوبة ٤٣/٩) ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا، وَلَا أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ، يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ (التوبة ٤٧/٩)

(تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: أَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ: سَارُوا بَيْنَ أَضْعَافِكُمْ، فَالْإِيضَاعُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ أَسْرَعَ مِنَ الْمَشْيِ، قَالَ الْأَجْدَعُ بْنُ مَالِكٍ الهمداني:

يَصْطَادُ الْوَاحِدَ الْمَدْلَ بِشَاوِهِ ... بِشَرِيحٍ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيضَاعِ^{٥٣٧}

وَهَذَا الْبَيِّنَةُ فِي قَصِيدَةٍ لَهُ.

٥٣٧ الْوَاحِدُ، يَفْتَحُ الْحَاءَ وَكَسَرَهَا: الْمُفْرَدُ، يُرِيدُ: فَرَسًا. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَالْجَدِيدُ رَوَايَةٌ مِنْ رَوَى الْوَاحِدَ الْمَدْلَ الْمُنْصَبَ، وَيَعْنِي بِهِ الثَّورَ الْوَحْشِيَّ، وَيُضْمَرُ فِي قَوْلِهِ «يَصْطَادُ» ضَمِيرًا يَرْجِعُ إِلَى فَرَسٍ مُتَقَدِّمِ الذِّكْرِ. وَشَاوُهُ: سَبْقُهُ. وَالشَّرِيحُ: التَّنَوُّعُ. يُقَالُ هُمَا شَرِيحَانِ: أَيِ تَوَعَّانِ مُحْتَلِفَانِ. وَالشَّدُّ: هُنَا الْجَرَى.



(عَوْدٌ إِلَى مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ النَّفَاقِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ الَّذِينَ اسْتَأْذَنُوهُ مِنْ ذَوِي الشَّرَفِ، فِيمَا بَلَغَنِي، مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَنٍ سُلُولٍ، وَالْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانُوا أَشْرَافًا فِي قَوْمِهِمْ، فَثَبَّطَهُمُ اللَّهُ لِعِلْمِهِ بِهِمْ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ، فَيُفْسِدُوا عَلَيْهِ جُنْدَهُ، وَكَانَ فِي جُنْدِهِ قَوْمٌ أَهْلُ مَحَبَّةٍ لَهُمْ، وَطَاعَةٍ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، لِشَرَفِهِمْ فِيهِمْ. فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيُّ مَنْ قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْذِنُوكَ، ﴿وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ (التوبة ٤٧/٩ - ٤٨) أَيُّ لِيَخْذُلُوا عَنْكَ أَصْحَابَكَ وَيُرْثُوا عَلَيْكَ أَمْرَكَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ. ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ (التوبة ٤٩/٩) وَكَانَ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ، فِيمَا سُمِّيَ لَنَا، الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ، حِينَ دَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جِهَادِ الرُّومِ. ثُمَّ كَانَتْ الْقِصَّةُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿لَوْ يَحِدُونُ مَلَجًا أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ. وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا، وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة ٥٧/٩ - ٥٨) أَيُّ إِنَّمَا نَبَتْهُمْ وَرِضَاهُمْ وَسَخَطُهُمْ لِدُنْيَاهُمْ.

(مَا نَزَلَ فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الصَّدَقَاتِ)

ثُمَّ بَيَّنَّ الصَّدَقَاتِ لِمَنْ هِيَ، وَسَمَّى أَهْلَهَا، فَقَالَ:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا، وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، وَفِي الرِّقَابِ، وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

(التوبة ٦٠/٩)



(مَا نَزَلَ فِيمَنْ آذَا الرَّسُولَ ﷺ)

ثُمَّ ذَكَرَ غَشَّهْمُ وَأَذَاهُمْ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ:

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ، يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ
لِلْمُؤْمِنِينَ، وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
(التوبة ٦١/٩) وَكَانَ الَّذِي يَقُولُ تِلْكَ الْمَقَالَةَ، فِيمَا بَلَغَنِي، نَبْتُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو بَنِي
عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثَهُ
شَيْئًا صَدَقَهُ. يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أَيَّ يَسْمَعُ الْخَيْرَ وَيُصَدِّقُ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا
مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ٦٢/٩)

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَيْتَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ، قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ
كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ (التوبة ٦٥/٩) ... إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ
طَائِفَةً﴾ (التوبة ٦٦/٩) وَكَانَ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَدِيعَةَ بْنُ ثَابِتٍ، أَخُو بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ
زَيْدٍ، مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَانَ الَّذِي عَفِيَ عَنْهُ، فِيمَا بَلَغَنِي: مُحْشَنُ بْنُ حَمِيرٍ
الْأَشْجَعِيُّ، حَلِيفَ بَنِي سَلَمَةَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَنْكَرَ مِنْهُمْ بَعْضَ مَا سَمِعَ.

ثُمَّ الْقِصَّةَ مِنْ صِفَتِهِمْ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ
الْمَصِيرُ. يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا، وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا
لَمْ يَنَالُوا، وَمَا نَفَعُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَنْ وَلِيٌّ وَلَا
نَصِيرٌ﴾ (التوبة ٧٣-٧٤) وَكَانَ الَّذِي قَالَ تِلْكَ الْمَقَالَةَ الْجَلَّاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ صَامِتٍ،



فَرَفَعَهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ كَانَ فِي حِجْرِهِ، يُقَالُ لَهُ عُمَيْرُ بْنُ سَعْدٍ، فَأَنكَرَهَا وَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قَالَهَا، فَلَمَّا نَزَلَ فِيهِمُ الْقُرْآنُ تَابَ وَنَزَعَ، وَحَسُنَتْ حَالُهُ وَتَوَبَّتْهُ، فِيمَا بَلَغَنِي.
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لئنِ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾
(التوبة ٧٥ / ٩) وَكَانَ الَّذِي عَاهَدَ اللَّهَ مِنْهُمْ ثُعْلَبَةُ بْنُ حَاطِبٍ، وَمُعْتَبٌ بْنُ قُشَيْرٍ، وَهُمَا مِنْ بَنِي عَمْرِ بْنِ عَوْفٍ.

ثُمَّ قَالَ:

﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ، وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ، سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (التوبة ٧٩ / ٩)
وَكَانَ الْمُطَّوِّعُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَعَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَخَا بَنِي الْعَجْلَانِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَغِبَ فِي الصَّدَقَةِ، وَحَضَّ عَلَيْهَا، فَقَامَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، فَتَصَدَّقَ بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ، وَقَامَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ، فَتَصَدَّقَ بِمِائَةِ وَسَقٍ مِنْ تَمْرٍ، فَلَمَزُوهُمَا وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رِيَاءٌ، وَكَانَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِجَهْدِهِ أَبُو عَقِيلٍ أَخُو بَنِي أُنَيْفٍ، أَتَى بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، فَأَفْرَغَهَا فِي الصَّدَقَةِ، فَتَضَاحَكُوا بِهِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ.

ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، حِينَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجِهَادِ، وَأَمَرَ بِالسَّيْرِ إِلَى تَبُوكَ، عَلَى شِدَّةِ الْحَرِّ وَجَدْبِ الْبِلَادِ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ. فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ (التوبة ٨١ - ٨٢) ... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ﴾

(مَا نَزَلَ بِسَبَبِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ابْنِ أَبِي)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلْتُ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ؟ الْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَالْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ أُعِدُّ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَخْرَعَنِي، إِنِّي قَدْ خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾
(التوبة ٨٠/٩) فَلَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غَفَرَ لَهُ، لَزِدْتُ. قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ، حَتَّى فَرَّغَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَلِجُرْأَتِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَاتَانِ الْآيَتَانِ:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ، إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (التوبة ٨٤/٩) فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى.



(مَا نَزَلَ فِي الْمُسْتَأْذِنِينَ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾
(التوبة ٨٦/٩) وَكَانَ ابْنُ أَبِي مِنْ أَوْلَيْكَ، فَنَعَى اللَّهُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَذَكَرَهُ مِنْهُ،
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا.
ذَلِكَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ. وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ، وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ (التوبة ٨٨-٩٠)... إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. وَكَانَ الْمُعَذَّرُونَ، فِيمَا بَلَغَنِي نَفَرًا مِنْ
بَنِي غِفَارٍ، مِنْهُمْ خُفَافُ بْنُ أَيَّمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ، تَمَّ كَانَتْ الْقِصَّةُ لِأَهْلِ الْعُدْرِ، حَتَّى انْتَهَى
إِلَى قَوْلِهِ:

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ، قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَيْهُمْ
تَفِيضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ (التوبة ٩٢/٩) وَهُمْ الْبَكَاءُ وَنَ.
ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنَاءُ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ،
وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (التوبة ٩٣/٩)

وَالْخَوَالِفُ: النِّسَاءُ. ثُمَّ ذَكَرَ حَلْفَهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ وَاعْتِدَارَهُمْ، فَقَالَ: ﴿فَاعْرِضْهُمْ
عَنْهُمْ﴾ (التوبة ٩٥/٩) إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة ٩٦/٩)

(مَا نَزَلَ فِيمَنْ نَافَقَ مِنَ الْأَعْرَابِ)

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَعْرَابَ وَمَنْ نَافَقَ مِنْهُمْ وَتَرَبُّصُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِالْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ:
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ﴾ أَيُّ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ نَفَقَةٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿مَغْرَمًا
وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (التوبة ٩٨/٩)
ثُمَّ ذَكَرَ الْأَعْرَابَ أَهْلَ الْإِخْلَاصِ وَالْإِيمَانِ مِنْهُمْ، فَقَالَ:
﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ
وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ، أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ (التوبة ٩٩/٩)

(مَا نَزَلَ فِي السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)

ثُمَّ ذَكَرَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَفَضَّلَهُمْ، وَمَا وَعَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ
حُسْنِ ثَوَابِهِ إِيَّاهُمْ، تَمَّ أَلْحَقَ بِهِمُ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَقَالَ:
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (التوبة ١٠٠/٩)

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى
النَّفَاقِ﴾ أَيُّ لَجُّوا فِيهِ، وَأَبَوْا غَيْرُهُ ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ﴾ (التوبة ١٠١/٩) وَالْعَذَابُ الَّذِي
أَوْعَدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَرَّتَيْنِ، فِيمَا بَلَغَنِي عَنْهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، وَمَا يَدْخُلُ
عَلَيْهِمْ مِنْ غَيْظِ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ حَسْبَةٍ، ثُمَّ عَذَّبُهُمْ فِي الْقُبُورِ إِذَا صَارُوا إِلَيْهَا، ثُمَّ الْعَذَابُ
الْعَظِيمُ الَّذِي يُرَدُّونَ إِلَيْهِ، عَذَابُ النَّارِ وَالْخُلْدُ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:

﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ

عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التوبة ١٠٢/٩)



ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ (التوبة ١٠٣/٩) إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَخْرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة ١٠٦/٩) وَهُمْ الثَّلَاثَةُ الَّذِينَ خُلِفُوا، وَأَرْجَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمْرُهُمْ حَتَّى آتَتْ مِنْ اللَّهِ تَوْبَتُهُمْ. ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ (التوبة ١٠٧/٩) ... إلخ الْقِصَّةِ ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة ١١١/٩) ثُمَّ كَانَ قِصَّةُ الْخَبَرِ عَنْ تَبُوكَ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَكَانَتْ بَرَاءَةٌ تُسَمَّى فِي زَمَانِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ الْمُبْعِثَةِ، لَمَّا كَشَفَتْ مِنْ سَرَائِرِ النَّاسِ. وَكَانَتْ تَبُوكَ آخِرَ غَزْوَةٍ غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ٥٣٨

(ذِكْرُ سَنَةِ تِسْعٍ وَتَسْمِيَّتُهَا سَنَةَ الْوُفُودِ وَنُزُولِ سُورَةِ الْفَتْحِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا افْتَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَفَرَعَ مِنْ تَبُوكَ، وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ وَبَايَعَتْ، ضَرَبَتْ إِلَيْهِ وَفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ: أَنَّ ذَلِكَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، وَأَنَّهَا كَانَتْ تُسَمَّى سَنَةَ الْوُفُودِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَرْبِصُ بِالْإِسْلَامِ أَمْرَ هَذَا الْحَيِّ مِنْ قُرَيْشٍ وَأَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا إِمَامَ النَّاسِ وَهَادِيَهُمْ، وَأَهْلَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَصَرِيحَ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَقَادَةَ الْعَرَبِ لَا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ هِيَ الَّتِي نَصَبَتْ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخِلَافَهُ، فَلَمَّا افْتُبِحَتْ مَكَّةُ، وَدَانَتْ لَهُ قُرَيْشٌ، وَدَوَّخَهَا الْإِسْلَامُ، وَعَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُمْ بِحَرْبِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَدَاوَتِهِ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللَّهِ، كَمَا قَالَ ﷺ، أَفَوَاجًا، يَضْرِبُونَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ:

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ (النصر ١١٠/٣) أَي فَاحْمَدُ اللَّهُ عَلَى مَا أَظْهَرَ مِنْ دِينِكَ، وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا. ٥٣٩

(قِصَّةُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ فِي الْوِفَادَةِ عَنْ بَنِي عَامِرٍ)

وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَنَى عَامِرٍ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ بَنِي جَزْءِ بْنِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلَمَى بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْفَرٍ، وَكَانَ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشِيَاطِينَهُمْ.

(تَذْبِيرُ عَامِرٍ لِلْغَدْرِ بِالرَّسُولِ ﷺ)

فَقَدِمَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَدُوُّ اللَّهِ، عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يُرِيدُ الْغَدْرَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: يَا عَامِرُ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا فَأَسْلِمْ. قَالَ:

وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَلَيْتُ أَنْ لَا أَنْتَهِيَ حَتَّى تَتَّبِعَ الْعَرَبُ عَقِبِي، أَفَأَنَا أَتَّبِعُ عَقِبَ هَذَا الْفَتَى مِنْ قُرَيْشٍ! ثُمَّ قَالَ لِأَرْبَدَ: إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ، فَإِنِّي سَأَسْغُلُ عَنْكَ وَجْهَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَعْلُهُ^{٥٤٠} بِالسَّيْفِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: يَا مُحَمَّدُ، خَالِنِي^{٥٤١}، قَالَ: لَا وَاللَّهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي. وَجَعَلَ

٥٣٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٥٥٩-٥٦٠.

٥٤٠ اعله بالسيف: اقتله به.

٥٤١ خالني (بتخفيف اللام): تفرد لي خالياً حتى أحدث معك. و(بتشديد اللام): اتخذني خليلاً وصاحباً،

من المخالة، وهي الصداقة.

يُكَلِّمُهُ وَيَنْتَظِرُ مِنْ أَرْبَدَ مَا كَانَ أَمْرُهُ بِهِ، فَجَعَلَ أَرْبَدُ لَا يُحِيرُ شَيْئًا، قَالَ: فَلَمَّا رَأَى عَامِرُ مَا يَصْنَعُ أَرْبَدُ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ خَالِنِي قَالَ: لَا، حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. فَلَمَّا أَبَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: أَمَّا وَاللَّهِ لَا مَلَأْنَهَا عَلَيْكَ خِيَلًا وَرِجَالًا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنِ الطُّفَيْلِ. فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ عَامِرُ لَا زَيْدَ: وَيَلِكُ يَا أَرْبَدُ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمْرُتُكَ بِهِ؟ وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ رَجُلٌ هُوَ أَخَوْفَ عِنْدِي عَلَى نَفْسِي مِنْكَ. وَإِنَّمَا اللَّهُ لَا أَخَافُكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَبَدًا. قَالَ: لَا أَبَا لَكَ! لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ، وَاللَّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ أَمْرِهِ إِلَّا دَخَلْتُ بَيْنِي وَبَيْنَ الرَّجُلِ، حَتَّى مَا أَرَى غَيْرَكَ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ؟

وَخَرَجُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، بَعَثَ اللَّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ، فَفَتَلَهُ اللَّهُ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا بَنِي عَامِرِ، أَعْدَةُ كَعْدَةِ الْبَكْرِ^{٥٤٢} فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي سَلُولَ! قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَيُقَالُ أَعْدَةُ كَعْدَةِ الْإِبِلِ، وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةٍ.

(مَوْتُ أَرْبَدَ بِصَاعِقَةٍ وَمَا نَزَلَ فِيهِ وَفِي عَامِرِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ خَرَجَ أَصْحَابُهُ حِينَ وَارَوْهُ، حِينَ قَدِمُوا أَرْضَ بَنِي عَامِرِ سَاتِينَ، فَلَمَّا قَدِمُوا أَتَاهُمْ قَوْمُهُمْ فَقَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَرْبَدُ؟ قَالَ: لَا شَيْءَ وَاللَّهِ، لَقَدْ دَعَانَا إِلَى عِبَادَةِ شَيْءٍ لَوَدِدْتُ أَنَّهُ عِنْدِي الْآنَ، فَأَرْمِيهِ بِالنَّبْلِ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَخَرَجَ بَعْدَ مَقَالَتِهِ يَوْمٍ أَوْ

٥٤٢ الغدة: ذاء يُصِيبُ الْبَعِيرَ فَيَمُوتُ مِنْهُ. وَهُوَ شَبِيهِ بِالذَّبْحَةِ الَّتِي تُصِيبُ الْإِنْسَانَ. الْبَكْر: الْفَتَى مِنَ الْإِبِلِ. وَإِنَّمَا تَأْسَفُ عَامِرُ أَنْ لَمْ يَمِتْ مَقْتُولًا، كَمَا يَتَأْسَفُ الشَّجْعَانُ، وَتَأْسَفُ أَيْضًا عَلَى مَوْتِهِ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ سَلُولَ، لِأَنَّ بَنِي سَلُولَ قَبِيلٌ مَوْصُوفٌ عَنْدهُمْ بِاللُّؤْمِ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِلُّؤْمِ أَصُولُهُمْ، لِأَنَّ مَكَانَهُمْ مِنْ قَوْمِهِمْ مَشْهُورٌ، وَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْءُ غَلَبَ عَلَيْهِمْ كَمَا غَلَبَ عَلَى مُحَارِبٍ وَبَاهِلَةٍ.



يُؤْمِنُ مَعَهُ جَمَلٌ لَهُ يُتَّبَعُهُ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى جَمَلِهِ صَاعِقَةً، فَأَحْرَقَتْهُمَا. وَكَانَ أَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ أَخَا لَيْبِدِ بْنِ رَبِيعَةَ لِأُمِّهِ.

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَذَكَرَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي عَامِرٍ وَأَرْبَدَ:

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ (الرعد ٨/١٣) ... إِلَى قَوْلِهِ ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (الرعد ١١/١٣)

قَالَ: الْمُعَقَّبَاتُ: هِيَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ يَحْفَظُونَ مُحَمَّدًا. ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وَمَا قَتَلَهُ اللَّهُ بِهِ، فَقَالَ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿شَدِيدُ الْمُحَالِ﴾ (الرعد ١٣/١٣). ٥٤٣

(إِسْلَامُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ عَلَى يَدَيْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ لَمَّا سَارَ إِلَيْهِمْ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ أَوْ جُمَادَى الْأُولَى، سَنَةَ عَشْرِ، إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بَنَجْرَانَ^{٥٤٤} وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ ثَلَاثًا، فَإِنْ اسْتَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا فَقَاتِلِهِمْ. فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانُ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهِ، وَيَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْلِمُوا تُسَلِّمُوا. فَأَسْلَمَ النَّاسُ، وَدَخَلُوا فِيَمَا دُعُوا إِلَيْهِ، فَأَقَامَ فِيهِمْ خَالِدٌ يُعَلِّمُهُمُ الْإِسْلَامَ وَكِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَبِذَلِكَ كَانَ أَمْرُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنْ هُمْ أَسْلَمُوا وَلَمْ يُقَاتِلُوا...

٥٤٣ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٥٦٧-٥٦٩.

٥٤٤ نَجْرَان: بَلَدٌ بَيْنَ الْيَمَنِ وَهَجَرَ.

(بَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ عَمْرَو بْنَ حَزْمٍ بِعَهْدِهِ إِلَيْهِمْ)

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ وَلَّى وَفَدَهُمْ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ، لِيُقَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَهُمُ السُّنَّةَ وَمَعَالِمَ الْإِسْلَامِ، وَيَأْخُذَ مِنْهُمْ صَدَقَاتِهِمْ وَكَتَبَ لَهُ كِتَابًا عَهْدَ إِلَيْهِ فِيهِ عَهْدُهُ، وَأَمَرَهُ فِيهِ بِأَمْرِهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: هَذَا بَيَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة ١/٥)، عَهْدٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ لِعَمْرُو بْنِ حَزْمٍ، حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ، أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ، «فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ»، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَأَنْ يُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْخَيْرِ، وَيَأْمُرَهُمْ بِهِ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، وَيُقَقِّهَهُمْ فِيهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ، فَلَا يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِنْسَانٌ إِلَّا وَهُوَ طَاهِرٌ، وَيُخْبِرَ النَّاسَ بِالَّذِي لَهُمْ، وَالَّذِي عَلَيْهِمْ، وَيَلِينَ لِلنَّاسِ فِي الْحَقِّ، وَيَشْتَدَّ عَلَيْهِمْ فِي الظُّلْمِ، فَإِنَّ اللَّهَ كَرِهَ الظُّلْمَ، وَنَهَى عَنْهُ، فَقَالَ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (هود ١٨/١١)، وَيُبَشِّرَ النَّاسَ بِالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا، وَيُنْذِرَ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلِهَا، وَيَسْتَأْلِفَ النَّاسَ حَتَّى يُقَقِّهُوا فِي الدِّينِ، وَيُعَلِّمَ النَّاسَ مَعَالِمَ الْحَجِّ وَسُنَّتَهُ وَفَرِيضَتَهُ، وَمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَالْحَجَّ الْأَكْبَرُ: الْحَجَّ الْأَكْبَرُ، وَالْحَجَّ الْأَصْغَرُ: هُوَ الْعُمْرَةُ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يُصَلِّيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ صَغِيرٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ ثَوْبًا يُشْنِي طَرَفِيهِ عَلَى عَاتِقِيهِ، وَيَنْهَى النَّاسَ أَنْ يَخْتَبِيَ أَحَدٌ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ يُفْضِي بِمَرْجِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْهَى أَنْ يُعْقَصَ أَحَدٌ شَعْرَ رَأْسِهِ فِي قَفَاهُ، وَيَنْهَى إِذَا كَانَ بَيْنَ النَّاسِ هَيْجٌ عَنْ الدُّعَاءِ إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَلْيَكُنْ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَمَنْ لَمْ يَدْعُ إِلَى اللَّهِ، وَدَعَا إِلَى الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ فَلْيُقْطَعُوا بِالسَّيْفِ، حَتَّى تَكُونَ دَعْوَاهُمْ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَيَأْمُرُ النَّاسَ بِإِسْبَاغِ الْوُضْوءِ وَجُوهَهُمْ

وَأَيَّدِيَهُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَأَرْجُلَهُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَيَمْسَحُونَ بِرُءُوسِهِمْ كَمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ، وَأَمَرَ بِالصَّلَاةِ لَوَقْتِهَا، وَإِتْمَامِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالْخُشُوعِ، وَيُعَلِّسُ بِالصُّبْحِ، وَيَهْجُرُ بِالْهَاجِرَةِ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ وَالشَّمْسُ فِي الْأَرْضِ مُدْبِرَةٌ، وَالْمَغْرِبُ حِينَ يَقْبَلُ اللَّيْلُ، لَا يُؤَخَّرُ حَتَّى تَبْدُو النُّجُومُ فِي السَّمَاءِ، وَالْعِشَاءُ أَوَّلُ اللَّيْلِ، وَأَمَرَ بِالسَّعْيِ إِلَى الْجُمُعَةِ إِذَا نُودِيَ لَهَا، وَالْغُسْلِ عِنْدَ الرَّوَّاحِ إِلَيْهَا، وَأَمَرَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْمَغَانِمِ حُمْسَ اللَّهِ، وَمَا كُتِبَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ مِنَ الْعَقَارِ عَشْرَ مَا سَقَتْ الْعَيْنُ وَسَقَتْ السَّمَاءُ، وَعَلَى مَا سَقَى الْغَرْبُ نِصْفَ الْعَشْرِ، وَفِي كُلِّ عَشْرٍ مِنَ الْإِبِلِ شَاتَانِ، وَفِي كُلِّ عَشْرِينَ أَرْبَعُ شِيَاهٍ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْبَقَرِ بَقْرَةٌ، وَفِي كُلِّ ثَلَاثِينَ مِنَ الْبَقَرِ تَبِيعٌ، جَذَعٌ أَوْ جَذَعَةٌ، وَفِي كُلِّ أَرْبَعِينَ مِنَ الْغَنَمِ سَائِمَةٌ وَحَدَاهَا، شَاةٌ، فَإِنَّهَا فَرِيضَةُ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَةِ، فَمَنْ زَادَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَنَّهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ إِسْلَامًا خَالِصًا مِنْ نَفْسِهِ، وَدَانَ بِدِينِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لَهُ مِثْلُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مِثْلُ مَا عَلَيْهِمْ، وَمَنْ كَانَ عَلَى نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ عَنْهَا، وَعَلَى كُلِّ حَالِمٍ: ذَكَرٌ أَوْ أَنْثَى، حُرٌّ أَوْ عَبْدٌ، دِينَارٌ وَافٍ أَوْ عَوْضُهُ ثِيَابًا.

فَمَنْ أَدَّى ذَلِكَ، فَإِنَّ لَهُ ذِمَّةَ اللَّهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ، وَمَنْ مَنَعَ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَالسَّلَامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. ٥٤٥

حَجَّةُ الْوَدَاعِ

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَجَّهِ، فَأَرَى النَّاسَ مَنَاسِكُهُمْ، وَأَعْلَمَهُمْ سُنَنَ حَجَّهِمْ، وَخَطَبَ النَّاسَ خُطْبَتَهُ الَّتِي بَيَّنَّ فِيهَا مَا بَيَّنَّ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَغْتُ، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنَّ كُلَّ رِبَاٍّ مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ. فَضَى اللَّهُ أَنَّهُ لَا رِبَاٍّ، وَإِنَّ رِبَاَّ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، وَأَنَّ كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضْعَ دَمِ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ مُسْتَرَضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ، فَقَتَلَتْهُ هَذِيلٌ فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ. أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَسَسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطِيعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تَحْفَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ، أَيُّهَا النَّاسُ:

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطُّوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (التوبة ٣٧/٩)

وَيُحَرِّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ،

وَرَجَبٌ مُضَرٌّ^{٥٤٦} الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَسَعْبَانَ. أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوهُنَّ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ^{٥٤٧}، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ^{٥٤٨} لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، وَإِنَّكُمْ إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي، فَإِنِّي قَدْ بَلَغْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيْنًا، كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ. أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوا، تَعْلَمَنَّ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ، فَلَا يَحِلُّ لِأَمْرٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ، فَلَا تَظْلِمَنَّ أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ؟ فَذَكِّرْ لِي أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ.^{٥٤٩}

٥٤٦ وَرَجَبٌ مُضَرٌّ: إِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ لِأَنَّ رِبْعَةَ كَانَتْ تَحْرَمُ رَمَضَانَ، وَتَسْمِيهِ رَجَبًا، فَبَيْنَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنَّهُ رَجَبٌ مُضَرٌّ لَا رَجَبٌ رِبْعِيَّةٌ، وَأَنَّهُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَسَعْبَانَ.

٥٤٧ غير مبرح: غير شديد.

٥٤٨ عوان: جمع عاتية، وهي الأسيرة.

٥٤٩ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٦٠٣-٦٠٤.



(عَزَوْهُ ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ بَطْنَ إِصْمَ، وَقَتْلُ عَامِرِ ابْنِ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيِّ وَعَزَوْهُ ابْنُ أَبِي حَدَرْدٍ وَأَصْحَابِهِ بَطْنَ إِصْمَ، وَكَانَتْ قَبْلَ الْفَتْحِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُصَيْطٍ، عَنِ الْقَعْقَاعِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي حَدَرْدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي حَدَرْدٍ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى إِصْمَ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رَبِيعٍ، وَمُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إِذَا كُنَّا بِبَطْنِ إِصْمَ، مَرَّ بَنَا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ، عَلَى قَعُودٍ^{٥٥٠} لَهُ، وَمَعَهُ مُتَيْعٌ لَهُ، وَوُطْبٌ^{٥٥١} مِنْ لَبَنٍ.

قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ بَنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلَّمُ بْنُ جَثَامَةَ، فَقَتَلَهُ لِشَيْءٍ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَأَخَذَ بَعِيرَهُ، وَأَخَذَ مُتَيْعَهُ. قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. (النساء ٩٤/٤)

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعِلَاءِ: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا» لِهَذَا الْحَدِيثِ^{٥٥٢}.

٥٥٠ القَعُود: البَعِير يقتعده الرَّاعِي فِي كُلِّ حَاجَةٍ.

٥٥١ الوُطْب: وَعَاءُ اللَّبَنِ.

٥٥٢ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٦٢٦-٦٢٧.

ذَكَرُ أَزْوَاجِهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ

(زَوَاجُهُ بِزَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ ﷺ)

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشِ بْنِ رَبَّابِ الْأَسَدِيَّةِ. زَوْجَهُ إِيَّاهَا أَخُوهَا أَبُو أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ، وَأَصْدَقَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفِيهَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا...﴾ (الأحزاب ٣٣/ ٣٧) ٥٥٣

(زَوَاجُهُ بِمَيْمُونَةَ ﷺ)

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمُونَةَ بِنْتَ الْحَارِثِ بْنِ حَزْنِ بْنِ بَحِيرِ بْنِ هُزَمٍ بْنِ رُوَيْبَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، زَوْجَهُ إِيَّاهَا الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَصْدَقَهَا الْعَبَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ أَبِي رُحْمٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى بْنِ أَبِي قَيْسٍ بْنِ عَبْدِ وَدٍّ بْنِ نَصْرِ ابْنِ مَالِكِ بْنِ حِجْلٍ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَيُقَالُ: إِنَّهَا الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ أَنَّ خِطْبَةَ النَّبِيِّ ﷺ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَقَالَتْ: الْبَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لَهِ وَلِرَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:

﴿وَأَمْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾ (الأحزاب ٣٣/ ٥٠)

وَيُقَالُ: إِنَّ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ، وَيُقَالُ أُمُّ شَرِيكِ، غَرِيَّةُ بِنْتُ جَابِرِ بْنِ وَهَبٍ مِنْ بَنِي مُثَقِدٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصٍ ابْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ، وَيُقَالُ: بَلْ هِيَ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي سَامَةَ بْنِ لُؤَيٍّ، فَأَرْجَاهَا ٥٥٤ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. ٥٥٥

٥٥٣ السيرة النبوية لإبن هشام، ٢، ٦٤٤.

٥٥٤ أرجاها: أخر أمرها.

٥٥٥ السيرة النبوية لإبن هشام، ٢، ٦٤٦-٦٤٧.



تَمْرِضُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ؓ

(كلام النبي ﷺ يوم وفاته)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْإِثْنَيْنِ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَاصِبًا رَأْسُهُ إِلَى الصُّبْحِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَفَرَّجَ النَّاسُ، فَعَرَفَ أَبُو بَكْرٍ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَصْنَعُوا ذَلِكَ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَصَّ عَنْ مُصَلَّاهُ، فَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ظَهْرِهِ، وَقَالَ: صَلِّ بِالنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى جَنْبِهِ، فَصَلَّى قَاعِدًا عَنْ يَمِينِ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَكَلَّمَهُمْ رَافِعًا صَوْتَهُ، حَتَّى خَرَجَ صَوْتُهُ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، سُعِرَتِ النَّارُ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا تَمَسَّكُونَ عَلَيَّ بِشَيْءٍ، إِنِّي لَمْ أُحِلَّ إِلَّا مَا أَحَلَّ الْقُرْآنُ، وَلَمْ أُحَرِّمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ الْقُرْآنُ.

قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ كَلَامِهِ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ:

يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أَرَاكَ قَدْ أَصْبَحْتَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ كَمَا نَحْبُ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ بِنْتِ خَارِجَةٍ، أَفَاتِيهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ.^{٥٥٦}

(مَوْقِفُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ ﷺ)

قَالَ: وَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى نَزَلَ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ حِينَ بَلَغَهُ الْخَبَرُ، وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجًى فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، عَلَيْهِ بُرْدٌ حَبْرَةٌ، فَأَقْبَلَ حَتَّى كَشَفَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَايَ أَنْتَ وَأُمِّي، أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكَ فَقَدْ دُقْتُهَا، ثُمَّ لَنْ تُصِيبَكَ بَعْدَهَا مَوْتَةٌ أَبَدًا. قَالَ: ثُمَّ رَدَّ الْبُرْدَ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ وَعُمَرُ يُكَلِّمُ النَّاسَ، فَقَالَ: عَلَى رِسْلِكَ يَا عُمَرُ، أَنْصِتْ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو بَكْرٍ لَا يَنْصِتُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّاسُ كَلَامَهُ أَقْبَلُوا عَلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران ١٤٤/٣)

قَالَ: فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ، قَالَ: وَأَخَذَهَا النَّاسُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ، فَإِنَّمَا هِيَ فِي أَفْوَاهِهِمْ، قَالَ: فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:

قَالَ عُمَرُ: وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا، فَعَقَرْتُ^{٥٥٧} حَتَّى وَقَعْتُ إِلَى الْأَرْضِ مَا تَحْمِلُنِي رِجْلَايَ، وَعَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ مَاتَ.^{٥٥٨}

٥٥٧ عقرت: دهشت. يُقَالُ: عقر الرجل إذا تخير ودهش.

٥٥٨ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٦٥٥-٦٥٦.

أَمْرُ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ

(تَعْرِيفُ الرِّجَالَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقِيَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فِي طَرِيقِهِمَا إِلَى السَّقِيفَةِ)

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: قَالَ الزُّهْرِيُّ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ أَحَدَ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ لَقُوا مِنَ الْأَنْصَارِ حِينَ ذَهَبُوا إِلَى السَّقِيفَةِ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، وَالْآخَرُ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، أَخُو بَنِي الْعَجَلَانِ. فَأَمَّا عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَهُوَ الَّذِي بَلَّغَنَا أَنَّهُ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ ﷻ لَهُمْ:

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ (التوبة ١٠٨/٩)؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نِعَمَ الْمَرْءُ مِنْهُمْ عُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، وَأَمَّا مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ، فَبَلَّغَنَا أَنَّ النَّاسَ بِكَمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ﷻ، وَقَالُوا: وَاللَّهِ لَوَدِدْنَا أَنَّا مِثَّنَا قَبْلَهُ، إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ. قَالَ مَعْنُ بْنُ عَدِيٍّ: لَكِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحْبَبْتُ أَنِّي مِثُّ قَبْلِهِ حَتَّى أَصْدَقَهُ مِثًّا كَمَا صَدَّقْتُهُ حَيًّا، فَقَتِلَ مَعْنُ يَوْمَ الْيَمَامَةِ شَهِيدًا فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ، يَوْمَ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَابِ.^{٥٥٩}

(خُطْبَةُ أَبِي بَكْرٍ ﷺ)

فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَحَمَدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي، الصَّدْقُ أَمَانَةٌ، وَالْكَذِبُ خِيَانَةٌ، وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُرِيحَ عَلَيْهِ حَقَّهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَالْقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ عِنْدِي حَتَّى أَخْذَ الْحَقَّ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لَا يَدْعُ قَوْمَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللَّهُ بِالذِّلِّ، وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا عَمَّهُمْ

اللَّهُ بِالْبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ. قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَمُشِي مَعَ عُمَرَ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ عَامِدٌ إِلَى حَاجَةٍ لَهُ، وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ، وَمَا مَعَهُ غَيْرِي، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، وَيَضْرِبُ وَحْشِيَّ^{٥٦٠} قَدَمُهُ بِدِرَّتِهِ، قَالَ: إِذْ التَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: يَا بَنَ عَبَّاسٍ، هَلْ تَدْرِي مَا كَانَ حَمَلَنِي عَلَى مَقَالَتِي الَّتِي قُلْتُ حِينَ تُوفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا أَذْرِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْتَ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ الَّذِي حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة ١٤٣/٢) فوالله إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَيَبْقَى فِي أُمَّتِهِ حَتَّى يَشْهَدَ عَلَيْهَا بِآخِرِ أَعْمَالِهَا، فَإِنَّهُ لِلَّذِي حَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ.^{٥٦١}



٥٦٠ الوحشي من أعضاء الإنسان: مَا كَانَ إِلَى خَارِج. وَالْإِنْسَى: مَا أَقْبَلَ عَلَى جَسَدِهِ مِنْهَا.

٥٦١ السيرة النبوية لابن هشام، ٢، ٦٦١.

المصادر

١. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (المتوفى: ٣٢٧هـ). الجرح والتعديل. حيدر آباد الدكن: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.
٢. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ). الثقات. طبع تحت مراقبة الدكتور محمد عبد المعيد خان، حيدر آباد الدكن: دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣.
٣. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٠٠.
٤. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى. المحقق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨.
٥. ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ). الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم. المحقق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثانية، ١٤٠٨.



٦. ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ). السيرة النبوية. المحققون: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
٧. جراح أوغلو، إسماعيل. "ابن هشام وغريب القرآن في سيرته". مجلة العلوم الإسلامية في كلية الإلهيات في جامعة أنقرة. مجلد ٣، ١٩٧٧، ص. ٢٨-١.
٨. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (المتوفى: ٤٦٣هـ). تاريخ بغداد وذيوله. دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.
٩. خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري، أبو عمرو (المتوفى: ٢٤٠هـ). طبقات خليفة بن خياط. المحقق: د سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م.
١٠. الدكتور فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي (علوم القرآن والحديث - التدوين التاريخي - الفقه - العقائد)، نقله إلى العربية: د محمود فهمي حجازي، راجعه: د عرفة مصطفى - د سعيد عبد الرحيم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية: ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
١١. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: ٧٤٨هـ). سير أعلام النبلاء. المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
١٢. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (المتوفى: ٧٤٨هـ). تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالْأَعْلَام. المحقق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.



١٣. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ). الأعلام. دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢ م.
١٤. السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (المتوفى: ٥٨١هـ). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. المحقق: عبد الرحمن الوكيل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
١٥. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (المتوفى: ٩١١هـ). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان / صيدا: المكتبة العصرية، بدون تاريخ.
١٦. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (المتوفى: ٧٦٤هـ). الوافي بالوفيات. المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١٧. المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي (المتوفى: ٧٤٢هـ). تهذيب الكمال في أسماء الرجال. المحقق: د. بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
١٨. مصطفى فايدة، مادة ابن إسحق، في موسوعة شؤون الديانة التركية، على الرابط: <https://islamansiklopedisi.org.tr/ibn-ishak>. ٢٠٢٠، ٠٥، ٢٥).
٢٠. النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (المتوفى: ٦٧٦هـ). تهذيب الأسماء واللغات. عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، بدون تاريخ.



فهرس الآيات

- البقرة ٢/١-٢٤، ١٤، ٤٠-٤٢، ٤٤، ٥٨، ٦١، ٧٤-٧٨، ٨٠-٩٠، ٩٤-٩٧، ٩٩، ١٠٠-١٠٢، ١٠٨، ١٠٩، ١١٣، ١١٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١-١٤٧، ١٤٣، ١٥٦، ١٥٩، ١٧٠، ١٨٥، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٤، ٢٠٥-٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٧-٢١٨، ٢٢٦، ٢٥٦، ٢٧٨.
- آل عمران ٣/١-٨، ٧، ١٢-١٣، ١٤، ١٨-٢٠، ٢١، ٢٣-٢٤، ٢٦-٢٧، ٣١-٣٧، ٤٢-٥٥، ٥٨-٦٤، ٦٥-٦٨، ٦٧، ٧١-٧٣، ٧٩-٨٠، ٨١، ٨٦، ٩٨-١٠٥، ١٠٦، ١١٣، ١١٤، ١١٨-١١٩، ١٢١-١٢٥، ١٢٦-١٢٧، ١٢٨، ١٤٤، ١٤٩-١٥٤، ١٥٤، ١٥٦-١٧٩، ١٦٥، ١٨١، ١٨٦-١٨٨.
- النساء ٤/٢، ٣، ٣٧-٣٩، ٤٤-٤٧، ٥١، ٥١-٥٥، ٥٤، ٦٠، ٩٤، ٩٧، ١٠٧، ١٥٣، ١٦٣-١٦٦، ١٧٦.
- المائدة ٥/١، ١١، ١٨، ١٩، ٢٤، ٤١، ٤٢، ٤٩-٥٠، ٥٧-٦١، ٥١-٥٦، ٥٩، ٦٨، ٧٣، ٨٢-٨٣، ١٠٣.
- الأنعام ٦/٨-٩، ١٠، ١٩-٢٠، ٥٢-٥٤، ٩٣، ١٠٨، ١١١، ١٣٦، ١٣٩، ١٤٣-١٤٤.
- الأعراف ٧/١، ٣١-٣٢، ٤٠، ٨٩، ١٣٨، ١٨٧.
- الأنفال ٨/١، ٥-٧، ٩، ١١-١٣، ١٥-١٧، ١٩-٢٤، ٢٦-٢٧، ٢٧، ٢٩-٣٠، ٣٠-٣٢، ٣٥-٣٦، ٣٨-٤٨، ٤١، ٤٨، ٥٧، ٦٠-٦١، ٦٢-٧٠، ٧٣، ٧٥.
- التوبة ٩/١-١١، ١٣-١٦، ١٨-١٩، ٢٥-٢٦، ٢٨-٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٦-٤٠، ٣٧، ٤٢-٤٩، ٤٩، ٥٧-٥٨، ٦٠-٦٢، ٦١، ٦٥، ٦٦، ٦٥-٧٣، ٧٥-٧٤، ٧٥، ٧٩، ٨٠، ٨١-٨٢، ٨٥-٨٤، ٨٦، ٨٨-٩٣، ٩٢، ٩٥-٩٦، ٩٦، ٩٨-١٠٣، ١٠٢، ١٠٦-١١١، ١٠٧، ١٠٨، ١١٧-١١٩.
- يونس ١٠/١، ٥٩، ٩٠.
- هود ١١/١٨، ٨٢-٨٣.
- يوسف ١٢/٤١، ٨٢، ١٠٦.



الرعد ١٣/١، ٨-١١، ١٣، ٣٠، ٣١.	سبا ٣٤/١٥-١٦، ٤٧.
الحجر ١٥/٨٩، ٩٠-٩٣، ٩٤-٩٦.	يس ٣٦/١-٩، ٦٩، ٧٨-٨٠.
النحل ١٦/١٠٣، ١٢٦-١٢٧.	الصفات ٣٧/١٠٢، ١٥١-١٥٢.
الإسراء ١٧/٤٥-٥١، ٦٠، ٨٥، ٨٨.	ص ٣٨/١-٧.
٩٠-٩٣، ١١٠.	الزمر ٣٩/٥٣-٥٥، ٦٧.
الكهف ١٨/١-١٨، ٢٢، ٢٤-٢٦.	فصلت ٤١/١-٥١، ٢٦.
٥٥، ٧٣، ٨٠، ٨٣-٨٥.	الزخرف ٤٣/٣١-٣٢، ٥٧، ٥٩-٦١.
مريم ١٩/٢١، ٤٧، ٦٤، ٧١، ٧٣.	الدخان ٤٤/١-٥، ٤٣-٤٦.
٧٧-٨٠، ٩٧.	الجاثية ٤٥/٧-٨.
طه ٢٠/١٤.	الأحقاف ٤٦/٢٩-٣١.
الأنبياء ٢١/٢٦-٢٩، ٩٨-١٠٠.	محمد ٤٧/٣٥.
١٠١-١٠٢.	الفتح ٤٨/١-٢، ١٠-١١، ١٥.
الحج ٢٢/٣٩-٤١، ٥٢، ٦٥.	١٨-٢١، ٢٤-٢٧، ٢٩.
النور ٢٤/١١-١٢، ١٥، ٢٢، ٦٢-٦٤.	الحجرات ٤٩/٦-٧، ١٣.
الفرقان ٢٥/٥-٦، ٧-١٠، ٢٠.	الطور ٥٢/٣٠-٣١.
٢٧-٢٩.	القمر ٥٤/١٣، ٣٧.
الشعراء ٢٦/٢١٤-٢١٥.	الرحمن ٥٥/١-٢.
القصص ٢٨/١٢، ٥٢-٥٥.	الحشر ٥٩/٢-٣، ٥-٧، ١١، ١٥-١٧.
لقمان ٣١/٧، ٢٧.	١٦.
الأحزاب ٣٣/٥، ٩-٢٧، ١٢، ١٣، ٣٧.	المتحنة ٦٠/١-٤، ١٠-١١.
٥٠.	المنافقون ٦٣/١-١١.



القلم ٦٨ / ١٠-١٣، ١٥.	العلق ٩٦ / ١-٥، ٩-١٩.
نوح ٧١ / ٢٣-٢٤.	القدر ٩٧ / ١-٥.
الجن ٧٢ / ١-٦، ٩-١٠.	الهمزة ١٠٤ / ١-٩.
المزمل ٧٣ / ١١-١٣.	الفيل ١٠٥ / ١-٥.
المدثر ٧٤ / ١-٢، ١١-١٦، ١٧-٢٢،	قريش ١٠٦ / ١-٤.
٢٣-٢٥، ٣١.	الكوثر ١٠٨ / ١.
عبس ٨٠ / ١-١٤.	الكافرون ١٠٩ / ١-٦.
البروج ٨٥ / ٤-٨.	النصر ١١٠ / ١-٣.
الليل ٩٢ / ٥-٢١.	تبت ١١١ / ١-٥.
الضحى ٩٣ / ١-٨، ٩-١١.	الإخلاص ١١٢ / ١-٤.



فهرس

- المقدمة..... ٥
- ابن هشام ومكانته في علم التفسير..... ٥
- ابن اسحاق وحياته العلمية..... ٥
- ابن هشام وكتابه "السيرة النبوية"..... ١٠
- عملنا في هذا الكتاب..... ١٤
- ذَكَرَ سَرْدُ النَّسَبِ الزَّكِّيُّ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..... ١٥
- نَهْجُ ابْنِ هِشَامٍ فِي هَذَا الْكِتَابِ..... ١٥
- أَمْرُ عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ فِي خُرُوجِهِ مِنَ الْيَمَنِ وَقِصَّةُ سَدِّ مَأْرِبٍ..... ١٦
- عمرو بن عامر أب الأوس والخزرج..... ١٦
- أَمْرُ رَبِيعَةَ بْنِ نَصْرِ مَلِكِ الْيَمَنِ وَقِصَّةُ شَقِّ وَسَطِيحِ الْكَاهِنِينَ مَعَهُ..... ١٨
- مُتْلِكُ ذِي نُوَّاسٍ..... ١٩
- أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الثَّامِرِ، وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ..... ٢٠



- ذُو نُوَاسٍ وَخَدُّ الْأَخْذُودِ..... ٢٢
- الْأَخْذُودُ لُغَةً..... ٢٢
- أَمْرُ الْفِيلِ، وَقِصَّةُ النِّسَاءِ..... ٢٣
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ..... ٢٤
- تَارِيخُ النَّسْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ..... ٢٤
- اسْتِسْلَامُ أَهْلِ الطَّائِفِ لِأَبْرَهَةَ..... ٢٧
- دُخُولُ أَبْرَهَةَ مَكَّةَ، وَمَا وَقَعَ لَهُ وَلِفِيلِهِ، وَشَعْرُ نُفَيْلٍ فِي ذَلِكَ..... ٢٧
- مَا ذَكَرَ فِي الْقُرْآنِ عَنْ قِصَّةِ الْفِيلِ، وَشَرَحَ مُفْرَدَاتِهِ..... ٣٠
- مَا أَصَابَ قَائِدَ الْفِيلِ وَسَائِسُهُ..... ٣٣
- مَا قِيلَ فِي صِفَةِ الْفِيلِ مِنَ الشَّعْرِ..... ٣٣
- قِصَّةُ عَمْرِو بْنِ لُحَيٍّ وَذِكْرُ أَصْنَامِ الْعَرَبِ..... ٣٩
- الْقَبَائِلُ وَأَصْنَامُهَا، وَشَيْءٌ عَنْهَا..... ٤٠
- أَمْرُ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي..... ٤٦
- أَوْلَادُ كِنَانَةَ وَأُمَّهَاتُهُمْ..... ٤٨
- أَمْرُ سَامَةَ..... ٥٠
- أَمْرُ عَوْفِ بْنِ لُؤَيٍّ وَنَقْلَتِهِ..... ٥٠
- اسْتِيلَاءُ قَوْمِ كِنَانَةَ وَخِزَاعَةُ عَلَى الْبَيْتِ وَفِي جُرْهُمِ..... ٥١



- بَكَّةُ لُغَةً..... ٥٢
- ذِكْرُ حَفَرٍ زَمْزَمَ وَمَا جَرَى مِنَ الْخُلْفِ فِيهَا..... ٥٣
- وَلَادَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَضَاعَتُهُ..... ٥٤
- وَفَاةُ أَمْنَةٍ وَحَالُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَعْدَهَا..... ٥٥
- كَيْفَالُهُ أَبِي طَالِبٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ..... ٥٦
- حَدِيثُ الْخُمْسِ..... ٥٧
- حُكْمُ الْإِسْلَامِ فِي الطَّوَافِ، وَإِبْطَالُ عَادَاتِ الْخُمْسِ فِيهِ..... ٦٠
- إِخْبَارُ الْكُفَّانِ مِنَ الْعَرَبِ وَالْأَحْبَارِ مِنْ يَهُودَ وَالرُّهْبَانِ مِنَ النَّصَارَى..... ٦١
- قَذْفُ الْجَنِّ بِالشُّهْبِ، وَآيَةُ ذَلِكَ عَلَى مَبْعَثِهِ ﷺ..... ٦١
- بَحْثُ لُعُويٍّ فِي مَعْنَى التَّحْنُثِ..... ٧٠
- رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْصُصُ عَلَى خَدِيجَةَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ جَبْرِيلَ مَعَهُ..... ٧٢
- ابْتِدَاءُ تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ..... ٧٢
- فَتْرَةُ الْوَحْيِ وَنُزُولُ سُورَةِ الضُّحَى..... ٧٣
- تَفْسِيرُ مُفْرَدَاتِ سُورَةِ الضُّحَى..... ٧٤
- ذِكْرُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِدَعْوَةِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه..... ٧٩
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْمُفْرَدَاتِ..... ٨٠
- تَحْيِيرُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُنْغِيرَةِ فِيمَا يَصِفُ بِهِ الْقُرْآنَ..... ٨٢



- ٨٩..... مَا دَارَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ، وَتَفْسِيرُ لِسُورَةِ الْكَهْفِ.....
- ١٠١..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَبَرِ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ.....
- ١٠٢..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَمْرِ الرُّوحِ.....
- ١٠٢..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِشَأْنِ طَلَبِهِمْ تَسْيِيرَ الْجِبَالِ.....
- ١٠٣..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ: خُذْ لِنَفْسِكَ.....
- ١٠٣..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِ ابْنِ أَبِي أُمَيَّةَ.....
- ١٠٥..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى رَدًّا عَلَى قَوْلِهِمْ: إِنَّمَا يُعَلِّمُكَ رَجُلٌ بِالْيَمَامَةِ.....
- ١٠٥..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي أَبِي جَهْلٍ وَمَا هَمَّ بِهِ.....
- ١٠٧..... مَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَا عَرَضُوهُ عَلَيْهِ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ.....
- ١٠٧..... اسْتِكْبَارُ قُرَيْشٍ عَنْ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالرَّسُولِ ﷺ.....
- ١٠٨..... سَبَبُ نُزُولِ آيَةِ: "وَلَا تَجْهَرُ... إلخ".....
- ١٠٩..... أَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ.....
- ١١٠..... فَصَّةُ اسْتِمَاعِ قُرَيْشٍ إِلَى قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ.....
- ١١٠..... ذَهَابُ الْأَخْنَسِ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ وَأَبِي جَهْلٍ يَسْأَلُهُمَا عَنْ مَعْنَى مَا سَمِعَهُمَا.....
- ١١١..... تَعَنَّتْ قُرَيْشٌ فِي عَدَمِ اسْتِمَاعِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى.....
- ١١٢..... ذِكْرُ عُدْوَانِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُسْتَضْعِفِينَ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِالْأَذَى وَالْفِتْنَةِ.....
- ١١٦..... خَبَرُ الصَّحِيفَةِ.....



- تَهَكُّمُ أَبِي لَهَبٍ بِالرَّسُولِ ﷺ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ..... ١١٦
- مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ أَبُو جَهْلٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ فِيهِ..... ١٢٠
- مَا كَانَ يُؤْذِي بِهِ النَّصْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَمَا نَزَلَ فِيهِ..... ١٢٠
- مَقَالَةُ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ..... ١٢٢
- الْأَخْنَسُ بْنُ شَرِيقٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ..... ١٢٤
- الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ..... ١٢٤
- أَبِي بَنْ خَلْفٍ وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمَا..... ١٢٥
- سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»..... ١٢٦
- أَبُو جَهْلٍ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ..... ١٢٦
- تَفْسِيرُ «الْمُهَلِّ»..... ١٢٧
- ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنُزُولُ سُورَةِ «عَبَسَ»..... ١٢٨
- أَمْرُ وَفْدِ النَّصَارَى الَّذِينَ أَسْلَمُوا..... ١٢٨
- تَهَكُّمُ الْمُشْرِكِينَ بِمَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، وَنُزُولُ آيَاتٍ فِي ذَلِكَ..... ١٣٠
- ادِّعَاءُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى النَّبِيِّ بِتَعْلِيمِ جَبْرِ لَهُ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ..... ١٣٠
- نُزُولُ سُورَةِ الْكَوْثَرِ..... ١٣١
- نُزُولُ "وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ"..... ١٣٢
- نُزُولُ "وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ"..... ١٣٣



- ١٣٣..... ذِكْرُ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ
- ١٤٠..... سَعَى الرَّسُولِ إِلَى تَقْيِفِ يَطْلُبُ النُّصْرَةَ
- ١٤٣..... نُزُولُ الْأَمْرِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْقِتَالِ
- ١٤٤..... كلمة «حوب»
- ١٤٨..... هَجْرَةُ الرَّسُولِ ﷺ
- ١٥٨..... مَا نَزَلَ مِنَ الْبَقَرَةِ فِي الْمُنَافِقِينَ وَيَهُودَ
- ١٦٠..... مَا نَزَلَ فِي مُنَافِقِي الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ
- ١٦٠..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٦٣..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٦٤..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٦٥..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٦٦..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٦٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٧٠..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٧٣..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ١٧٤..... سُؤَالُ الْيَهُودِ الرَّسُولَ، وَإِجَابَتُهُ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
- ١٧٧..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ



- مَا نَزَلَ فِي أَبِي يَاسِرٍ وَأَخِيهِ..... ١٧٨.
- كُفِّرَ الْيَهُودَ بِهِ ﷺ بَعْدَ اسْتِفْتَا حَيْهِمْ بِهِ، وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ..... ١٨٠.
- مَا نَزَلَ فِي نُكْرَانِ مَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ الْعَهْدَ إِلَيْهِمُ بِالنَّبِيِّ..... ١٨٠.
- مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ أَبِي صَلُوبَا: «مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ نَعْرِفُهُ»..... ١٨٠.
- مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ ابْنِ حُرَيْمَةَ وَوَهْبٍ..... ١٨١.
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ١٨١.
- مَا نَزَلَ فِي صَدِّ حَيٍّ وَأَخِيهِ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ..... ١٨١.
- مَا نَزَلَ فِي طَلَبِ ابْنِ حُرَيْمَةَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ..... ١٨٢.
- مَا نَزَلَ فِي سُؤَالِ ابْنِ صُورِيَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَنْ يَتَّهَدَ..... ١٨٣.
- مَقَالَةُ الْيَهُودِ عِنْدَ صَرْفِ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ..... ١٨٣.
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ١٨٤.
- مَا نَزَلَ فِيمَا هَمَّ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ غَدَوَةً، وَالْكَفْرِ عَشِيَّةً..... ١٨٧.
- مَا نَزَلَ فِي قَوْلِ أَبِي رَافِعٍ وَالنَّجْرَانِيِّ «أَتُرِيدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى»..... ١٨٨.
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ١٨٩.
- مَا نَزَلَ فِي أَخْذِ الْمِيثَاقِ عَلَيْهِمُ..... ١٨٩.
- مَا نَزَلَ فِي قَوْلِهِمْ: «مَا آمَنَ إِلَّا شَرَارُنَا»..... ١٩٢.
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ١٩٢.



- ١٩٣..... مَا نَزَلَ فِي نَهْيِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مُبَاطَنَةِ الْيَهُودِ.
- ١٩٧..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ١٩٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ١٩٨..... إِنْكَارُهُمُ التَّنْزِيلَ.
- ٢٠٦..... نَهْيُهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنْ مُوَادَّتِهِمْ.
- ٢٠٦..... سُؤَالُهُمْ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ.
- ٢٠٧..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٠٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٠٩..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢١١..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢١٣..... أَسْمَاءُ الْوَفْدِ وَمُعْتَقِدِهِمْ، وَمُنَاقَشَتِهِمُ الرَّسُولَ ﷺ.
- ٢١٤..... مَا نَزَلَ مِنْ آلِ عِمْرَانَ فِيهِمْ.
- ٢١٧..... مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِيْمَا أَحْدَثَ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.
- ٢١٨..... مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي وَعْظِ الْمُؤْمِنِينَ.
- ٢١٨..... مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي خَلْقِ عِيسَى.
- ٢١٩..... خَبْرُ زَكَرِيَّا وَمَرْيَمَ.
- ٢١٩..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.



- ٢٢٠..... مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ آيَاتِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٢٢١..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ٢٢٣..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ٢٢٤..... إِبَاؤُهُمُ الْمَلَأَعَةَ
- ٢٢٤..... سَرِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ وَنَزُولُ: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ"
- ٢٢٧..... نَزُولُ الْقُرْآنِ فِي فِعْلِ ابْنِ جَحْشٍ وَإِفْرَارِ الرَّسُولِ لَهُ ﷺ فِي فِعْلِهِ
- ٢٢٨..... طَمَعُ ابْنِ جَحْشٍ فِي الْأَجْرِ وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ
- ٢٢٨..... صَرَفُ الْقِبْلَةِ إِلَى الْكَعْبَةِ
- ٢٢٩..... غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى
- ٢٢٩..... ذِكْرُ الْفِتْنَةِ الَّتِي نَزَلَ فِيهِمْ: "إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ"
- ٢٣١..... نَزُولُ سُورَةِ الْأَنْفَالِ
- ٢٣٢..... مَا نَزَلَ فِي خُرُوجِ الْقَوْمِ مَعَ الرَّسُولِ لِمُلَاقَاةِ قُرَيْشٍ
- ٢٣٣..... مَا نَزَلَ فِي تَبْشِيرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُسَاعَدَةِ وَالنَّصْرِ، وَتَحْرِيزِهِمْ
- ٢٣٣..... مَا نَزَلَ فِي رَمِي الرَّسُولِ لِلْمُشْرِكِينَ بِالْحَضَبَاءِ
- ٢٣٤..... مَا نَزَلَ فِي الاسْتِفْتَاكِ
- ٢٣٤..... مَا نَزَلَ فِي حَضِّ الْمُسْلِمِينَ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ
- ٢٣٥..... مَا نَزَلَ فِي ذِكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الرَّسُولِ



- ٢٣٦..... مَا نَزَلَ فِي غُرَّةِ قُرَيْشٍ وَاسْتَفْتَا حِجَّهُم.
- ٢٣٧..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٣٨..... الْمُدَّةُ بَيْنَ "يَا أَيُّهَا الْمُرَّمِّلُ" وَبَدْر.
- ٢٣٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٣٨..... مَا نَزَلَ فِيْمَنْ عَاوَنُوا أَبَا سُفْيَانَ.
- ٢٤٠..... مَا نَزَلَ فِي لُطْفِ اللَّهِ بِالرَّسُولِ.
- ٢٤٠..... مَا نَزَلَ فِي وَغْظِ الْمُسْلِمِينَ وَتَعْلِيمِهِمْ خُطَطَ الْحَرْبِ.
- ٢٤٢..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٤٤..... مَا نَزَلَ فِي الْأَسَارَى وَالْمَغَانِمِ.
- ٢٤٥..... مَا نَزَلَ فِي التَّوَاصُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.
- ٢٤٥..... مَنْ قُتِلَ بِبَدْرِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ «عَدَدُهُمْ».
- ٢٤٦..... أَمْرُ بَنِي قَيْنُقَاعَ.
- ٢٤٦..... مَا نَزَلَ فِيهِمْ.
- ٢٤٧..... تَبَرُّؤُ ابْنِ الصَّامِتِ مِنْ حِلْفِهِمْ وَمَا نَزَلَ فِيهِ وَفِي ابْنِ أَبِي.
- ٢٤٨..... غَزْوَةُ أَحَدٍ.
- ٢٥١..... مَا نَزَلَ فِي النَّهْيِ عَنِ الْمُثَلَّةِ.
- ٢٥٢..... ذِكْرُ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْقُرْآنِ.



- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٥٣
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٥٥
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٥٩
- مَا نَزَلَ فِي الْغُلُولِ..... ٢٦٦
- ذِكْرُ يَوْمِ الرَّجِيعِ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ..... ٢٧١
- مَا نَزَلَ فِي سَرِيَّةِ الرَّجِيعِ مِنَ الْقُرْآنِ..... ٢٧٢
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٧٣
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٧٤
- أَمْرُ إِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ..... ٢٧٥
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٧٥
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٧٦
- عَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ «صَلَاةُ الْخَوْفِ»..... ٢٧٧
- غُورَتْ وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ قَتْلِ الرَّسُولِ..... ٢٧٨
- عَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوَالِ سَنَةِ خَمْسٍ..... ٢٧٩
- تَحْرِيطُ الْيَهُودِ لِقُرَيْشٍ وَمَا نَزَلَ فِيهِمْ..... ٢٧٩
- مَا نَزَلَ فِي الْعَامِلِينَ فِي الْخَنْدَقِ مُؤْمِنِينَ وَمُنَافِقِينَ..... ٢٨١
- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٢٨٢



- ٢٨٣..... غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ
- ٢٨٤..... مَا نَزَلَ فِي خِيَانَةِ أَبِي لُبَابَةَ.
- ٢٨٤..... مَا نَزَلَ فِي التَّوْبَةِ عَلَى أَبِي لُبَابَةَ.
- ٢٨٥..... مَا نَزَلَ فِي الْخَنْدَقِ وَبَنِي قُرَيْظَةَ.
- ٢٨٦..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٨٧..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٨٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.
- ٢٩١..... غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ.
- ٢٩٣..... مَا نَزَلَ فِي ابْنِ أَبِي مِنَ الْقُرْآنِ.
- ٢٩٤..... الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ وَمَا نَزَلَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْقُرْآنِ.
- ٢٩٤..... خَبَرُ الْإِفْكِ فِي غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ «سَنَةِ سِتٍّ».
- ٢٩٩..... نَزُولُ الْقُرْآنِ بِرَأْيِ عَائِشَةَ رضي الله عنها.
- ٣٠٢..... تَفْسِيرُ ابْنِ هِشَامٍ بَعْضَ الْغَرِيبِ.
- أَمْرُ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي آخِرِ سَنَةِ سِتٍّ، وَذِكْرُ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ وَالصُّلْحِ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَيْنَ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو.
- ٣٠٣..... نَزُولُ سُورَةِ الْفَتْحِ.
- ٣٠٥..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ.



- تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ..... ٣٠٧
- سُؤَالَ ابْنِ إِسْحَاقَ الرَّهْرِيِّ عَنْ آيَةِ الْمُهَاجِرَاتِ..... ٣٠٨
- عُمْرَةُ الْقَضَاءِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سَبْعٍ..... ٣١٠
- مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي عُمْرَةِ الْقَضَاءِ..... ٣١٠
- ذِكْرُ غَزْوَةِ مُؤَتَّةٍ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ ثَمَانٍ، وَمَقْتُلُ جَعْفَرٍ وَزَيْدٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ..... ٣١١
- ذِكْرُ فَتْحِ مَكَّةَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ..... ٣١٢
- غَزْوَةُ حُنَيْنٍ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ بَعْدَ الْفَتْحِ..... ٣١٥
- مَا نَزَلَ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ..... ٣١٦
- أَمْرُ أَمْوَالِ هَوَازِنَ وَسَبَايَاهَا، وَعَطَايَا الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْهَا وَإِنْعَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهَا..... ٣١٦
- غَزْوَةُ تَبُوكَ فِي رَجَبِ سَنَةِ تِسْعٍ..... ٣١٧
- تَخَلَّفَ الْجَدُّ وَمَا نَزَلَ فِيهِ..... ٣١٧
- مَا نَزَلَ فِي الْقَوْمِ الْمُشْبِطِينَ..... ٣١٨
- شَأْنُ الْبَكَاءِ..... ٣١٨
- تَخْدِيلُ الْمُنَافِقِينَ لِلْمُسْلِمِينَ وَمَا نَزَلَ فِيهِمْ..... ٣١٩
- أَمْرُ مَسْجِدِ الصَّرَارِ عِنْدَ الْقُفُولِ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ..... ٣٢٠
- أَمْرُ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا وَأَمْرُ الْمُعَذِّرِينَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ..... ٣٢١
- حَجُّ أَبِي بَكْرٍ بِالنَّاسِ سَنَةِ تِسْعٍ اخْتِصَاصُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ بِتَأْدِيَةِ أَوَّلِ



- ٣٢٤..... بَرَاءَةٌ عَنْهُ، وَذِكْرُ بَرَاءَةِ وَالْقَصَصِ فِي تَفْسِيرِهَا
- ٣٢٦..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ٣٢٧..... مَا نَزَلَ فِي الْأَمْرِ بِجِهَادِ الْمُشْرِكِينَ
- ٣٢٨..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ٣١٨..... مَا نَزَلَ فِي الرَّدِّ عَلَى قُرَيْشٍ بِادِّعَائِهِمْ عِمَارَةَ الْبَيْتِ
- ٣١٩..... مَا نَزَلَ فِي الْأَمْرِ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ
- ٣٣٠..... مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ الْكِتَابِينَ
- ٣٣٠..... مَا نَزَلَ فِي النَّسَبِ
- ٣٣٠..... مَا نَزَلَ فِي تَبُوكَ
- ٣٣١..... مَا نَزَلَ فِي أَهْلِ النِّفَاقِ
- ٣٣١..... تَفْسِيرُ بَعْضِ الْكَلِمَاتِ الْغَرِيبَةِ
- ٣٣٢..... مَا نَزَلَ فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الصَّدَقَاتِ
- ٣٣٣..... مَا نَزَلَ فِي مَنْ أَدَّوْا الرَّسُولَ ﷺ
- ٣٣٥..... مَا نَزَلَ بِسَبَبِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ابْنِ أَبِي
- ٣٣٦..... مَا نَزَلَ فِي الْمُسْتَأْذِنِينَ
- ٣٣٧..... مَا نَزَلَ فِي مَنْ نَافَقَ مِنَ الْأَعْرَابِ
- ٣٣٧..... مَا نَزَلَ فِي السَّابِقِينَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ



- ذِكْرُ سَنَةِ تِسْعٍ وَتَسْمِيَّتِهَا سَنَةَ الْوُفُودِ وَنُزُولُ سُورَةِ الْفَتْحِ ٣٣٨
- مَوْتُ أَرْبَدٍ بِصَاعِقَةٍ وَمَا نَزَلَ فِيهِ وَفِي عَامِرٍ ٣٤٠
- حَجَّةُ الْوَدَاعِ ٣٤٤
- غَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَذَرْدٍ بَطْنِ إِصْمَ، وَقَتْلُ عَامِرِ ابْنِ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيِّ وَغَزْوَةُ ابْنِ أَبِي حَذَرْدٍ وَأَصْحَابِهِ بَطْنِ إِصْمَ، وَكَانَتْ قَبْلَ الْفَتْحِ ٣٤٦
- ذِكْرُ أَزْوَاجِهِ ﷺ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ٣٤٧
- تَمْرِيطُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ؓ ٣٤٨
- أَمْرُ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ٣٥٠



[illegible]

